
نَهْذِيبُ التَّقْوَى وَتَرْشِيدُ الْعَقْلِ

من خلال الخطب المنبرية

ابن ادريسو مصطفى بن محمد

خطيب بمسجد بني يزقن، وأستاذ بجامعة غرداية، الجزائر

1440هـ / 2019م

العنوان: تهذيب النفوس وترشيد العقول، من خلال الخطب المنبرية

المؤلف: ابن ادريسو مصطفى بن محمد

الصفحات: 407

البريد الإلكتروني: mustapha_bendrissou@yahoo.fr



فهرس المحتويات

المقدمة	1
المحور الأول: شهر رمضان والقرآن	
الاستعداد لرمضان وفضله	4
الاغتنام في شهر رمضان	13
القرآن، ووداع رمضان	20
المحور الثاني: العيد والتضحية	
الفرحة بعيد الفطر، والاستعداد لعيد الأضحى	28
تضحية سيدنا إبراهيم عليه السلام، ومعاني التضحية في العيد	35
العيد والتحفيز على التضحية اقتداءً بسيدنا إبراهيم عليه السلام	45
أهمية الترويح في الحياة، ومناسك الحج: عبر ووصايا	55
المحور الثالث: الدعاء، والدعاء في الفتنة	
استجابة دعوة المظلوم	66
الإيجابية في زمن الفتن	75
الإكثار من الدعاء، وعاقبة تركه	84
دعاء في عرفات	94
المحور الرابع: فعل الخيرات، والعمل الاجتماعي	
فعل الخيرات، والمساواة إليها	102
فعل الخيرات، واجتناب المنكرات	111
كفالة اليتيم	116

125	 العمل الجماعي، والاستثمار في الإنسان
135	 فعالية الحوار والمشورة في حل خلافاتنا الاجتماعية
143	 الصلح بين المتخاصمين: أهميته وفقهه

المحور الخامس: الدعوة، والصحة الصالحة

152	 الدعوة الفردية
159	 النصيحة، وقول كلمة الحق
168	 الصحة الصالحة، وأثر قرناء السوء

المحور السادس: فضل العلم

180	 فتح مجمع القرآن بانتيسة
187	 استغلال الإجازة الصيفية، والترغيب في العلم
194	 النجاح في البكالوريا، واستقبال الجامعة

المحور السابع: العقيدة، والمعاملات

206	 الجنة والنار
216	 اشكروا الله يغثنا
223	 التوحيد دين الله الذي لا نزاع ولا صراع فيه
234	 أثر الغفلة وحب الدنيا على حياتنا المعاصرة
243	 تجنب الغضب
251	 رسولنا محمد صلى الله عليه يعيش معنا

المحور الثامن: نظافة المحيط

262	 النظافة مسؤولية شرعية
274	 نعمة الجمال، والدعوة إلى تزيين المحيط

284	 الجوهرة الضائعة من أزقة يسجن وبساتينها
293	 ترميم تَرْجُوَيْن، وإحياء أوقاف البساتين
303	 تتبع مجرى تقاسيم المياه، والحفاظ على آبار تخزين المياه

المحور التاسع: المذهب الإباضي

313	 خصائص المذهب الإباضي
325	 فضل صلاة الجمعة، ومناقشة اشتراط الإمام والأمصار لصلاتها

المحور العاشر: مواضيع فكرية وحضارية وعلمية

336	 حضارتنا سفير إسلامنا: قراءة في حضارة سيدنا سليمان عليه السلام
345	 العلم الحديث، وصريح القرآن الكريم.. مناقشة صورة الحياة الأولى للخلق الإنساني
357	 الرياضة الحركية
364	 الوعي الصحي عن طريق التغذية الطبيعية
373	 خطورة الإعلام المعاصر على الناس وعلى الأطفال
385	 اغتنام الوقت، والتزام النظام في الحياة
392	 أثر الغفلة في حياتنا، والاعتزاز بمقومات شخصيتنا (يَنَار)
401	 غواية الشيطان وقلب الحقائق

مقدمة

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على أصدق خطيب وأتقى إمام،
وعلى آله وصحبه الأخيار إلى يوم الدين:

أما بعد:

يجدر بنا أن نحمد الله على نعمه وآلائه، وخليق بنا أن نشكره شكر المعترفين بإحسانه
إلى كل الخلائق التي ستقف بين يديه راجية باكية؛ وبذنوبها معترفة صاغرة، ترجو رحمته،
وتخشى عذابه.

لنصيحة الطيبة أبلغ الأثر في الأنفس المستبشرة، وللصدق مفعول خاص في نفاذ
الكلمة إلى أرواح البشر المعترية، والخطيب البليغ بفتح من الله يهدي إلى الحق بالقول
السديد، وبتطوير ملكاته وتنوع مواضيع خطبه يسعى إلى تحصين الفرد من الوقوع في براثن
الجهل والشيطنة، وباحترامه العقل يُحصّن مستمعيه من التسفيه والاستخفاف المُمنهج..
دافعه في مسيرته الإرشادية الرفع من مستوى الوعي الجمعي من ضحالة الفراق والانشقاق
إلى علياء الوفاق والإخاء، وآفاقه في نشاطه الدعوي صناعة لبنة ناجحة في المجتمع، تُطوّر
الحضارة الإنسانية بنشاطها وإبداعاتها، وتُرقّي بلدها باختراعاتها واكتشافاتها، وتحسّن
مردودية الإنسان في عمله وعلاقاته.

فهذه بعض المقاصد الراقية التي يدور عليها فلك الخطب المسجدية، التي إن أنصت
إليها المرء بنية الاستفادة والعمل بما علم منها، حصل بإذن الله تعالى على ثمرة يانعة في
تهذيب النفس وترشيد العقل.

وتحقيقا لبعض المرامي السابقة، فإني أود نشر بعض الخطب التي ألقيتها بمسجد

"طالمت" العامر ببني يزقن، غرداية، منذ صائفة 2011 -تاريخ التحاقي بحلقة العزابة-، لمن شاء أن يستفيد منها ويستنير بهديها، وهي ذات مواضيع متنوعة ومتعددة؛ منها الوعظية الإيمانية، والاجتماعية الميدانية، والفكرية العلمية، لتمس بذلك كل الشرائح، وتنير درب كل مكافح.

وينبغي أن أشير إلى أن مهمة الخطيب لا تنتهي عند حد صياغة خطب رنانة، أو تسميع كلام فصيح، بل لا بد للأمة الإسلامية من بلغاء يعظون بأفعالهم قبل أقوالهم، ويدعون بمشاركاتهم الحركية قبل أحاديثهم التذكيرية، ويبدلون جهودا خيرية ميدانية متوازية مع نظيراتهم الفكرية المتألفة.

فاللهم اجعلنا ممن يخشع بهذه المواعظ النبيلة، واجعلنا ممن تُدعم مسيرته الدعوية والحركية بهذه الخطب الحميدة. ونسألك ربنا الإحسان في الجهد، والإخلاص في المقصد، والتوبة في الحياة. وندعوك يا ذا الجلال والإكرام أن ترفع عنا الخطأ والزلل عن أعمالنا، وتجنبنا الغواية في أقوالنا وأفعالنا، ولا تخزنا يوم يبعثون، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

بني يزقن: 03 رمضان 1440هـ / 07 ماي 2019م

المحور الأول

شهر رمضان، والقرآن

الاستعداد لرمضان، وفضله

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل في محكم تنزيله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ
الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾، (سورة البقرة: 185).
وأشهد أن حبيبنا محمدًا رسول الله ﷺ، أرسله ربُّه بالهدى ودين الحقِّ بشيرا ونذيرا،
وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، القائل: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُّبَارَكٌ»⁽¹⁾، فاللهم صلِّ
وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، الذين آووه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه.

أما بعد: فأيتها المؤمنون:

بعد أيام قليلة سنشهد افتتاح مدرسة.. فهل تُرى نحيا، فنُدرِك هذه المدرسة ونلتحق
بها؟

وإذا التحقنا بها، هل نخرج منها مع الفائزين أم الخاسرين؟
إنها مدرسة رمضان .. مدرسة التقوى والقرآن .. وموسم الرحمة والغفران .. والعِتق من
النيران، شهرُ الثواب، وشهرُ التوبة، وشهرُ الإنابة إلى الله.
أيام معدودةٌ وتستقبلُ الأمةُ هذا الزائرَ المحبوبَ بفرحٍ غامرٍ، وسرورٍ ظاهرٍ.
يا رَمَضَانُ، إِنَّ يَوْمَ إِقْبَالِكَ هُوَ يَوْمٌ تَنْشُرُ لَه قُلُوبُنَا وَصُدُورُنَا، وَتَمْتَلِئُ فِيهِ نَفُوسُنَا غِبْطَةً
وَأَمَلًا، وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يقول: «اللهم بارك لنا في رجبٍ وشعبانٍ، وبارك لنا في
رمضانَ»⁽²⁾.

وَكَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي

(1) النسائي، السنن الكبرى، كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على معمر في هذا الحديث، رقم: 2427.

(2) أحمد، المسند، مسند عبد الله بن العباس، رقم: 2346.

وَرَبُّكَ اللَّهُ»⁽¹⁾.

أيها المؤمنون: لنراجع كيف نستقبل شهر رمضان.. فإذا كنت ملتزماً فحسب من حالك، وإذا كنت عاصياً فحوّل حالك، فلنعاهد أنفسنا جميعاً، ولنخرج من رمضان بغير ما دخلنا فيه، ولتدرب على محاسبة النفس، والعودة إلى الذات، وندعو الله أن يبارك لنا في عمرنا، فنشهد نفحاته، وننال خيراته.

وعلينا أن نتذكر كم من قريب لنا فقدناه، وكم من عزيز علينا اختاره الله إلى جواره.. فهل نحن حامدون الله على نعمة الحياة لهذا العام، ومستشعرون فضلها، ومدركون كيفية استغلالها لما ينفعنا يوم لقاء الله، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

أيها الناس:

ويا من أَلِفَ الذنوبَ وأجرماً، ويا مَنْ غفلَ عن ربه وأظلماً، تُبْ فدونك المني والمغنم، والله يحبُّ أن يجود ويرحمًا، ويُئيلَ التائبين فضله تَكْرُمًا.

يا من ضيَّعتَ واجبًا وفرضًا، ويا من نقضتَ عهدًا مُحْكَمًا، ويا من ثققلت في أداء فرضك، ويا من تقاعست عن نصره دينك وإخوانك، ويا من اغتبت ونمت، فدونك شهرُ التوبة، فبادر إلى الإنابة إلى الله ما دمت في زمن الانتظار، وأقلع عن الذنوب والأوزار، وأظهر الندم والاستغفار، يقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ»⁽²⁾، ويقول تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾، (سورة هود: 03).

أيها المقبل على الصيام:

(1) الترمذي، السنن، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال، رقم: 3451.

(2) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، رقم: 2759.

إنك في رمضان تُجوع جسدك، لتغذى روحك، وتسمو نفسك، ومن ثم تحصل التقوى في قلبك، ويتحقق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، (سورة البقرة: 183).

ومعنى التقوى، أن نجعل بيننا وبين ما نخافه من غضب الله وسخطه وقايةً وحاجزاً، ورمضان شهر التوبة والطاعات اتِّقاءً لسخط الله وخوفاً من غضبه، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جُثِيًّا﴾، (سورة مريم: 71).

والتقوى سبب قبول الأعمال، وشرط لصحة الصوم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، (سورة المائدة: 27)، فلا يكون قبول الصوم من المستهزئين، ولا من اللاهين، ولا من المعتبرين الصوم عادة، أو فلكلورا أو أتباعاً للناس..

والتقوى تحرس القلب، من إفساد الصوم بالمعصية، والاشتغال بالشهوات، والاهتمام ببرامج التلفزة، والنظر إلى العري ليلاً أو نهاراً.

والوقاية من خوف الله يجنبنا الانغماس في الطيبات، والجري وراء أنواع المأكولات والمشروبات، وبهذا نحفظ صومنا من الثُّرْهَات، ونبلغ قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، (سورة البقرة: 185).

اللهم تقبل توبتنا، واجعلنا من المتقين، ولا تجعل فينا ولا منّا ولا ممن معنا معاشر المسلمين والمسلمات شقيّاً ولا محروماً، يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.. ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، (سورة الكهف: 10).

يا أحباب الرحمن:

يحسن بنا أن نستنير من فضائل الشهر الكريم ومن توجيهاته الربانية، حتى نربي أنفسنا على التقوى والإيمان، ونغذي طاقتنا بالطاعة والإسلام، فنستفيد من نفحاته طوال سنة كاملة إن شاء الله.

1- يقول رسول الله ﷺ في حديث قدسي: «كلُّ عملٍ ابنِ آدمَ له إلاَّ الصيامَ فإنه لي وأنا أجزي به»⁽¹⁾. فالله يضاعف أجر الصيام بغير حصر لأن الصيام من الصبر وقد قال الله تعالى: ﴿أَمَّا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، (سورة الزمر: 10).

2- خصَّ الله هذا الشهر بتنزيل أول آية من كلامه تعالى، وقال عن هذا الشهر: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾، (سورة البقرة: 185)، فلنتعهد القرآن في شهر القرآن، ونتلوه كثيرا، ونستغرق الوقت الكافي للتمعن في تفاسيره وآلائه وآياته الكريمة، حتى يفيض علينا من نوره، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾، (سورة النساء: 174).

أمة الإسلام:

علينا ألا نكتفي بوقت ضيق، ولا بدقائق معدودة في تلاوة كلام الله العزيز.. ولنا في انتظار آذان المغرب في المسجد فرصة سانحة لمعاهدة القرآن، وغنيمة للذكر والتسبيح في ذلك الوقت المشهود الذي قال الله فيه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾، (سورة طه: 130).

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، رقم: 1904.

(130)، وبعد ذلك كلُّ يصلي المغرب جماعة في مسجد حيه، ثم نتوجه إلى بيوتنا لنكمل بقية الفطور، ولا أخال يتخلف عن هذا الخير غير مريض أو مفلس الحسنات.

3- يقول الحبيب محمد ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»⁽¹⁾، فلنعاهد صلاة التراويح، ولا نستسلم لمغريات الشيطان، فنخرج ولم نصل غير اليسير، ولتكن هذه الصلاة بخشوع وتدبر، حتى نكون ممن قال الله فيهم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، (سورة المؤمنون: 01).

4- لتتدرب يا عباد الرحمن على قيام الليل، ونقرع باب الله قرعَ التائبين المنيبين، الراجين الخائفين، ونتعلم البكاء إلى الله من ذنوبنا، ونشكوا له حالنا بتضرع وخشوع وتذلل المساكين، ونحسن الدعاء إلى الله لتحسين حالنا وحال المسلمين، وطلب الشفاء للمرضى والمحتاجين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، (سورة البقرة: 186).

أيها المؤمنون:

اعلموا أنه بقيامنا للعبادة في الليل نكون قد انسجمنا مع طريقة آذاننا في ليال رمضان، حيث يسبح ساعتين قبل الفجر، (بداية بـ"آشات")، والمقصد منها الترغيب للاستيقاظ وشهود فضل هذه العبادة التي زهدنا فيها كثيرا جراء السهر الكثير، والأكل المضاعف، والسمير اللاهي، فضيعنا بذلك صفات الممدوحين في القرآن ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، (سورة السجدة: 16)، وقوله: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، (سورة الذاريات: 18).

5- لنحرص يا أحباب الله على صلاة الفجر، فإن رسولنا ﷺ أوصانا أن نؤخر

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، رقم: 37.

السُّحُور، فقال: «لَا تَزَالُ أَمَّتِي بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْإِفْطَارَ وَأَخَّرُوا السُّحُورَ»⁽¹⁾، فتسحر ولو بتمرّة وشربة ماء، لتجد نفسك نشيطا ومجتهدا، فتغتني ذلك للتوجه إلى المسجد فتصلي مع المؤمنين صلاة بشر بها الحبيب ﷺ فقال: «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽²⁾.

أيها المصلون:

لننفر جميعا إلى المساجد؛ صغيرا وكبيرا، ركبانا ورجالا، ولا يتخلف عنا غير متصف بصفات النفاق، لقوله ﷺ: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا»⁽³⁾.

6- لنعاهد السماع إلى المواعظ الحسنة، والذكر الطيب، لأجل الانتفاع بها، وإسقاطها على أنفسنا، فتخشع بذلك جوارحنا، وتتطهر نفسيتنا من الغل والحقد والحسد وسوء الظن وكل المهلكات القلبية، ولا تجعل أخي المسلم استماعك للموعظة متعة ومفاخرة، وسيلا لتفضيل الواعظين وقياس مواهبهم، وإنما ركز على نفسك وارعها عن غيرها، فإذا فعلت فأنت عظيم.

7- أيها الإخوة المؤمنون: نسيم القبول هبّ، باب الخير مفتوح لمن أحبّ، فسارع أخي الصائم إلى الخير بكل أصنافه، فإنّ رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَتُحْتِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتْ (قيدت بالسلاسل والأغلال) الشَّيَاطِينُ»⁽⁴⁾، فيا

(1) الربيع، الجامع الصحيح، باب في العلم وطلبه وفضله، رقم: 320.

(2) الترمذي، السنن، أبواب الصلاة، باب فضل العشاء والفجر في الجماعة، رقم: 223.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة، رقم: 657.

(4) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، رقم: 1079.

باغي الخير أقبل، وانشط في رمضان، واعلم أن رسولنا محمد ﷺ كان له هذا الشهر، فرصة لزيادة الإنفاق، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ»⁽¹⁾. فلا تنسوا إخوانكم الفقراء والمساكين، والأرامل والأيتام، وطلبة العلم، ﴿وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾، (سورة النور: 33)، ولا تبخلوا، فإنه ﴿مَنْ يَتَّبِعْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾، (سورة محمد: 38)، فأسعدوهم بقفة غذائية تخفف عنهم ثقل ميزانيتهم، وطيبوا قِدرهم بقسط من اللحم يوميا يحلو به طعامهم فتناولوا أجر من فطر صائما، وتنزل الرحمت بين المسلمين، وتنشر الصدور للإسلام.

8- أيها الشباب المسلم: لنجعل هذا الشهر سبيلا للدعوة إلى الله، كل حسب قدرته واستطاعته، ولنجتهد اجتهاد الرسول ﷺ في هذا الشهر، وهو الذي وصفته زوجته عائشة رضي الله عنها قائلة: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ»⁽²⁾.

أيها الغيورون على دينكم:

لنعلم أن في بلدتنا شبابا غرهم زخارف الحياة، فكبلتهم شهواتهم، واستكانوا إلى نفسيتهم المريضة، فأضحوا شاربى خمر، ومدمني مخدرات، ومدخنين في المقاهي، ومادام غالبية هؤلاء الشباب لا يحضرون مجالس الذكر ولا يرتاحون فيها، فلتكن لنا معهم وقفة جريئة، ودعوة صريحة، ولنبدأ الفعل الواقعي الميداني، ولا نكتفي بالقول والتخطيط النظري، ولنعقد معهم لقاءات متواصلة قبل الإفطار وبعدها، وذلك في أماكن راحتهم مساء، وفي

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: 1902.

(2) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان، رقم: 1175.

مقاهيهم ليلاً، نذكرهم، ونعظهم، ونستمع إلى همومهم.. يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، (سورة العنكبوت: 06).

9- لنغنم أيها الصالحون الشهر للتخطيط لمجتمعنا، وإرادة الخير لأمتنا، والسعي إلى تحسين أوضاعنا، وتكثيف جهود التأطير والعمل الاجتماعي في مزاج وخارجنا، داخل الوطن وخارجنا، اقتداءً بجهد رسولنا ﷺ في مثل هذا الشهر، فإن غزوة بدر وفتح مكة كانتا في رمضان، لنجعل هذا الشهر المبارك قفزة نوعية لأمتنا في مختلف المجالات؛ الشرعية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والله لا يضيع أجر المحسنين.

10- ندعو أمهاتنا إلى اغتنام الشهر الفضيل بحضور مجالس الذكر، ونأمل من فتياتنا المتعلّمات عقد محاضرات توعوية وتثقيفية لبناتنا، ليتعلّمن أمور دينهن، ويتحصّن من مغريات الإعلام ومفاته، ويستبصرن بالشرع الحنيف في حديثهن مع غير محارمهن وفي صفات الحجاب الشرعي.

11- أيها المقبل على الصيام: من نافلة القول أن أنبهك إلى آفة الغضب والشحناء، والسب وكلام البذيء، لأنك مستحضر دائماً قول الرسول ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»⁽¹⁾، وقوله أيضاً: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُخَيَّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»⁽²⁾.

لكن لا يفوتني أن أحذرك مما أعدّه أهل الانحلال والفساد في بعض الفضائيات إلى انتهاك حرمة رمضان، وتدني شرفه، واعلم أن هؤلاء قومٌ مفسدون لا يبالون ذمّاً، ومضلون

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، رقم: 1903.

(2) أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً، رقم: 4779.

لا يخافون لَوْمًا، ومجرمون لا يراعون فطرًا ولا صومًا، وأنت ببرنامحك اليومي المكثف بين عملك وطاعتك وذكرك الكثير -وليس القليل- في غنى عنهم وعن لهوهم في أوقات استجابة الدعاء؛ في صباح رمضان، أو في مائدة الفطور، أو في جلسة السمر العائلي.

نسأل الله تبارك تعالى أن يبلغنا رمضان، ويجعل حظنا منه الرحمة والمغفرة والعتق من النار، ويتقبل قيامنا وركوعنا وسجودنا وكل أعمال البر في هذا الشهر الكريم.

اللهم أعنا على أن نصوم نهاره صوم المتقين، وأن نقوم ليله قيام العابدين، وأن نخلص في أعمالنا وأقوالنا لله وحده لا شريك له.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، وارفع بنا راية الإيمان، واعل بنا كلمة القرآن، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سحاء وأمنًا ورخاء، وسائر بلاد المسلمين، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، (سورة آل عمران: 147).

عباد الله: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، (سورة الأحزاب: 56)، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، أقم الصلاة⁽¹⁾.

الجمعة 28 شعبان 1432هـ / 29 جويلية 2010

(1) هذه أول خطبة ألقيتها في المسجد.

الاعتناء في شهر رمضان⁽¹⁾

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وسبحانه الذي يؤتي ملكه من يشاء، وينزعه عمن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

يا أحابيب الرحمن:

يحسن بنا أن نستتير من فضائل الشهر الكريم ومن توجيهاته الربانية، حتى نربي أنفسنا على التقوى والإيمان، ونغذي أجسامنا بالطاعة والإسلام، فنستفيد من نفحاته طوال سنة كاملة إن شاء الله.

- يقول رسول الله ﷺ في حديث قدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»⁽²⁾.

فالله يضاعف أجر الصيام بغير حصر لأن الصيام من الصبر وقد قال الله تعالى: ﴿أَتَمَّا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، (سورة الزمر: 10).

وكذلك قد خص الله هذا الشهر بتنزيل أول آية من كلامه تعالى فيه، فقال عن هذا الشهر: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾، (سورة البقرة: 185)، فلنتعهد إخوة الإيمان القرآن في شهر القرآن، ونتلوه كثيراً، ونستغرق الوقت الكافي للتمعن في تفاسيره وآلائه وآياته الكريمة، حتى يفيض علينا من نوره، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم

(1) اكتفيت بتدوين الخطبة الثانية فقط، باعتبار أن الخطبة الأولى لها شبه بالخطبة الأولى لما سبق تحت عنوان: "الاستعداد لرمضان، وفضله".

(2) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، رقم: 1904.

بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ (سورة النساء: 174).

أمة الإسلام:

علينا ألا نكتفي بوقت ضيق، ولا بدقائق معدودة في تلاوة القرآن.. ولنا في انتظار آذان المغرب في المسجد فرصة سانحة لمعاهدته، وغنيمة للذكر والتسبيح في ذلك الوقت المشهود الذي قال الله فيه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾، (سورة طه: 130)، وعلينا أن نُفطر جماعيا في المسجد مما ينعم به المسلمون من التمر من باب نيل أجر إفطار الصائم، واتخاذ الأسباب لالتقاء القلوب وتعارف الأحبة الذين يعيشون في الحي الواحد، لذلك أدعوكم إخوتي الصائمين ألا تزهّدوا في هذا الخير، ولا تفضلوا طبق تمرٍكم ووعاء حليبكم على طبق وأعية المسلمين، وفي هذا تدريب على التعايش الجماعي، وتوطين للنفس على التنازل من الرغبات الشخصية لأجل المصلحة العامة، وسبيل لتكوين أمة متعاونة متحابّة تنبذ الأنانية وحب الذات، وتتخلى عن الاعتزاز بالرأي الشخصي الفردي على حساب الرأي الذي تم بالمشورة الجماعية.

- ودائما مع رمضان فإن الحبيب محمد ﷺ يقول: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»⁽¹⁾، فلنعاهد صلاة التراويح، ولا نستسلم لمغريات الشيطان، فنخرج من المسجد ولم نصل غير اليسير، ولتكن هذه الصلاة بخشوع وتدبر، حتى نكون ممن قال الله فيهم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، (سورة المؤمنون: 01-02).

- ولنتدرب عباد الرحمن على قيام الليل، ولنقرع باب الله قرع التائبين المنيبين، الراجين الخائفين، يقول الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، (سورة السجدة: 16)، ويقول أيضا: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، رقم: 37.

يَسْتَغْفِرُونَ»، (سورة الذاريات: 17-18). ولتتعلم في هذا الشهر البكاء إلى الله من ذنوبنا، ونشكو له حالنا بتضرع المساكين وخشوعهم وتذللهم، ولنخلص الدعاء له تعالى ليحسن حالنا وحال المسلمين، ويشفي مرضانا ويقضي حوائجنا، ويبعد عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويغشنا بغيث نافع، يقول الرحمن تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، (سورة البقرة: 186).

- ونحرص يا أحباب الله على صلاة الفجر، فإن رسولنا ﷺ أوصانا أن نؤخر السحور، فقال: «لَا تَزَالُ أُمِّي بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْإِفْطَارَ وَأَخَّرُوا السُّحُورَ»⁽¹⁾، فتسحر ولو بتمرة وشربة ماء، لتجد نفسك نشيطا ومجتهدا، فتغنم ذلك للتوجه إلى المسجد فتصلي مع المؤمنين صلاةً بشر بها الحبيب ﷺ فقال: «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽²⁾.

أيها المصلون: لننفر جميعا إلى المساجد؛ صغيرا وكبيرا، ركبانا ورجالا، ولا يكن فينا متصف بصفات النفاق، لقوله ﷺ: «ليس صلاةٌ أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا»⁽³⁾. ولنعاهد ربنا أن نلتزم بهذه الصلاة وغيرها في كامل أيام السنة، وبالأخص في أيام الصيف التي يكون فيها الليل قصيرا، والنوم ثقيلا.

- **أيها الإخوة المؤمنون:**

نسيم القبول هبّ، باب الخير مفتوح لمن أحبّ، فسارع أخي الصائم ووقت الإفطار والسحور، إلى الخير بكل أصنافه، فإن رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَتُحْتَفَتُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ

(1) الربيع، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب ما يفطر الصائم ووقت الإفطار والسحور، رقم: 320.

(2) الترمذي، السنن، أبواب الصلاة، باب فضل العشاء والفجر في الجماعة، رقم: 223.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة، رقم: 657.

النَّارِ وَصُفِّدَتْ (قيدت بالسلاسل والأغلال) الشَّيَاطِينُ»⁽¹⁾، فيا باغي الخير أقبل، وانشط في رمضان، كنشاط رسولنا محمد ﷺ في هذا الشهر، ومن أهم الأنشطة الإنفاقي في سبيل الله تعالى: فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ»⁽²⁾.

فلا تنسوا إخواني في الله إخوانكم الفقراء والمساكين، والأرامل والأيتام، وطلبة العلم، ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾، (سورة النور: 33)، ولا تبخلوا، فإنه ﴿مَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾، (سورة محمد: 38).

واجتهد أيها المنفق بسخاء في البحث عن المشاريع الخيرية في البلدة، وبخاصة المشاريع العلمية التي أقيمت لتسد ثغرات واسعة في الأمة، فهي تستغيث مع أن الأمة في أمس الحاجة إليها، وبذلك تشارك في إقامة صرح الأمة، وترصيص بنيانها الحضاري، ثم اجث عن المشاريع التربوية، والثقافية، والاجتماعية، واعلم يقينا أن الله يقول: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، (سورة سبأ: 39)، ولا تترك الشيطان يشبك بأكبكم بأب المشاريع كثيرة، لتتهرب من أداء الواجب الشرعي، وتزهّد في تركية مالكم، وتحصين رصيدكم، وشكر رازقكم.

- أيها الغيرون على دينكم:

لنعلم أن في بلدنا شبابا غرهم زخارف الحياة، فكبّلتهم شهواتهم، واستكانوا إلى نفسياتهم المريضة، فأضحوا شاربين خمر، ومدمني مخدرات، ومدخنين في المقاهي، ومادام غالبية هؤلاء الشباب لا يحضرون مجالس الذكر ولا يرتاحون فيها، فلتكن لنا معهم وقفة

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، رقم: 1079.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم: 3220.

جريئة، ودعوة صريحة، ولنبدأ الفعل الواقعي الميداني، ولا نكتفي بالقول والتخطيط النظري، ولننقد معهم لقاءات متواصلة، وليالي سمرية إيمانية نذكرهم فيها وأنفسنا بالله، وننصحهم بالتقوى والخوف من الجليل، وذكر هادم اللذات، وعدم الاغترار بالصحة والفتوة، وترك الانقياد وراء الناعقين الذين يجرونهم إلى الفساد؛ سواء كانوا من أبناء البلدة أو غيرهم، ممن يشتركون ذمهم ويوجهونهم حسب أغراضهم ومصالحهم الدنيئة، ونذكرهم أنهم سيحاسبون فرادى، وأنهم سيتخاصمون مع كبرائهم يقينا كما قال تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ ۖ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ، وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، (سورة سبأ: 31-33).

- أيها المقبل على الصيام:

من نافلة القول أن أنبهك إلى آفة الغضب والشحناء، والسب والكلام البذيء، لأنك مستحضر دائما قول الرسول ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»⁽¹⁾، وأدعوك بكل ثقة أن تتخلى نهائيا عن الاستماع إلى المهاترات الكلامية في كل القنوات الفضائية، فهي مضیعة كلیة للوقت، وإهدار للزمن المبارك في رمضان، واشتغال بالنظر إلى المفاتن والفسق في شهر الطهر والعفاف.

- ولنغتنم أيها الصالحون الشهر للتخطيط لمجتمعنا، وإرادة الخير لأمتنا، والسعي إلى

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم: 1903.

تحسين أوضاعنا، وتكثيف جهود التأطير والعمل الاجتماعي في مزاب وخارجها، داخل الوطن وخارجها، اقتداءً بجهاد رسولنا ﷺ في مثل هذا الشهر، فإن غزوة بدر وفتح مكة كانتا في رمضان، ولنغتني هذا الشهر فنوجة أبناءنا لتحفيظ القرآن الكريم، فهو شهر الغنيمة والنجاح المؤكد، شهر يريح فيه الإنسان النشيط أضعافاً مضاعفة مما يناله في باقي أيام السنة، ولجتمعننا والحمد لله نماذج ميدانية طيبة مع تحفيظ القرآن الكريم في رمضان للذكور (مجمع القرآن انثيسة)، والإناث (دار العلم باحنينوح)، فإن نتائج استظهار أرباع القرآن كانت بالعشرات، فضلاً عن أنصاف القرآن وكامله أيضاً، والحمد لله.

وللتأكيد على فضل استغلال الشهر للمبرات فإنه أنجزت في رمضان العام الماضي تجربة تدريس طلبة الثانية ثانوي في شهر رمضان، بنفس برنامج الذي أعد لتحفيظ كلام الله فكانت تصريحات الأساتذة أن بعضهم استطاعوا استدراك حوالي 70 في المائة من المقرر الدراسي الذي ضيعه الطلبة بسبب الأحداث والفتنة المفتعلة في ولايتنا.

ندعو الله أن يرفع عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وندعوه أن يوفق أبناءنا للنجاح في الامتحانات الرسمية والحرّة، وبخاصة شهادة البكالوريا، كما ندعوه تعالى أن يوفق الناجحين والناجحات ويشرح صدورهم وصدورهن إلى اختيار مهنة التدريس وسد الثغرة السوداء التي تعاني منها الأمة في كل المدارس الرسمية والحرّة.

نسأل الله تبارك تعالى أن يبلغنا رمضان، ويجعل حظنا منه الرحمة والمغفرة والعتق من النار، ويتقبل قيامنا وركوعنا وسجودنا وكل أعمال البر في هذا الشهر الكريم.

اللهم أعنا على أن نصوم نهاره صوم المتقين، وأن نقوم ليله قيام العابدين، وأن نخلص في أعمالنا وأقوالنا لله وحده لا شريك له.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، وارفع بنا راية الإيمان، واعل بنا كلمة

القرآن، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا، سخاء وأمنا ورخاء، وسائر بلاد المسلمين، ﴿رَبَّنَا
اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، (سورة آل
 عمران: 147). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله

25 شعبان 1436هـ / 11 جوان 2015

القرآن، ووداع رمضان

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْقُرْآنَ نُورًا يَهْدِي بِهِ قُلُوبَنَا وَيُشْرِحُ بِهِ صُدُورَنَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْقَائِلُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾، (سورة النساء: 174).

وأشهدُ أنَّ سيدنا محمداً عبدُ الله ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، (سورة البقرة: 281).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، (سورة فصلت: 42)، وَهُوَ الْهَادِي إِلَى طَرِيقِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ دَسْتُورُ حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْهَجُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ.

بِهِ تَحْيَا الْقُلُوبُ، وَتَسْكُنُ النَفُوسُ، وَتُسْتَقِيمُ الْجَوَارِحُ.

وَهُوَ جَمَالُ الرُّوحِ؛ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ نَجَّى، جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَصْمَةً وَهَدًى وَرَحْمَةً وَشِفَاءً، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، (سورة الإسراء: 82).

وَإِنَّ الْقُرْآنَ يُحْيِي الْبُيُوتَ بِنُورِهِ، وَيُطْرَدُ مِنْهَا الشَّيَاطِينُ بِقُدْسِيَّتِهِ وَجَلَالِهِ، وَمِنْ هُنَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ أَنَّ الْبَيْتَ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَخْرُجُ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ وَيَتَسَّعُ بِأَهْلِهِ وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ.

عِبَادَ اللَّهِ:

جماع الكلم أن القرآن نورٌ، ومن أراد أن يحصل على نوره فليحرص على قراءته واتباع منهجه، ومن أعرض عنه وهجره حُرِمَ نور القرآن وحُرِمَ الخير كله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾، (سورة النور: 40).

ومادام أنه نور يستضاء به، فلا بد أن ينعكس هذا النور على حياتنا؛ فتعامل به في أخذنا وعطائنا وبيعنا وشرائنا وجميع أحوالنا. فإذا تكلمنا تكلمنا بصدق، وإذا نصحننا نصحننا بحكمة وعلم، وإذا أعطينا أعطينا بأمانة، وإذا عملنا عملنا بإتقان، وإذا أخذنا أخذنا بحق، وإذا اشترينا وبعنا اشترينا وبعنا بدين ورحمة، وإذا ورثنا أخذنا حقنا من غير ظلم وتعد، وإذا اشتركنا في تجارة أو وظيف أو مشروع تعاشرنا بالحسنى والكلمة الطيبة، وإذا اقترضنا التزمنا برد الدين إلى أهله، دون مماطلة ولا مواراة عن صاحب الدين، وإذا عملنا في حقل دعوي أو اجتماعي استحضرنا الوجهة لله في القول والفعل، وجعلنا لقاءنا إيمانية يباهي بها ربنا ملائكة عرشه وملائكته في السماء.

كل هذا وأكثر أيها الطيبون يستضاء به من نور القرآن الكريم، هذا الكلام المبارك من رب العزة، الذي يكون نبراسا للمؤمنين به حقاً، والمستيقنين بهداه فعلاً، والمقرين بفعاليته لكل حركة وسكون في حياتنا، وهذا ما جعل قدوتنا وحبيبنا محمداً ﷺ يوصف من قبل حريمه عائشة رضي الله عنها بأنه: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»⁽¹⁾.

أيها المؤمنون:

إزاء خير القرآن الكريم وأثره على حياتنا ومستقبلنا الدنيوي والأخروي، فهناك الكثير مما هو عندنا أهم من القرآن الكريم، الذي اتخذته الكثير منا ظهيراً، وأعرض عنه وعن نوره

(1) أحمد، المسند، الملحق المستدرک من مسند الأنصار، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، رقم:

وخلقه لانشغال الناس بأمور كثيرة تستغرق أغلب فترات راحتهم مثل:
متابعة الأخبار اليومية عبر مختلف الملهيات الفضائية، والتفاعل الإيجابي مع كل
الأحداث الوهمية.

الإقبال على الصحف اليومية وقرأت صفحاتها بشغف ونهم، لأن منها يستشف
أكسجين الحياة.

الإبحار عبر مواقع التخريب الاجتماعي، والمسامرة بالمساجات في العمل واللقاءات
وأثناء الأكل وقبيل النوم وأثناء الاستيقاظ السريع وبعد الشبع من النوم، لأن كوكابين
التواصل الافتراضي غط كلية على الحضور الواقعي للإنسان، وعلى مجاهدة الحياة بجلوها
ومرها.

التفرج على مباريات كرة القدم والإنصات إلى الخبراء وهم يحللون اللعب بجلدة منفوخة
تترامى ذات اليمين وذات الشمال.

متابعة فتياتنا وشاباتنا بخشوع وانفعال نفسي شديد لمحريات حلقات مفتوحة
لمسلسلات مائعة، والانشغال الكلي بحفظ أسماء نجوم الفسق والمجون، ومتابعة تفاصيل
زواجهم وطلاقهم المتكرر بشوق ورضا نفس.

الجلوس في الطرقات للحديث الشكلي الجانبي مساء، والعودة خارج المساجد بين
المغرب والعشاء للاستنارة بالمستجدات الحياتية، وتبادل المعلومات الضرورية واليقينية عن
الوقائع.

أيها المؤمنون:

واقعنا مرير، وأمرنا في خطر، وحياتنا في نكد إلى أشد نكد، وهجراننا لربنا لا يورثنا إلا
خبالا وخسرانا، وإعراضنا عن ربنا لا يزيدنا إلا ضلالا وشقاء، ورسولنا قد اشتكى أمام رب

العزة عن حال قومه، وها هو يشتكي عن حال أبناء أمته الذين آمنوا به قولاً وشكلاً، وأعرضوا عنه فعلاً وبقيناً، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾، (سورة الفرقان: 30).

لنجعل إخوة الإيمان فرصة رمضان هذه مراجعة جذرية لعلاقتنا بالقرآن، ولنجدد النية فعلاً وقولاً وتصريحاً، بأن نقول: يارب أرجعنا إلى نورك، ويا ربنا لا تباعد بيننا وبين رحمتك، ويا ربنا باعد بيننا وبين شيطاننا، ويا رب اعقد قلوبنا على حبِّ ذكرك والأنس بهديك، والاستضاءة الفعلية بتوجيهاتك، والاستجابة لأوامرك واجتناب نواهيك في حلنا وترحالنا.

يارب حببنا إلينا القرآن، ووطن قلوبنا على تلاوته بعد رمضان، ويا رب لا تجعل الإجازة الصيفية وبرامجها وأسفار الاسترخاء بعد العناء تنسينا تذكرك وشكرك وتلاوة أقساط من كلامك يومياً، وأعنا على ذكرك ورفع مصحفك يومياً بين أيدينا، وأزل العجب والعظمة من نفوسنا العازفة عن شهود مجالس القرآن في بيوتك التي أذنت أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وأعن المؤطرين في تربصات الصلاة أن يبرمجوا حصصاً في مسجد كل حي يسكن فيه المتربص، ويدربوهم على شهود المجالس التي تحضره الملائكة، ولعلنا بذلك نصحح كبرياء الآباء والشباب الذين جعلوا القرآن وراءهم ظهرها.

اللهم حبب كلامك إلى أفئدتنا، واجعله نبراساً نستنير به في ظلمات حياتنا، ومرشداً يعيننا على شكر نعمك في السراء والضراء، اللهم ذكّرنا منه ما نسينا، وعلمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يُرضيك عنا، يا رب العالمين.

الخطبة الثانية

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد ألا إله إلا الله،
وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: أيها المؤمنون:

أدعو نفسي وإياكم إلى مزيد الإقبال على كتاب الله تلاوة وحفظاً، وتمتعنا وتدبراً،
وعملاً وسلوكاً، والتزاماً وتسامحاً، وتراحماً وتشاوراً، نريد أن نرى كتاب الله في حياتنا، ونعيشه
بأحاسيسنا وأرواحنا ليرقى بنا في الدنيا قبل الآخرة.

إخوة الإيمان:

أيام قليلة تفصلنا عن موعد انقضاء شهر القرآن والقربات، شهر الصبر والتقوى، شهر
الصدقة والرحمة، شهر المغفرة والعشق من النار، فهو كعاداته يأتي سريعاً ويمضي سريعاً، وفي
قراءة أسبوع سنودعه وتبقى الأعمال الحيرة التي اجتهدنا فيه نرجو ذكرها عند ربنا تبارك
وتعالى، ﴿يَوْمَ نَجْذُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾، (سورة آل عمران: 30)، وعندما ينادي
المنادي حسب ذكر الرسول ﷺ: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفّيكم
إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه»⁽¹⁾.

رمضان سوق فتح وسيغلق، ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر، فمن كان محسناً
فليحمد الله وليسأل الله القبول فإن الله جل وعلا لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ومن كان
مسيئاً وغافلاً عن ترك دخانه، وعن تأخير صلاته، وعن مجالسة قرناء السوء، وعن الكلام
في الغيبة، وعن مشاهدة الفروج والعورات، وعن الاستماع إلى الغناء الماجن وأصوات
العاهرات، وعن الشحناء والبغضاء، وعن قطع ما أمر الله به أن يوصل، فليتب إلى الله،

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم: 2577.

وليسارع إلى ربه باكيا متبتلا راجيا أن يرفع عنه البلاء والعذاب الدنيوي فضلا عن العذاب الأكبر، وليدعوه أن يغفر له ما سلف من الزلل، ويوفقه وإياي للتوبة النصوح قبل حلول الأجل.

أيها الأحبة:

إنّ لنا في قرب انقضاء رمضان عبرة وعظة، فستنقضي أيامه وكأنّها طيفُ خيالٍ، ويبقى لنا أن نتزود في باقي أيام السنة بنفحات هذا الشهر الكريم، ونبرمج أيام فطرنا على وتيرة الطاعة التي تدرّبنا عليها في رمضان، وندعو الله بإخلاص أن يثبتنا بعد رمضان، ويجعلنا من أهل التقوى والرضوان، ويغفر لنا ما قدمنا من ذنوبنا وما أخرنا، ويوفّقنا إلى العمل بمقتضى أمر ربنا، ويجنبنا المعاصي ما ظهر منها وما بطن، ويزيل عنا كل وسوسة وعجب بأعمالنا فينسينا الشيطان أنفسنا بعد الفطر، ونقلب شياطين في الأرض، وغافلين عن ذكر ربنا، وفاتحين لكل أبواب الشر والظلم، فلا نراعي في الله لومة لائم، ونظلم بعضنا بالأوساخ في الطرقات والوديان، ونظلم أنفسنا بملابسنا المثيرة للشهوات، ونظلم أنفسنا بالسنة حداد، فنغمز هذا، ونسيء لهذا، ونتعدى على بعضنا في الأموال والأعراض دون قيد ولا اعتقاد حساب بين يد جبار شديد لا تخفى عليه خافية، ولا يحايي أحدا كذب بآياته واتخذ شيطانه قرينا وخليلا.

اللهم اجعلنا يا ربنا من الصنف الذي نقاه رمضان وصفّاه صفاء الصيام.
ومن القوم الذين يتألمون على فراق رمضان، لأنهم ذاقوا حلاوة العافية فهانت عليهم مرارة الصبر، وعرفوا حقيقة ربهم فهانت عليهم أنفسهم الأمارة بالسوء.
وعلموا أنهم محتاجون إلى ربهم لأنهم ضعفاء حقاً، وصاموا حقاً، وقاموا شوقاً.
وهم لوداع رمضان دموعهم تدفق، وقلوبهم تشقق، ولسانهم خائف يردد قائلاً: اللهم

تقبل منا أعمال الخير والبركات، ولا تحرمنا مرضاتك والجنة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَا سَابِقُونَ﴾،
(سورة المؤمنون: 57-61).

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، (سورة فصلت: 30).

فاللهم اجعلنا ممن استقاموا، ولا تخيب رجاءنا فيك بعد رمضان الخير.
واللهم تقبل منا صيامنا، واجعله كفارة لما سبق من ذنوبنا، وعصمة فيما تبقى من أعمارنا، وارزقنا أعمالاً صالحة ترضى بها عنا يا ذا الجلال والإكرام.
ربنا وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين.

المحور الثاني

العيد، والتضحية

الفرحة بعيد الفطر، والاستعداد لعيد الأضحى

الحمد لله رب العالمين، واسع الفضل والكرم والإحسان، والحمد لله الذي فضلنا بالإسلام وكرمنا بخير الأديان.

وأشهد أن لا إله إلا الله الكبير المتعال، وأشهد أن سيدنا محمداً نبينا وإمامنا، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فأوصيكم إخواني ونفسي بتقوى الله ولزوم طريق الاستقامة ففيه الفوز والريادة.

أيها الإخوة المؤمنون:

انظروا ماذا قدمتم لأنفسكم في رمضان؟ واستمروا عليه بعده وضاعفوه، وتقربوا إلى الله بأنواع الطاعات؛ فتلك والله هي التجارة الراجحة في أسواق الآخرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾، (سورة محمد: 33).

يا إخوة الإيمان: إني أدعوكم ونفسي أن تحافظوا على الطهر والعفاف اللذين تدرستم عليهما طيلة شهر رمضان، وأن تعزفوا عن مشاهدة القنوات الفضائية المائعة، وأن تستكفوا عن سماع الأغاني الماجنة في البيت والسيارة، وفي الحل والترحال، وأن تحاسبوا أنفسكم بعد صيام شهركم، كيف حالكم في الأسبوع الأول من العيد، وتطرحوا على أنفسكم هذه الأسئلة بصدق:

هل لا زلتُ تالياً للقرآن بنفس الوتيرة في شهر القرآن؟ وهل أنا أحضرُ إلى المساجد في كل الصلوات وبالخصوص في صلاة الفجر؟ وهل لا زلتُ متعلقاً بفعل الخيرات وأشتهي القربات وأعمال البر؟ وهل أبتغي تحقيق المزيد من الإصلاحات في أمتي، وأسعى جاهداً لرفع شأنها في كل الميادين التي أتقنها وأحسن أدائها؟

أخي المؤمن: امثل بوصية الله في قرآنه الحكيم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾، (سورة النحل: 92)، ولنتواصى فيما بيننا بعدم العودة إلى المعاصي، وعدم الاستكانة إلى النفس الأمارة بالسوء، ولنصابر على مصاحبة الأخيار، يقول جل وعلا: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، (سورة الكهف: 28)، ولنهجر رفقاء السوء، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾، (سورة الكهف: 28)، ولنمثل بكلام سيد المرسلين ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»⁽¹⁾.

أخي في الله احذر مداخل الشيطان الذي يمنيك ويغريك، ويجرك إلى النار بدعوى أن لديك جبالا من الحسنات لا يضر معها معصية واحدة، ويزخرف لك القول ليوقعك في حباله ومخططاته الماكرة، أوليس هو القائل في كتاب الله: ﴿وَلَا ضَلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِّينَهُمْ وَلَا مُرْتَبِنَهُمْ فَلْيَسْكُنْ إِذًا الْإِنْعَامَ﴾، (سورة النساء: 119). وأكثر من دعاء الله بالثبات على الإيمان والهداية، وقل: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

أيها الأحبة الذين ابتهجوا بعيدهم في حُدودِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ، وَبَرُّوا وَالِدِيهِمْ فِي الْعِيدِ، وَوَصَلُّوا أَرْحَامَهُمْ، وَأَحْسَنُوا إِلَى جِيرَانِهِمْ، وَوَسَّعُوا عَلَى أَهْلِهِمْ، وَأَدْخَلُوا الْبَهْجَةَ فِي قُلُوبِ أَطْفَالِهِمْ، هنيئا لكم الالتزام بسنة نبيكم محمد ﷺ، وبشرى لكم زرعُ الفرحه في نفوس إخوانكم وأصدقائكم، والحمد لله أن وفقكم فأتيتم العيدَ بقلوب طاهرة نقيه، وبشفاه فرحة مستبشرة لكل من لقيكم في البيت أو الطريق، فجدير بكم أن تحافظوا على هذه الأخلاق الرفيعة، وتتواصلوا بالود والمحبة، وتعملوا سويا لغرس الألفة والوحدة بينكم، فترتقي بذلك إلى مصاف أهل الجنة الذين قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا

(1) أحمد، المسند، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم: 8417.

عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ (سورة الحجر: 47).

أيها المسلمون: علينا أن نتعلم من العيد أخلاقا رفيعة، نواظب عليها في كامل أيام حياتنا.

لقد فرحنا في العيد، وابتهجنا بالفوز السعيد، وسرنا فرادى وجماعات، راجلين وراكبين، دون صخب ولا هرج، ودون أن نشعل أبواق سياراتنا ابتهاجا بالعيد، ولا أن نغلق الطرقات راقصين على أصوات صاحبة تنهق كالحمر المستنفرة كما يحلو للبعض أن يفعل عند زواج أحد أصدقائهم، مصرين أن يخلعوا لباس الحياء ليلا من خلف محرابنا هذا ومن خلف مسجدنا العامر هذا.

لقد شاهدنا المسلمين جميعا في صباح العيد ومساءه بكل أطيافهم وأعمارهم، من المستقرين في البلد أو القادمين من كل نواحي المعمورة شرقا وغربا، يسيرون بنظام وهدوء، محترمين المارة والإشارات، ولا تسمع في الطرقات الواسعة أو الأزقة الضيقة سبا ولا لعنا، ولا ترى فيهم تضجرا ولا امتعاضا، الكل يسير لحاله، والكل يصل مبتغاه في الزمن المقدر له، ورجاؤنا أن نواظب على هذا الخلق الحضاري في كامل أيام السنة.

لقد وفق الله نساءنا وبناتنا أن يلبسن الحديد في العيد، ويتزينن بالحلي والفساتين الأنيقة الساترة، زادهن الله جمالا وبهاء، ولم يحتجن أن يكشفن ظهورهن ولا أن يعرين جيوبهن وصدورهن لمحارمهن ولا للنسوة مثلهن، كما تفعل بعض الشابات في مناسبات عيد الميلاد أو حفلات الأعراس، مشيعات بذلك الرذيلة والفحشاء بين الأمهات العفيفات، وغارسات بوادر أفعال المومسات الملعونات.

لقد حرصت المسلمات كثيرا على نظافة بيوتهن في العيد، واهتمت نساؤنا كثيرا بغسل زوايا ديارنا، ومسح جدران منازلنا، وهذا دليل على نبلهن، وصفاء معدنهن، ونقاء

جوهـرهن؁ فهـلا اقتـدـينا بـهن وحرصنا أـيـها الإخوة الأفاضل على تنظيف شوارعنا؁ واهتمـمنا بجمال طبيعتنا؁ وأزلنا الأوساخ من طرقاتنا؁ فلقد باتت مدينتنا بغير الوجه الصبـوح المعهود عند الخاص والعام؁ وعلينا أن نعاهد أنفسنا مسؤولين ورعاة أن نعيد الإشراقة إلى بلدتنا ونواظب على صفاء قصرنا العامر إن شاء الله.

اللهم اجعل عيدنا فوزاً برضاك؁ وقدوة لأفراحنا وأسعدنا في حياتنا؁ وألبسنا عافيتك.
اللهم يا مجيب الدعاء استجب دعاءنا وتضرعنا إليك؁ واللهم يا ربنا أعنا على الثبات بعد رمضان؁ واجعلنا ممن قبلتهم فأعتقت رقابهم من النار؁ واكتبنا مع من غفرت عنهم سيئاتهم ورفعت درجاتهم في العليين يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي سهّل لعباده سبل العبادة، ويسر لهم مواسم الشعائر، فما انتهى عيد الفطر حتى يستقبلنا عيد الأضحى ليغمرنا بفرحة وسعادة. وأحمده على صفاته الكاملة وأشكره على آلائه السابعة التي لا تُحصر. أما بعد:

عبدا الله: لقد شرع الله لنا عِبَادَاتٍ جَلِيلَةً، وَجَعَلَ لَنَا شَعَائِرَ عَظِيمَةً، وَسَنَّ لَنَا نَبِيًّا آدَابًا كَرِيمَةً، نَزَدَا بِهَا إِلَى رَبِّنَا قُرْبًا، وَتَتَضَاعَفُ بِهَا حَسَنَاتُنَا عَدَدًا، وَيُجْزَلُ الْمَوْلَى لَنَا بِهَا ثَوَابًا وَيُعْظَمُ لَنَا أَجْرًا، وَلَقَدْ حَثَّنَا تَعَالَى وَحَضَّنَا عَلَى تَعْظِيمِ شَعَائِرِهِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَى تَقْوَى الْقُلُوبِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، (سورة الحج: 32).

ومن تمام تقوى القلوب تعظيم العيدين، فقد فقال نبينا محمد ﷺ: «كان لكم يومان تلعبون فيهما وقد أبدلكم الله بهما خيرا منهما: يوم الفطر، ويوم الأضحى»⁽¹⁾. فعيد الفطر قد مر، وسيستقبلنا عيد الأضحى إن شاء الله نسأل الله البركة في العمر، والقوة على الطاعة وحسن العبادة.

وهذه إخواني جملة من التوصيات أود أن أسمعكم إياها ترغيبا في رفع إيمانينا في عيد الأضحى المبارك، وإحياء لما غفلنا عنه من سنة حبيبنا محمد ﷺ، مستعجلا بهذا الموضوع لتمام التحضير للعيد وسننه.

1- علينا بالإكثار من التكبير في عيد الأضحى، داخل المسجد وخارجه، في الطريق وفي الأسواق، لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾، (سورة البقرة: 203).

(1) النسائي، السنن، كتاب صلاة العيدين، باب بدء العيدين، رقم: 1767.

2- أوصيكم إخواني بالتضحية بالشاة يوم العيد بنية الذبح لله، لأنها سنة مؤكدة يثاب فاعلمها ولا يَأْتَم تاركها، قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾، (سورة الكوثر: 02)، وعن أبي هريرة ض أن النبي ﷺ قال: «من كان له سعة ولم يضح فلا يقربن مصلانا»⁽¹⁾، وقال أيضا: «ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله من إراقة دم»⁽²⁾.

فلا ينبغي أيها المؤمنون أن نزهد في إتيان هذه السنة باعتبار أننا نأكل اللحم في كامل أيام السنة، أو أننا منشغلون بأمور حياتنا؛ من التناول في بناء المسكن، وشراء السيارة، وترتيب مصاريف التجارة، أو أن نُعرض عنها لأجل وفاة قريب لنا، والله تعالى يقول في محكم كتابه الكريم: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾، (سورة الحج: 37). فادخر أيها المسلم درهمك من الآن لشراء أضحية يوم العيد.

3- لم يكتف الحبيب المصطفى بالتضحية بالشاة وإنما كان يتولى الذبيحة بيده الشريفة، فعن أنس بن مالك ض قال: «ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين، فرأيته واضعاً قدمه على صفاحيهما [نواحي العنق]، يُسمي ويكبر، فذبحهما بيده»⁽³⁾.

أيها المؤمنون إن الكثير منا يجهل الذبح بيده، ولم يجربه يوماً ما، مكتفياً بإسناد الأمر إلى الجزارين، لذلك أهيّب بشبابنا الغيور أن يُحيوا سنة نبينا محمد ﷺ وأن يتدربوا على الذبح، وذلك من خلال المشاركة في ذبيحة الأعراس، أو في ذبيحة شياه القرعات، أو التوجه إلى المذبحة العمومية.

(1) ابن ماجه، السنن، كتاب الأضاحي، باب الأضاحي واجبة هي أم لا؟، رقم: 3123.

(2) ابن ماجه، السنن، كتاب الأضاحي، باب ثواب الأضحية، رقم: 3126.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأضاحي، باب من ذبح الأضاحي بيده، رقم: 5558.

وأدعوك أخي المؤمن أن تتشجع للذبح، وستجد الله معيّنك بإذن الله، يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، (سورة آل عمران: 104).

4- رغب الرسول ﷺ كثيرا في الذبيحة يوم النحر وأيام التشريق -ثلاثة أيام بعد العيد- فقال: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ، وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ»⁽¹⁾. وقال أيضا: «من ذبح أضحيته من قبل أن يصلي، فليذبح مكانها أخرى، ومن لم يذبح، فليذبح باسم الله»⁽²⁾.

وإني لأدعو الله أن يوفق المحسنين بعدم الذبح قبل العيد، وبخاصة فيما يسمى "عيد الحجاج"، لأنهم يضيعون أجر الأضحية، وقد يتذرع بعض المنفقين بعدم تمكنهم من تبليغ الصدقات إلى أهلها يوم العيد، لذلك أدعوكم أيها الشباب المؤمن الغيور أن تهيكلوا أنفسكم وتعينوا المنفقين في عملية توزيع صدقاتهم يوم العيد، وبهذا تنالوا أجر تعظيم شعيرة الله، يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، (سورة الحج: 32). ويقول الرسول ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»⁽³⁾.

هذه بعض اللطائف الإيمانية، والخلجات الدعوية أردت الاستعجال بها قبل أوانها حتى يتمكن الساعون إلى الخير من تنظيم أنفسهم والاستعداد بجدة ليوم العيد، والاستباق لنيل فضل أيام الحج المباركات، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأضاحي، باب سنة الأضحية، رقم: 5546.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الذبائح والصيد، باب قول النبي ﷺ: فليذبح على اسم الله، رقم: 5500.

(3) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم: 2699.

تضحية سيدنا إبراهيم عليه السلام، ومعاني الأضحية في العيد

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا
كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ: تَجَدِيدَ التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ، لَأَنَّ التَّوْبَةَ إِلَى اللَّهِ شَرَفٌ لِلْعَبْدِ وَكَرَامَةٌ.
فَبِهَا يَسْعَدُ وَيَعْنَمُ، وَبِهَا يَفْرَحُ وَيَرْبَحُ. تُنَالُ بِهَا الْحَسَنَاتُ، وَتُحْطُ بِهَا السَّيِّئَاتُ. وَيَنْزِلُ بِهَا
الرِّزْقُ، وَيَدُومُ الْحُظُّ وَالتَّوْفِيقُ.

عباد الله:

لقد كانت حياة خليل الله إبراهيم عليه السلام رمزًا عظيمًا من رموز التضحية، وفداءً منذ
السنوات الأولى من حياته؛ إذ حطم الأصنام من أجل تحرير العقول وتفهمها، يقول تعالى:
﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا
يَنْطِقُونَ﴾، (سورة الأنبياء: 62-63)، ثم تواصلت تضحياته عليه السلام فواجه مجتمعه لوحده، واجهه
من أجل نبد الشرك وإصلاح النفوس، ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
يَضُرُّكُمْ، أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، (سورة الأنبياء: 66-67)، فكان
جزاء هذه التضحية الحارة، والإيمان العميق بالتغيير، والعمل على تحسين الأوضاع
وإصلاحها أن تكالب عليه قومه لإحراقه، ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ، فَأَرَادُوا بِهِ
كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾، (سورة الصافات: 97-98).

أيها العابدون المتقون: لقد استمرت التضحية عند سيدنا إبراهيم عليه السلام في صور أخرى وأشكال متعددة تُظهر حبَّ إبراهيم عليه السلام برب العزة والإنعام، وتُبين يقينه بالفوز والرشاد من ذي الجلال والإكرام، فهذا هو يضطر أن يهاجر بلده في سبيل العقيدة والدين، ويؤمر أن يترك كلَّ ما بناه وشيده ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، (سورة العنكبوت: 26)، فيفعل ذلك برضا نفس ويقين ثابت. ثم ها هو يؤمر كذلك بترك حبيبته ورضيعها في واد غير ذي زرع، استجابة لأمر ربه العزيز الوهاب، ولسانه يلهج بالدعاء للحنين المنان قائلا: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾، (سورة إبراهيم: 37).

إخواني الكرام:

ها هو سيدنا إبراهيم عليه السلام يواصل سلسلة تضحياته الطيبة، ويقدم نماذج ميدانية عن إذعانه لربه عن طوية صافية، وقلب سليم، وهذه المرة يكون الإذعان لبلاء مبین، إذ أمره جل وعلا من خلال الرؤيا الصادقة بذبح ولده العزيز وفلذة كبده، بعد أن انتظره مليا وبلغ من الكبر عتيا، حيث قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، (سورة إبراهيم: 39)، فيتوجه الوالد المفجوع والمعتصر شدة وحزنا إلى ولده يحاوره ويستأنس منه قبول أمر ربهما، فقال لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾، (سورة الصافات: 102)، وجاء الجواب من الابن البار بكل طوعية وسلاسة في القول، ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، (سورة الصافات: 102)، فكان الجواب الحكيم من الفتى الصغير كالثلج المتساقط على الجمر الحار، مخففا لهيب القلب الراضي بربه والمتحسر بفقدان عزيزه.. تلکم إخوة الإيمان آثار تقوى المربي وخشيته بربه، وتلكم أمارات جهد التربية السليمة في كنف عائلي إيماني، كل عارف

بربه، وكل ساع إلى الخير، وكل يخشى يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار، وتلكم أمارات
غرس الرفق والدفء والأسري، وحصاد زرع ثقافة الحب والحوار بين أبناء الرحم الواحدة.

أيها الآباء الطيبون: بعد الحوار السابق، والتربية الثابتة لم يبق لإبراهيم عليه السلام إلا حمل
السكين في وجه ابنه، لينادي به رب العزة واللطف، رب الرحمة والود: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ
لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ
الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾، (سورة الصافات: 103-106)، وهكذا يأتي الفرج للآمر والمأمور، ويتحول البلاء
العظيم بعد الاستسلام لله طواعية نعمة غالية، وتصير المحنة الشديدة بعد إخلاص النية لله
منحة مريجة، لينتهي مشهد الامتحان بنجاح، ويمتلئ القلب الراضي بقضاء الله وقدره
بفلاح، يقول تعالى: ﴿وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ، سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ،
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾، (سورة الصافات: 107-111).

أيها المسلمون: إن تضحية سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه وزوجته وابنه.. ليست مجرد
شعار يلاك، ولا كلمات تقال، إنما هي وقعة صادقة مع الله عز وجل، وجهاد في سبيل الله
بالغالي والنفيس، وصبر وثبات مع كل جليس، ومعاشرة بالحسنى مع كل منافس عسير.
وهي أيضا استجابة لله في السراء والضراء، وذبح للشهوات والرغبات الطائشة عند كل نداء
واشتهاء، وإخراج لكل ما تحبه النفوس من الإزراء والرياء، وترك لكل المعاصي والفواحش
الظلماء.

والتضحية أيها المؤمنون هي عمل جاد في سبيل الله، وعزم دقيق على حب العمل
التطوعي، وإنفاق سخي في المشاريع الخيرية، وجهاد متواصل في الحياة دون انقطاع والخلاص.
فإذا أدركنا أيها الصادقون فضل سيدنا إبراهيم عليه السلام على البشرية جميعا، علينا أن
نعقد جلسات عائلية حميمة لأجل دراسة حياة هذا النبي الكريم، وأن نعقد حلقات علمية

لاستخراج العبر والعظات من حوار مع قومه ووالده ومع ابنه إسماعيل عليه السلام، لأن حياته كلها عبر وعظات، ما أحوجنا إليها في هذا الزمن العصيب، فهو الذي يقول عنه رب العزة: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَعَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ، ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (سورة النحل: 120-123).

اللهم ألهمنا رشدنا أن نتبع ملة أبينا إبراهيم عليه السلام، وأعنا أن نبلغ تضحيته، ووفقنا أن نسير على هدي سلفنا الصالح في اقتفاء آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

اللَّهُمَّ يَسِّرْ أُمُورَنَا، وَاشْرَحْ صُدُورَنَا، وَاخْتِمِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا يَا ذَا الْجَلال والإكرام.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ستستقبلنا عشر أيام من ذي الحجة فاضلة معلومات،
لعظيم فضلها وشريف منزلتها قال عنها تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾،
(سورة الحج: 28)، وأقسم بها في كتابه عز وجل، فقال: ﴿وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، (سورة الفجر:
01-02)، وورد في أهميتها أيضاً أحاديث كثيرة، منها أن ابن عباس ض قال: قال رسول الله
ﷺ: «ما من أيامٍ العملُ الصالح فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيام»⁽¹⁾.

فهي أيام تكبير وتهليل، داخل المسجد وخارجه، في الطريق وفي الأسواق. وأيام ترغيب
على العمل الصالح، وأيام اجتماع وعز للمسلمين، يخصص فيها يوم للعيد الأضحى، وثلاثة
أيام بعده لأيام تشريق اللحم والتوسع على الأهل والأحباب والجيران. وهي أيام يحبس فيها
المرء نفسه عن الحرام والشبهات، ويدرب نفسه على استغلال وقته في النفع والمبرات، ويوطن
نفسه عن مشاهدة من يستخفون بعقله ويسفهون أحلامه.

واعلموا رحمكم الله أنه يستحب صيام هذه الأيام "أيام العشر من ذي الحجة"، أو ما
تيسر منها، وبالأخص صيام يوم عرفة لغير الحاج، فعن النبي ﷺ أنه قال: «صوم يوم عرفة
يكفر سنتين؛ ماضيةً ومستقبلةً»⁽²⁾. واشتهاء لعمل الحاج الميامين تابعوهم في وقفهم
بعرفات، تؤمّنوا مع دعائهم، وتلبوا مع تلييتهم، وتذكروا ربكم كذكركم لربهم، فيربط الله على
قلوبكم وقلوبهم، ويثبتنا وإياهم على الإيمان والصلاح إلى يوم الدين.

(1) أبو داود، السنن، كتاب الصوم، باب في صوم العشر، رقم: 2440.

(2) أحمد، المسند، تنمة مسند الأنصار، حديث أبي قتادة الأنصاري، رقم: 22535.

وما يتأكد عليك أيها المؤمن المعظم لشعائر الله في أيام ذي الحجة أن تضحى بالشاة يوم العيد تقرباً إلى الله بالذبح له، لأنها سنة مؤكدة يثاب فاعلها ولا يأثم تاركها، وجاء في فضلها ما يأتي:

- قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، (سورة الكوثر: 02).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «من كان له سعة ولم يضح فلا يقربن مُصلاًنا»⁽¹⁾.

- وقال أيضاً: «ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله عز وجل من إراقة دم»⁽²⁾.

فلا ينبغي أخي المطيع لله ورسوله أن تتخلى عن سنة نبيك، مع أنك مستطيع قادر على أدائها، ولك كفاية في المال والقوت، ولا يحق لك أن ترهّد فيها باعتبار أنك تأكل اللحم في كامل أيام السنة، أو أنك مشغول بأمور حياتك، لأن الله تعالى يقول في محكم كتابه الكريم: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾، (سورة الحج: 37).

فالتضحية أخي المؤمن تعظيم لشعيرة من شعائر الله، وقرينة يرجى بها نيل تقوى الله، وطهارة للنفوس من الشح والبخل، وتوسعة على العيال والأهل والأقارب والجيران والأصدقاء والفقراء والمساكين، ودعاء بالفرج لأحوالنا من خلال كل قطرة دم سالت من عنق الأضحية، وتصفية لبلدنا، وحصانة لربوعنا، وفي هذا تأسي بحال إبراهيم عليه السلام حينما قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ

(1) ابن ماجه، السنن، كتاب الأضاحي، باب الأضاحي هي واجبة أم لا؟، رقم: 3123.

(2) ابن ماجه، السنن، كتاب الأضاحي، باب ثواب الأضحية، رقم: 3126.

وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ (سورة البقرة: 126).

إخوة الإسلام:

من العيب الكبير أن نبقى نتحدث عن بدعة الذبيحة قبل العيد، أو ما يسمى يوم عيد الحجاج، لقول رسول الله ﷺ في حديث صحيح رواه البخاري جاء فيه: «من ذبح قبل أن يصلي فليعد مكانها أخرى، ومن لم يذبح فليذبح»⁽¹⁾. وللأسف لا يحدث هذا في غير بلدنا دون أي بلدان من بلدان العالم الإسلامي.

ورد عن الإمام أفلح بن عبد الوهاب الرستمي أنه علق على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، (سورة الحجرات: 01)، فقال: "إِنَّمَا نَزَلَتْ بِقَوْمٍ ذَبَحُوا يَوْمَ النَّحْرِ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ النَّبِيُّ ﷺ"⁽²⁾. وكيف بحالنا ونحن نذبح في مذابح مخصصة للعيد بيوم أو يومين قبل العيد، ونحن نريد أن نفتفي سنة نبينا ونعارضه علنا وعيانا لأجل أننا يسجنيون، لنا خصوصيتنا وعاداتنا.

ومن العيد الأكبر أن نبقى إلى حين كتابة الخطبة نطلب من الناس ألا يغادروا المسجد قبل سماع خطبة العيد، وألا يشرع الذباحون في الذبح قبل نزول الإمام من منبره اقتداء بفعل رسول الله ﷺ، فهذا عيب وعار في جبين أمتنا؛ مسؤولين كنا، أو رعية، فالكل في الهم سواء.

فاللهم نسأل أن نكون ممن يعظم شعائر الله على الطريقة التي اختارها الله لرسوله ﷺ، وسار عليها الصحابة والتابعون والصالحون من بعدهم، وممن يؤمن بالله أولا وآخرا، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يراعي حزازات الناس ولا امتعاضهم فيما يريد الله أن يجمع فيه شمل

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأضاحي، باب من ذبح قبل الصلاة أعاد، رقم: 5562.

(2) الربيع، الجامع الصحيح، زيادة عن الإمام أفلح، رقم: 920.

أُمته، ويوحد صفهم عملا وقولا وقالبا، يا أرحم الراحمين.
واعلموا أيها المضحون المعظمون لشعيرة الله أن هناك أحكاما تتعلق بالأضحية
هذه بعضها:

1- يستحب أن لا تمس من شَعْرِكَ وَبَشَرَتِكَ شَيْئاً بعد دخول شهر ذي الحجة؛ فَعَنْ
أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمْ هِلَالَ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَرَادَ
أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ؛ فَلْيُمْسِكْ عَنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ»⁽¹⁾.

2- ويستحب أيضا أن تتصدق بجزء من أضحيتك للفقراء، لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا
وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾، (سورة الحج: 28)، فلا يحق لمسلم بات شبعانا يأكل مما أنعم الله
عليه، ويتلذذ أشهى الأطعمة والشواء، وأحباؤه وأقرباؤه وجيرانه يتحسرون فقرا ويشتهون ما
عند إخوانهم، فارحموا أنفسكم بالصدقة، وأحسنوا كما أحسن الله إليكم.

3- ينبغي أن تختار أيها المضحى الأضحية السليمة من العيوب المانعة من الإجزاء، لما
ورد في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه حيث قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال:
«أربع لا تجوز في الأضاحي: الْعَوْرَاءُ الْبَيُّ عَوْرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيُّ مَرَضُهَا، وَالْعَرْجَاءُ الْبَيُّ
ظَلْعُهَا، وَالْكَسِيرُ الَّتِي لَا تُنْقِي»⁽²⁾. وهي صفات في الحقيقة قل ما تباع في شياہ أيام العيد،
لكن من باب التذكير نوضح الحديث:

فالعوراء البَيُّ عَوْرُهَا، هي التي انخسفت إحدى عينيها، ويلحق بها العمياء: وهي التي
لا تبصر أصلا.

والمريضة البَيُّ مَرَضُهَا، هي المصابة مثلا بالجرب الظاهر المفسد للحمها.

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الأضاحي، باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة، رقم: 1977.

(2) أبو داود، السنن، كتاب الضحايا، باب ما يكره من الضحايا، رقم: 2804.

وَالْعَرَجَاءُ الْبَيُّ ظُلُعُهَا، هي الشاة التي لا تستطيع مصاحبة الغنم في سيره، لعرج في مشيها أو لعاهة.

وَالْكَسِيرُ الَّتِي لَا تُنْقِي، أو العجفاء في رواية أخرى: وهي الهزيلة التي لا مخ في عظمها، ويلحق بها مقطوعة إحدى اليدين أو الرجلين.

4- أن تذبح أضحيتك بنفسك، اقتداء بالرسول محمد ﷺ، حيث روى أنس بن مالك قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْبَحُ أُضْحِيَّتَهُ بِيَدِهِ وَاضِعًا قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهَا»⁽¹⁾، وتحقيقا لفعل الرسول ﷺ فإني أدعوكم إخواني الشباب أن تلبسوا ألبسة خاصة بالعمل بعد الخروج من المسجد والاستماع إلى خطبة العيد، وتتوجهوا إلى المجازر والمذابح لتتدربوا مع إخوانكم العاملين، وتشاركوهم الفرحة والأجر، ولا يخفى أن هذا من أجل ما يتعلَّمه المرء الكيس الفطن، وهذا مما حث عليه الرسول ﷺ، إذ يروي البراء بن عازب أنه سمع النبي ﷺ يخطب، فقال: «إِنْ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نَصَلِّيَ، ثُمَّ نَرْجِعَ، فَنَحْزَرَ، فَمَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا»⁽²⁾.

بالتزام هذه الآداب الإسلامية إخوة الإيمان نكون إن شاء الله ممن اتبع هدي الله ورسوله محمد ﷺ، ورجا نيل محبتهم في الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين.

اللهم أدبنا بآداب خليلك إبراهيم ﷺ، وهب لنا من رشدك وحلمه.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ بَلَغَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فَأَعْتَنَمَهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ عَنَّا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللهم سلم الحجاج والمعتمرين، وتقبل منهم طاعتهم يارب العالمين، اللهم أعدهم إلى

(1) ابن ماجه، السنن، كتاب الأضاحي، باب من ذبح أضحيته بيده، رقم: 3155.

(2) البخاري، السنن، كتاب أبواب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام، رقم: 951.

أهليهم سالمين غانمين، مأجورين غير مأزورين يا أرحم الراحمين.
اللهم تقبل من الصائمين صيامهم، ومن المضحين ضحاياهم، واجعل ذلك ذخراً لهم.
ربنا ارحم موتانا ومتى المسلمين، واجمعنا وإياهم في الفردوس الأعلى إخوانا على سرر متقابلين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وانصر إخواننا المستضعفين في مشارق الأرض ومغربها.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً يعز فيه أهل الطاعة، ويذل فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر يا أرحم الراحمين.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90)، ﴿وَلَذِكُرُ اللَّهَ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (سورة العنكبوت: 45). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

العيد والتحفيظ على التضحية اقتداءً بسيدنا إبراهيم عليه السلام⁽¹⁾

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، ولا إله إلا الله بكراً وأصيلاً،
وسبحان الله العظيم وبحمده الكريم، وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.
الله أكبر ما أحرم مُحَرَّم، وحجَّ حاجٍ واعتَمِر، والله أكبر ما لبَّى مُلَبٍّ: لبيك اللهم لبيك،
لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

الله أكبر عددَ من وقفوا بعرفات، وعددَ ما رَفَعَ الله تعالى من الدعوات، والله أكبر عدد
ما قضى سبحانه من الحاجات.

والصلاة والسلام على رسول الله محمد الصادق الأمين، إمام المهتدين وقُدوة المؤمنين،
والداعي إلى الحق بكل صبر ويقين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

عباد الله، إن هذا يوم عظيم وعيدٌ شريف كريم، يومُ القربان ويومُ الغفران، ويومُ الزيارة
والمحالة والرضوان، ويومُ الإحسان إلى القرابة والجيران، ويومُ عيد الأضحى الذي يقترن
بفريضة الحج، يقول تعالى: ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾، (سورة البقرة: 197)، وهو موسمُ تكبيرٍ
وتعظيم لله، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾، (سورة البقرة: 203)، أقسم الله فيه بليالٍ عشر
في بدايته، فقال: ﴿وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، (سورة الفجر: 01-02)، وعظَّم يومَ عيده، وأثنى
على ثلاثة أيام الموالية له، وهي أيام التشريق التي قال عنها رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا أَيَّامٌ أَكَلِ

(1) خطبة عيد الأضحى 1436هـ/ 24 سبتمبر 2015.

وَشُرْبَ وَذَكَرَ اللَّهَ»⁽¹⁾، فالجموع أربعة عشر يوما خصصها الله لتعميق الإيمان، وزيادة الصفاء، وغرس الحياء، وتحديد روح التضحية في النفوس.

فهنيئاً لنا الفرحة بهذا العيد السعيد، وطوبى لمن صافح فيه الناس بقلبه قبل يديه، وابتسم لهم بروحه قبل شفثيه، وبشرى لمن تحمل فيه باليقين والقول السديد، قبل أن يلبس الأنيق والجديد. ويا فوز من كتب الله له النجاة من نارٍ حرّها شديدٌ، وقعرها بعيدٌ، وشرابها الحميمُ والصديقُ، وورث جنة الفردوس التي لا ينقص نعيمها ولا يبید.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، والله الحمد.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وتذكر يوم التضحية والفداء، يوم الفرح والصفاء، يوم المكافأة من ربّ السماء للنبیین الكریمین إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، صاحبي الفضل والعطاء، والصدق والإخلاص، إذ بدأ إبراهيم عليه السلام دعوته بمخالفة قومه، واستحقار أهتهم، رغم ضعفه وقلة حيلته، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾، (سورة الأنبياء: 51-52)، وجاءت ردة فعل قومه حاسمة، ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾، (سورة الصافات: 98)، ثم ابتلاه الله وامتحنه بذبح ولده وثمره فؤاده إسماعيل عليه السلام ليختبر صدقه، ويحصّ فؤاده، ويعلّي شأنه، ويمنحه فضله، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾، (سورة الصافات: 102)، وكان الجواب من الابن البار بأدب رفيع، وذوق عال.. طاعتك أمر معلوم، وفرض محتوم، ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، (سورة الصافات: 102)، فقدم مشيئة الله تعالى على صبره، لأنّ الموقف موقف فتنه، ولا ينتصر عليها المرء، ولا يخرج منها المبتلى إلّا

(1) الطبراني، المعجم الأوسط، باب الميم، من اسمه محمد، رقم: 6601.

بإذن الله وعونه وفضله، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾، (سورة الصافات: 103)، أي: لما شهد الله صدق النبيين واختبر إيمانهما، وهو العليم بهما، كشف عنهما الضر، ونادى مناد من قبل الجليل جل جلاله، وهو يقول: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، (سورة الصافات: 105).

امتحان ما أشده.. اختبار ما أصعبه.. ابتلاء ما أعظمه.. ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾، (سورة الصافات: 106)، لينال إبراهيم عليه السلام الجائزة مع مراتب الشرف، ويحظى بالفرحة مع نيل منزلة الإخلاص، ويقال له: خذ ما وراءك وارك ما بين يديك، فإذا هو كبش سمين أقرن تاءم الخلق، ﴿وَقَدَرْنَا بِذَبْحٍ عَظِيمٍ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ، سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾، (سورة الصافات: 107-111).

عباد الله، أكثروا ذكر هادم اللذات، ومُرمل الزوجات، ومُيتم البنين والبنات، إخواني: الموت، الموت، ليس لكم منه فوت، فالموت معقود بنواصيكم، يقول جل من قائل: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ، وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ، وَالتَّقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾، (سورة القيامة: 26-30)، فارحموا أنفسكم عباد الله، فإن البدن ضعيف، والسفر بعيد، والحمل ثقیل.

وتذكروا من صلى معكم في هذا المكان فيما مضى من الزمان؛ من الأحباب والأقرباء والخلان، كيف باغتهم هادم اللذات، فصاروا إما في روضة من رياض الجنان، أو في حفرة من حفر النيران والعياذ بالله، وتيقنوا أنكم واردون ما وردوا، وشاربون كأس المنية الذي شربوا، ﴿فَلَا تَعْرَتْكُمْ أَلْحَيُوهُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ﴾، (سورة فاطر: 05).

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، (سورة الأحزاب: 56).

الخطبة الثانية

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبِعَفْوِهِ تُغْفَرُ الذُّنُوبُ
والسيِّئات، وبكرمه تُقْبَلُ العطايا والقربات.

الحمد لله أن أرشدتنا للإسلام يوم كفر كثيرٌ من الناس،
ولك الحمد أن هديتنا للإيمان يوم ضلَّ كثيرٌ من الناس،
ولك الحمد أن أطعمتنا من رزقك يوم جاع كثيرٌ من الناس،
ولك الحمد يوم أن أمتنا بكرمك وحلمك يوم خاف كثيرٌ من الناس.
أما بعد:

ما أخرج مجتمعنا أيها المومنون إلى مُضْحَيْن وفادين؛ من أوقاتهم وأموالهم وأبنائهم،
ومن كلِّ ما أنعم الله عليهم، حتى ينتصر الدين وتعلو رايته الحق المبين، ولكي نقيم صرح
الحضارة ونزيل أسباب الجهل والضلالة، ولنعين الناس على الحق ونبعد عنهم أسباب الغواية
والغفلة.. فمن يقتدي بأبيه إبراهيم عليه السلام، ومن يضحى مثل تضحيته؟ ومن يكذب ككذبه؟
ومن ينفق الكثير من ماله؟ ومن يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله؟ وإلا نفعل نحن ممن قال الله
فيهم: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي
الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، (سورة البقرة: 130).

ألا من إبراهيم جديد في أمتنا فيطهر حب الدنيا من أنفسنا، ويزيل الضغائن من
قلوبنا، ويعلن بصوت مدوّ، ما هذه التماثيل التي أثبتناها في ديارنا؟ وما هذه المعبودات التي
ارتضيناها من دون الله؟ فسفّهت أخبارها أحلامنا، واستخفت تعليقاتهم بعقولنا، وعطلت
تحليلاتهم طاقاتنا، وأضاعوا مبارياتهم كهولنا، وأفسدت مسلسلاتهم شبابنا، وميّعت
أغانيهم شبابنا، وجنّنت رسوماتهم أطفالنا، فغدا الجميع أسرى لمرسلين محترفين إعلاميا

يُجيدون فن الغواية والمجون، ويُتقنون تشفير رسائلهم المحملة أهدافا مسطرة دقيقة في التسفيه والاستخفاف بالناس لأجل أغراض سياسية وتجارية وإعلامية.

إخوة الإيمان:

ألا من مضحين في سبيل الله، ليسدوا حوائج الأرامل والمطلقات، ويسعوا على الأرملة والمُسكين.

ألا من متطوعين في الجمعيات الخيرية والهيئات ليتحملوا مسؤولية خدمة الناس بكل تفان وإخلاص.

ألا من منفقين لأموالهم بسخاء وجود، دون مَنْ ولا رياء، لإرساء دعائم الدين، وبناء الإنسان.

ألا من مسؤولين يقتنعون بدعم طلبة العلم، وتعيين متفرغين دائمين لمؤسساتنا.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، والله الحمد.

أيتها الأخوات المؤمنات:

ألا من "هاجر" جديدة تفدي الإسلام، وتُعلم المسلمين حقيقة التوكل، وروعة اليقين في الله رب العالمين، وتحيّد طاعة زوجها ومؤازرته في الشدة والرخاء، وتحلى بجمال السعي إلى إقامة دين الله في بيتها، وترعى أبناءها، وتحب على أولادها، وتعلم النشاء الجديد، وتحضر مجالس الذكر، وتستزيد في تنمية مهاراتها، وفي تكوين نفسها؛ علميا ونفسيا وجسديا.

أيتها القانتات التائبات:

ما أحوج أمتنا إلى صالحات يتعدن عن الملهيات، ويتركن أحاديث القيل والقال، ويتجنبن الرقص وتحريك الأجساد في الأعراس، ويدعن لباس العاهرات المرتفع فوق الركبة أو

الكاشف للصدر والظهر، وإذا اضطررن إلى لبس العباءة فإنهن يحرصن ألا تكون ضيقة أو مزركشة، ويتجنبن ذات الألوان الأنيقة الجذابة لأنها تسحر الأعمى بله البصير الحاذق، يقول المصطفى ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا» وذكر: «نِسَاءُ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ مُمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا»⁽¹⁾.

آيتها الطاهرة العفيفة، لا يجوز لك أن تخضعي بالقول في حديثك مع الشباب والرجال، ولا يحق لك أن تتخلي عن الجوارب تشبها بغيرك، ولا يحمل بك أن تتحججي بعملك ووظيفتك فتسمحي لنفسك بلبس البنطلون وتغطيته بالمئزر، واحذري اختاه أن تتخذي خليلات يُلْهينك عن الذكر والتسبيح، ويُنسينك تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، والله الحمد.

يا درع الأمة وحماتها:

ألا من إسماعيلٍ جديدٍ يُقدِّمُ رُوحَه ونفسَه وحياتَه طاعةً لرَبِّه، ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، (سورة الصافات: 102).

ألا من شباب مبارك ينفق وقته في الدراسة والتعلم لأجل كسب مرضاة الله تعالى ونيل المراتب العلية، هم الوحيد أن يضيف الجديد لأمة الإسلام، ليصبح مخترعا، أو مكتشفا لنظرية جديدة، أو ناقدا لأفكار سابقة.

ألا من مقتنع بالانخراط مع مربيه في سلك التعليم، فيعلمُ النشء ويربي الأجيال على الطهر والإيمان.

ألا من مغامر عفيف يتوظف في الإدارة فيصبر على أذى المغرضين وكيدهم.

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات، رقم: 2128.

ألا من شاب صالح يهبُ نفسه لترشيد المسلمين والتخصص في الشرعيات، تيمُّناً أن يكون من أصحاب الشرف والفضل الذين قال الله فيهم: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، (سورة آل عمران: 18).
ألا من حاذق في المهارة اليدوية ليتكوَّن في تخصصات نادرة، ويُنقل إتقانه وضبطه للمواعيد إلى الأجيال اللاحقة.

أيها الشباب الصالح:

إن أمتكم في أمس الحاجة إلى فتوتكم وغُفوانكم، واعلموا أن النصر معقود لأهل الحق، السائرين في طريقه، المجتنبين للمعاصي ما ظهر منها وما بطن، والمقيمين للصلاة، المحافظين على أدائها جماعة في المسجد، لا يتخلف عنها إلا لعاهة أو مرض، ومن تركها تهاونا فقد هُدم دينه وبطل عمله، ولا حظ له في الإسلام، يقول الرسول ﷺ: "الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ"، ويقول تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، (سورة الماعون: 04-05)، ويقول أيضاً: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾، (سورة مريم: 59).

وتيقنوا أيها الطامحون لغد مشرق أنه لا مكانة في الحياة لمستهتر بدينه، ومتبع لموضى الغرييين، ومقلد لتسريجات شعرهم، وواضع لكتمان في أذنه يميل طربا ويسير كالهائم، ومار بدراجته النارية كالبرق في مدينة هُيئت بعضُ شوارعها لسير الناس والدواب، وأخرى ضيقة جداً لا تسمح بتجاوز المركبات فضلا عن السرعة المفرطة.

إخواني: أما تكون لكم هذه الموعظة تذكراً، أم لكم على أقل قليل من هذه مقدرة، ويا أيها العاقل استفق، ويا أيها العاصي أفق، والفوز بالجنة استبق.

أيها المومنون: لماذا تخلينا عن واجب الدعوة إلى الله، فاستعلى أهل الشر على أهل

الخير، أم تحقق فينا قول رسولنا ﷺ: «لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ»، ثم يدعُو حَيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»⁽¹⁾.

وما لنا تخلصنا عن حسن الطاعة لأولي الأمر، فغذى بعضنا تستويه مخالفة إرشادات المسلمين، ويتباهى بترويع النساء والأطفال ليلاً بمفرقاته عند فرحه وعرسه؟ وما بال بعض الأولياء تخلوا عن واجب مرافقة آبائهم أو بناتهم، فبرز فينا بعض الشباب لا يقيم وزناً للصلاة، وإذا صلاها فهي لا تنهاه عن فحشه ومنكره؟ وأصيب البعض بعدوى الدخان جراء مصابحتهم رواد المقاهي، وبرز السُّكاري والخمارين ليالي الجمعة في البساتين، ووقع كثير من المراهقين في حبال التعارف الافتراضي، وفي سوط الهيمنة العالمية word domination فاستطاعوا أن يفتكوا منهم معلومات عن ميلادهم واختياراتهم، وتلاعبوا بعقلهم اللاوعي فحركوا ميولاتهم الجنسية، واقترحوا عليهم مجموعة من الأشخاص والأصدقاء الذين يشتركون معهم في نفس الرغبات والميولات، فكانت النتيجة أن نسبة كبيرة من الفتيات صرن أسيرات للفيسبوك، يجدن فيه متعة الإبحار، ولذة اكتشاف الصديقات الافتراضيات (والغالب أن أصلهن شياطين من الشباب يظهر باسم فتاة مستعار)، فيقضون الساعات الطوال في الحديث الكتابي أو الشفوي، وفي طرح الهموم والطموحات، وفي التنفيس عن النفس بأحاديث الهوى وجنون العشق، وربما أفضى الأمر ببعض المغفلين إلى تبادل الصور وعناوين السكن، لينتقل الخطر من العالم الافتراضي إلى معصية فعلية واقعية، ثم تأتي مرحلة الضغط ونشر المعلومات بين المفسدين في هذا العالم الموبوء، والسبب يعود أولاً وآخراً أن الداخل في اللعبة المشبوهة، والمشارك في مواقع تفاعلية لم يراعِ حرمان الله ولم يحاسب نفسه عن هذه الأسئلة الملحة؟

(1) الطبراني، المعجم الأوسط، باب الألف، من اسمه أحمد، رقم: 1379.

ما الحكم الشرعي في التواصل المسترسل مع غريب أو غريبة؟
ما الحكم الشرعي في تسليم المعلومات الخاصة، وفي إفشاء الأسرار العائلية؟
ما الحكم الشرعي في الوقت المستهلك كالما دون عمل؟
ما الحكم الشرعي في تكثير سواد أهل الشر، وفي تنمية أموال المحسوبين على المنظمات الخطيرة عالميا.

أيها الآباء إن المسؤولية جسيمة، وإن النافخ إسرافيل، والقاضي رب العالمين، فأحسنوا تأديب رعاياكم، وارعوا أماناتكم، فأنتم عنهم مسؤولون، قال الله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾، (سورة الصافات: 24)، وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، (سورة الأنفال: 27)، وازرعوا في بيوتكم الشفافية والحوار والصراحة مع أبنائكم، واعلموا أن وجوب متابعة انشغالات الأبناء في اليوم أكثر من مرة، لا تقل مرتبة عن وجوب أداء خمس صلوات في اليوم والليلة، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، (سورة التحريم: 06).

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، والله الحمد.

وفي الأخير لا بد من شحن هممنا بالأمل لتخطى مصاعب الحياة، ونجتاز ابتلاءات الله بنجاح وفلاح، وندعو الله أن يوفقنا كما وفق النبيون عليهم الصلاة والسلام، يقول تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾، (سورة النور: 55).
وأذكركم ونفسي بالإكثار من التكبير في يوم عيدكم وفرحكم، وبالتوبة إلى الله من الذنوب، والرجوع إلى ستار العيوب، وعلّام الغيوب.

وأوصيكم أن يصفح كلٌ منكم عن أخيه، لتقوم بينكم المودة والرحمة.
وأدعوكم أن تحسنوا

إلى والديكم، فحقُّهما عظيم، وبرُّهما واجب على الأبناء والبنات.
ولا تنسوا أن تصلُّوا أرحامكم، فيأخذ كلٌ واحد منكم بيد أولاده ليزوروا أرحامهم.
وتصدقوا بلحم أضحيتكم على الفقراء، لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْبَآئِسَ
الْفَقِيرَ﴾، (سورة الحج: 28)، ليتقبلها الله بقبول حسن، إنه سميع مجيب.

اللهم اجعلْ عيدنا سعيداً، وعَمَلنا صالحاً رشيداً. اللهم أعِده على الأمة الإسلامية
وهي تَرْفُلُ بثَوْب العِزِّ والنصر والتَّمَكِين، يا قويُّ يا عزيز.

اللهم اغفر لجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، وأصلح ذات بينهم،
واهدهم سبل السلام، اللهم حَبِّبْ إلينا الإيمان وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبنا، وَكَرِّهْ إلينا الكُفْرَ والفُسُوقَ
والعِصْيَان، واجعلنا يا ربُّ من الراشدين.

اللهم فَرِّجْ هَمَّ المَهمومين، وَنَقِّسْ كَرْبَ المَكروبين، وعجل خروجَ المسجونين وفك
أسرهم، واشفِ مَرَضِي المسلمين يا ربَّ العالمين.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مُطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم با عد عنا الفتن ما
ظهر منها وما بطن. بنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب
الرحيم، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

أهمية الترويح في الحياة، ومناسك الحج: عبر ووصايا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَسَهَّلَ لَنَا السَّعْيَ فِي مَنَاكِهَا، وَحَثَّنَا عَلَى النَّظَرِ فِي بَدِيعِ صُنْعِهَا وَسَمَائِهَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ النَّاسِ خُلُقًا فِي الْحَضَرِ وَالْأَسْفَارِ، وَأَعْظَمُهُمْ وَفَاءً لِلْأَهْلِ وَالِدَّيَارِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ، وَعَلَى تَابِعِيهِمْ مِنَ الْبَرَّةِ الْأَطْهَارِ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

اتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوهُ، وَامْتَثِلُوا أَوْامِرَهُ وَلَا تَعْصُوهُ. وَاعْلَمُوا أَنَّ النُّفُوسَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ، فَبَعْدَ الْعَنَاءِ وَالتَّعَبِ تَمِيلُ النُّفُوسُ إِلَى التَّجْدِيدِ وَالتَّرْوِيحِ؛ لِيَعُودَ الطَّالِبُ إِلَى مَقَاعِدِ الدِّرَاسَةِ وَالْمُوظَّفُ إِلَى عَمَلِهِ بِهَمَّةٍ وَعَزِيمَةٍ، ذَلِكَ أَنَّ التَّرْوِيحَ تَجْدِيدٌ لِنَشَاطِ الْإِنْسَانِ وَحَرَكَتِهِ، وَصَفَاءٌ لِدَهْنِهِ، هَذَا وَقَدْ نَصَحَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ عَثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ فَقَالَ لَهُ: «إِنْ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقٌّ، وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ، وَإِنْ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَا ذَلِكَ، فَقَالَ لِعَثْمَانَ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»⁽¹⁾.

إِنَّ قَضِيَّةَ التَّرْوِيحِ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ لَا يُمْكِنُ بَجَاهِلُهَا لَدَى الْأَفْرَادِ وَالْمَجْتَمَعَاتِ، وَيَشْتَدُّ الْأَمْرُ أَهَمِّيَّةً فِي مَوْسِمِ الْإِحَارَاتِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَتَبَيَّنَ مَدَى الْإِفَادَةِ مِنَ التَّرْوِيحِ نَفْسِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا، وَأَنْ لَا نَجْعَلَهُ لِمُجَرَّدِ تَضْيِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَإِمْضَاءِ السَّاعَاتِ دُونَ مَرْدُودِ بَنَاءٍ، فَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ لِلتَّرْوِيحِ وَقْتًا مُحْصَصًا، وَيَجْعَلُ لِلْعَمَلِ وَالْجِدِّ أَوْقَاتًا أَكْثَرَ، وَتَرْوِيحُهُ لَا يُضْعَفُ إِيْمَانُهُ وَلَا يُفْسَدُ أَخْلَاقُهُ.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، رقم: 1986.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

مِنْ أَنْوَاعِ التَّرْوِيحِ السَّفَرُ، وَقَدْ حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مَجَالاً لِلتَّفَكُّرِ وَالنَّظَرِ، وَالتَّدَبُّرِ فِي خَلْقِ اللَّهِ، فَهُوَ يُقَوِّي الصَّلَاةَ بِاللَّهِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِهِ الظَّاهِرَةِ، وَالتَّدَبُّرِ فِي بَدِيعِ صَنَعَتِهِ الْبَاهِرَةِ، وَالْمِتَأَمُّلِ لِكِتَابِ اللَّهِ يَجِدُ إِشَارَةً وَاضِحَةً إِلَى مَا فِي السَّفَرِ مِنَ الْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالْمَنَافِعِ الْمَعِيشِيَّةِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، (سورة غافر: 82).... وَإِنْ تَعَجَّبَ فَاعْجَبْ مِمَّنْ تَمُرُّ عَلَيْهِ الْمَشَاهِدُ وَالْمَوَاقِفُ لَا يَكْتَسِبُ مِنْهَا حِبْرَةً، وَلَا يَتَزَوَّدُ مِنْهَا مَعْرِفَةً وَلَا عِلْمًا، وَلَا يُلْهَجُ لِسَانُهُ بِذِكْرِ وَلَا تَسْبِيحٍ لِمَنْظَرِ بَدِيعِ الصَّنْعِ مِنْ رَبِّ عَزِيزٍ وَهَابٍ.

واعجب ممن يسير بين المدن والفيافي ويمرُّ على الأجناس والخلائق المتعددة ولا يتفكر في رزق الله لهم، ورعايته لهم، وفي إحيائهم وإماتهم، ثم محاسبتهم يوم القيامة بما قدموا وأخروا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: هَذَا وَإِنْ مِنْ أَعْظَمِ آدَابِ الْمُسْلِمِ فِي سَفَرِهِ وَحَضَرِهِ الْمَحَافَظَةُ عَلَى الْمَرَافِقِ الْعَامَّةِ، فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهَا بِمَا يُؤْذِي مُرْتَادِيهَا، وَيَمْنَعُ الْإِنْتِفَاعَ بِهَا لِقَاصِدِيهَا؛ كَالْتَسَاهُلِ فِي رَمِيِ الْمَخْلَقَاتِ، أَوْ إِفْسَادِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ النَّافِعِينَ، أَوْ تَلَوِثِ مَوَارِدِ الْمِيَاهِ الْعَذْبَةِ وَخَوِّ ذَلِكَ، وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَظْهَرَ الْمُسْلِمُ بِصُورَةِ الْوَاعِيِ الَّذِي يُفَكِّرُ فِيمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ مِنَ النَّاسِ، وَيُقِيمُ وَاجِبَ الْجَوَارِ فِي الْمَتَنَزَّهَاتِ الْعَامَّةِ؛ فَلَا يُؤْذِي مَشَاعِرَ مَنْ يَجْلِسُ بِجَوَارِهِ، وَلَا يَتَحَسَّسُ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ التَّجَسُّسِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، (سورة الحجرات: 12).

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ: اَحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى سَلَامَةِ الْإِيَابِ وَالْعُودَةِ سَالِمِينَ إِلَى دِيَارِكُمْ، وَاعْزِمُوا عَلَى

الجد والحزم في أعمالكم ودراستكم، وباشروا أموركم بصدق وعزم متحدين كل الصعاب والابتلاءات. وتيقنوا أن بعد الراحة يأتي النشاط والجد، وبعد الاسترخاء يأتي الحزم والتحدي، فاحرصوا أيها المسلمون على تحسين مردود عملكم الرسمي، وعلى تقوية نشاطكم الاجتماعي وخدمة مصالح المسلمين، واسعوا أيها الأبناء البررة على التحصيل العلمي الراقى، واجتهدوا في دراستكم الرسمية والحرّة، ولا تتركوا لمضايقات المفسدين في الأرض، وعليكم أن تجددوا رُفقة أوليائكم حلولاً واقعية لمشاكل الدراسة الحالية؛ كتدعيمات مسائية، أو دروس خصوصية لما يحتمل أن يقع جراء أفعال من لا خلاق له، ونتيجة متاجرة العابثين بمصيركم تحقيقاً لمصالحهم الدنيئة، فأثبتوا لهم بأنكم من معدن صاف، وأنكم تربيتم على الطهر والإقدام، ولذلك فيني أدعوا الجميع للتعاون بإخلاص من أجل أن يتعلم أبنائنا بامتياز، ويرفعوا معدلاتهم، ويتحصلوا على نتائج مرضية، وينالوا أعلى الدرجات في المسابقات الوطنية، وينتزعوا أفضل المقاعد في المدارس والجامعات، ثم يوظفوا بعد ذلك إن شاء الله في أعلى مناصب الدولة بهدف بناء وطنكم، وتقوية الخير في بلادكم، وحصانة ربوعكم من كل شر، فهذه مسؤوليتكم أيها الأبناء البررة، نحملها لكم ثقله شديدة، ونحملها لكل أهل بلدتنا مسؤولين وأولياء معتقدين أن الله ناصر عبده وهازم الأحزاب بعده، ومشمرين عن ساعد الجد بعد الراحة الصيفية لخوض غمار الحياة بكل أمل وتفاؤل مهما كانت الظروف والصعاب، ولن يكون بعد هذه العزيمة إلا الخير والعون من رب وهاب قدير، فهو القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ، وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾، (سورة الحج: 14-16).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا
صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.
اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْتُبِ
السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وأكرمنا بؤرود بيته الحرام، وجعل من آياته زمزم والمقام، وشرع من المناسك ما يرفع به الدرجات ويحطُّ به الخطايا والآثام. أحمده تعالى وأشكره، كما أجزل لنا من عطايا حسام، وأسبغ علينا من لباس الإنعام، فله الحمد من قبل ومن بعد.

أيُّها المسلمون: ها قد دارَ فلكُ الزَّمان دورته، وحلَّت بالأمة الإسلامية مناسبة عظيمة، وأظللتها مواسم بالخيرات عميمة، فقرُب موعدُ شهرِ ذي الحجة الحرام، ليسكب في قلوبنا نورًا من أنواره، ويهيِّج فينا حنينَ القلوب، ومشاعرَ الشوق.. أيامٌ قلائل وأصحابنا وأهاليها قاب قوسين أو أدنى من أداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام الركن الخامس من أركان الإسلام، فنسأل الله تعالى أن ييسر لهم الحج إلى بيته الحرام، ويعينهم على أداء المناسك في خشوع، ويكتب لهم حجا مبرورا وذنباً مغفورا، ونسأله تعالى أن يصبر القاعدين ممن لم يتمكن من الرحيل فيكتب لهم معهم نصيبا، ويسجل لهم أجرا وثواباً، إنه جواد كريم يا أرحم الراحمين.

أيُّها الحجاج الميامين: إنكم ستقصدون بقاعاً طاهرة جليلاً عند الله، وفيها أول بيت وضع للناس، فحق على كل قاصد شكر الباري على ما أسداه، وحمده وعلى ما خصه به وأولاه، ومن تمام شكر نعمة الله أداء هذه الفريضة وإتمامها كما شرع الله، وكما قال جل في علاه: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، (سورة البقرة: 196).

إخوة الإيمان: إن الحج شعيرة من شعائر الله العظيمة، شرعها الله لإبراهيم عليه السلام، ثم بين مناسكها رسولنا الأمين محمد ﷺ، وإن بيت الله الحرام هو منبع الإسلام ومنازل التوحيد، بناه إمام الموحدين خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، وفي بناء هذا البيت قصة عجيبة وعظيمة، تُنبئ عن انسجام عائلي متين، وتلاحم عميق، حيث الصبر الجميل من ربة البيت التي استجابت لقرار زوجها بتركها وحيدة في صحراء قاحلة مع رضيعها، لا حول لهما ولا

قوة، لكنها لم تستسلم فاتخذت سببا في طلوع جبل والنزول منه، وطلوع آخر ثم النزول منه كرة أخرى، وهكذا دواليك سبع مرات، ورضي عنها يكي بعيدا عنها، وزوجها قد سلم كل أمره لله واستجاب له، وصار لسانه يلهج بالدعاء الخالص لرب الأسباب، فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾، (سورة إبراهيم: 37)، ثم يشاء العلي القدير أن يرحم هؤلاء الضعفاء، ويكلاًهم برعايته المباركة، فيفجر من تحت عبده الضعيف ماء زلالا يسيل عيوننا ووديانا، وهكذا اقتضت حكمة العليم الحكيم، أن يعلم خلقه العمل بالأسباب، مع التوكل الحقيقي على رب الأسباب، واعتقاد أن الأمر بيد الله وحده في كل صغيرة وكبيرة.

ثم يشاء الله كذلك أن يكبر الولد فيصير شابا يافعا فيتعاون مع والده الذي رجع إليهم بعد أمد، لينيا معا في جو ملائكي إيماني مفعم بالطهر والانسجام العائلي بيتا قريبا من منبع الماء، يتخذه الله بيته الحرام في الأرض، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، (سورة البقرة: 127). وتتواصل مسيرة الطهر العائلي والمحبة الصادقة بين كل أفرادها، فيأمر الله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه حين بلغ السن التي يفرح فيها الوالد بولده، فيستجيب الابن بكل طمأنينة ويسر، قائلا: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، (سورة الصافات: 102). ثم يشاء الله أيضا أن يأمر خليله بنداء العالمين للإقبال إلى بيت الله الحرام، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، (سورة الحج: 27)، فصارت قلوب الناس منذ ذلك العهد متعلقة بتلك الأرض؛ يولون وجوههم صوبها، للذكرى والعبرة، ولمعايشة أسرار الإيمان الصادق، ولمعاينة الحكم الجليلة لشعائره تعالى، يقول تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ

يَشْكُرُونَ﴾، (سورة إبراهيم: 37)، ويحجون قصد اقتفاء أثر أفضل تابع لسيرة إبراهيم عليه السلام، إنه حبيب الخلق، وكرّم المخلوقات، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه ومن أقتفى أثره إلى يوم الدين.

فطوبى لكم يا ضيوف الرحمن بما ستشهدون في سفركم الميمون، وهنيئاً لكم الرحلة إلى الآخرة بعودة سالمة إن شاء الله إلى دنياكم وذويكم ومصالحكم الخاصة، تعودون وقد تشبعتم بمعان سامية، وأخلاق عالية، وأسرار نورانية راقية، وذلك بعد أن طفتم على حجر، وقبلتم حجراً، ورميتم حجراً، ووقفتم على حجر، وقلوبكم معظمة لهذه الأمور وغيرها، ولا يؤتاها إلا ذو حظ عظيم، يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، (سورة الحج: 32).

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شريك لك لَبَّيْكَ، إِنَّ الحمدَ والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

ومما أوصيك به أخي الحاج أن تسارع إلى التوبة إلى الله من ذنوبك ومعاصيك، وتعزم على الإنابة إليه كلية في السر والعلن، وتقترب إلى كل معاشريك الأحياء مسامحاً لهم ومحاللتهم فيما صدر منك من خطأ أو سوء، وتتصل من تبعات العباد والديون، وترد المظالم المتعلقة بدماء الناس وأموالهم وأعراضهم، وتتمعن في قراءة وصيتك، أو تعيد كتابتها إن كان بينك وبين تدوينها أمد بعيد.

وأكثر أخي الحاج من الذكر والتسبيح والدعاء لنفسك وأمتك بالخير والرضوان، والحج كله ذكر وتسبيح واعتبار، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ، ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ

ءَابَاءُكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴿١٩٨﴾، (سورة البقرة: 198-200).

والترزم طاعة مسؤوليك فيما يخططون وينظمون للحياة والمعاش، ووسع صدرك حتى تعامل رفاقك أثناء فترة إقامتك بلطف وأدب، وبفرح وسرور. وارض بما قسم الله لك من الحظوظ. وصابر نفسك مع كل شدة معتبرا نفسك في تربص تكويني لتعويد النفس على الصبر، والحلم، والسخاء، والعفة، والتواضع، والتسامح، قال تعالى: ﴿الْحُجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾، (سورة البقرة: 197).

أيها المسلمون:

ما أحوج البشرية في هذا العصر وهي تكتوي بلهب الصراعات الدموية والنزاعات الوحشية إلى الحج بمقصد البحث عن حل لواقعهم المنتكس، وبهدف تطهير النفس من الأنانية والبغضاء والكراهية والشحناء، فترتقي بإذن الله إلى أفق الإسلام، وتعيش بسلام ووئام، سالكين وصية نبينا محمد ﷺ في حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»⁽¹⁾.

ونلح عليكم أيها الحجاج الكرام أن تدعوا الله بإخلاص ليجعل حج هذا العام انتصارا للمسلمين على شحنائهم وقتال بعضهم، ووقفا للعداوة جراء حب الكراسي، وحفظ المصالح، والتزلف لذوي البطش في الغرب. وأن تُحملوا في الطلب ليغير الله حال أمة الإسلام؛ في منظومتها العلمية، وفي أحوالهم المعيشية، وفي مواقفهم السياسية، وفي علاقاتهم الاجتماعية. ونوصيكم أن تستغيثوا الرحمن الرحيم فيفتح الله علينا من بركات السماء، ويحفظ ديننا وأمتنا من العابثين المستهترين، وينصر المستضعفين ويبطش بالمستعلين في

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، رقم: 1739.

الأرض، ويزيل عنا النكدَ والشدةَ والضيقَ ويُذهِلبا رُثْنا أَمْنًا وسلامًا وطمأنينة يا أرحم
الراحمين.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اجْعَلْنَا مِنْ الدَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ
وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا
وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللهم بلغ سلامنا إلى خير خلق الله، وإلى سيد المرسلين وإمام المتقين.
اللهم سلم الحجاج والمعتمرين، وتقبل منهم طاعتهم يارب العالمين، اللهم أعدهم إلى
أهليهم سالمين غانمين، مأجورين غير مأزورين يا أرحم الراحمين.
اللهم إنا نسألك لإخواننا حجا مبرورا، وسعيًا مشكورا، وذنبًا مغفورا، ورضوانا من الله
أكبر.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمرًا رشداً، واجعل بلادنا آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين يا
أرحم الراحمين.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90)، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (سورة
العنكبوت: 45). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

المحور الثالث

الدعاء، والدعاء في الفتنة

استجابة دعوة المظلوم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِي الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا
كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

لقد بسط الله نعمه على عباده عن يمينهم وشمالهم، ومن بين أيديهم ومن خلفهم،
فقال تعالى: ﴿وَعَاتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، (سورة إبراهيم: 34)، وأمرنا ربنا تبارك وتعالى أن نستغرق تفكيرنا في تعداد نعمه
الجليلة علينا، حتى تطمئن قلوبنا، وتستريح أنفسنا، ونقدر فضل الله على الإنسان الضعيف،
فقال تعالى مخاطباً المؤمنين في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ﴾، (سورة المائدة: 11)، وقال أيضاً في سورة فاطر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ﴾، (سورة فاطر: 03).

إخوة الإيمان:

إن من بين أعظم نعم الله على الإنسان، الأمن والسلامة في الأنفس والأموال والحياة
الخاصة، ذلك لأن الأمن محرك الحياة ونبضها، والشریان الذي تسير عليه بقية العروق،
وحاجتنا إليه مثل حاجتنا إلى الطعام والشراب، فقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ،
الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾، (سورة قريش: 03-04)، فالعافية والاستقرار من
أعظم نعم الله التي يجب أن نذكرها في كل حين، ونذكر بها أنفسنا ليلاً ونهاراً، وفي هذا دعا
سيدنا إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا، وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ

الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾، (سورة البقرة: 126). ولأهمية الأمن والطمأنينة كرر الله لنا هذا الدعاء الطيب في سورة إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، (سورة إبراهيم: 35).

فاللهم أنعم علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، وافتح علينا من خيرك ونعمائك يا ذا الجلال والإكرام.

ولنعلم أيها الصالحون أن الأمان والمعاصي لا يجتمعان، لأن الذنوب مُزيلة للنعم، وبها تحل النقم؛ قال سبحانه تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، (سورة الأنفال: 35)، وما نزل بلاءٌ إلا بذنب، ولا رُفِعَ إلا بتوبة، وبقدر ما يتحقق من الإيمان يتحقق مثله من الأمن، ومن استكمل شُعب الإيمان وخصاله استكمل صور الأمن وأشكاله، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾، (سورة الأنعام: 82).

أيها الثابتون على الحق:

لقد قلت هذه النعمة العظيمة في ربوعنا الطاهرة حالياً، وهو من باب قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾، (سورة البقرة: 155-157)، وهذا البلاء الشديد الذي مسنا في أنفسنا وأموالنا وأرواحنا سيرتفع بإذن الله بحسن الالتجاء إلى الله في السراء والضراء، والاجتهاد في الاستجابة لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾،

(سورة البقرة: 186). وَعَنِ التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»⁽¹⁾، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، (سورة غافر: 60). فادعوا ربكم في جوف الليل، وفي خلواتكم، وفي بيوتكم، واطلبوا عونَه ومددَه في طرقاتكم وأسواقكم، واسألوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، وإذا علم الله منكم خيرا سيؤتكم خيرا منه بإذن الله.

يا أيها الداعون المخلصون:

إن الدعاء إلى الله بإخلاص هو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه.. أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن وعدته، فالله وحده الكفيل بإعادة النعمة الضائعة، لأن بيده مقاليد الأمور كلها، وله ملك السماوات والأرض وما بينهما، ألم يقل الله تعالى: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، (سورة البقرة: 165)، وقال أيضا، ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾، (سورة آل عمران: 154)، وقال كذلك: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، (سورة آل عمران: 126). وقد أدرك هذه الحقيقة النبيون من قبلنا فلم يلتجئوا إلا لله وحده الذي لا شريك له، ولم يستعينوا بأي قوة غير قوة العزيز القهار، فخلع الله عنهم أسباب الخوف من قلوبهم، وملاها بمعية الله، وحقق لهم ما يتحقق لغيرهم.

- أوليس الله هو الذي أخرج يونس عليه السلام من ظلمات ثلاث، ومن جوف بطن الحوت بعد أن تعلق بالله وحده، واستنصر به وحده دون أحد سواه، فبات يردد طويلا دون كلل وملل، ودون أن يشك لحظة في استجابة الله له، فقال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾، (سورة الأنبياء: 87-88).

(1) الترمذي، السنن، كتاب الدعوات، باب فضل الدعاء، رقم: 3372.

- والله لم يتوان لحظة أن يستجيب لعبده زكرياء عليه السلام المنكسر الضعيف، وهو يدعو في جوف الليل أن يحقق له رغبات عجيبة خارقة، فأنفذ الله وعده وحقق رجاءه بكل قوة وفعالية، يقول تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿كَهَيَّعَصَ، ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا، قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾، فجاء الفرج سريعاً: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾، (سورة مريم: 01-07).

- ويعقوب عليه السلام بعد أن طالت غيبه ولده يوسف عنه، وبُعِدَت مسافة الزمن بينهما، ثم جزع مرة أخرى في فقدان ابنه الثاني، فعبر الله تعالى عن هذا القلب الفجيع بقوله: ﴿فَصَبَّرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، (سورة يوسف: 83).

أيها المسلمون:

عندما يحاصر المسلم من كل جهة، ويضيق عليه الخناق الذي أحاط به من كل جانب، عليه أن يرفع يديه إلى رب السماء، ويستغيث برب الأرباب، ويطلب منافذ الفرج من رب خالق الأسباب، الذي أهلك عاداً الأولى، وثمود فما أبقى، وقوم نوح من قبل إهم كانوا هم أظلم وأطغى، يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَلَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النمل: 62).

فبالدعاء يتسع صدر المؤمن وقلبه، وتعيش نفسه في رحبة وسعة، وبالدعاء يأذن الله يطرد الإنسان شبح الوحدة المخيف، ويزيح عن نفسه كابوسها المزعج، ولا يشعر بعد ذلك إن شاء الله إلا بما شعر به موسى عليه السلام فقال: ﴿كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، (سورة الشعراء: 62)، أو ما شعر به رسولنا محمد ﷺ في الغار حين قال لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾، (سورة التوبة: 40).

فاصبروا إخوة الإيمان على البلاء والشدة، وعودوا إلى ربكم يفتح عليكم من سكينته وطمأنينته بإذن الله، يقول تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾، (سورة طه: 130).
اللهم اجعل بلادنا آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ إِنَّا أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر، يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: إخوة الإيمان:

على كل مسلم أن يدعو على كل من اعتدى على المسلمين، وبغى عليهم في مشارق
الأرض ومغاربها، لأن ذلك علامة ظاهرة على إيمان العبد، ومؤشر لصدق إيمانه، يقول
تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، (سورة الحجرات: 10)، ويقول رسولنا محمد ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ
فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ
بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»⁽¹⁾. فبالدعاء الصادق يهلك الله الظالمين، ويُبدد المفسدين، وتصبح حياتهم
أضيق من السجن، ولنا في قصة فرعون في القرآن أكثر من عبرة، إذ لما بلغ من الطغيان
وغروره أن استعبد أهل مصر، ثم قال أيضاً: ﴿يَأْيُهَا أَلْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾،
(سورة القصص: 38)، جاءته الهزيمة من دعاء نبي الله موسى وثباته وتخطيطه، فقال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ
ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِكَ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى
أَمْوَالِهِمْ، وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، قال الله تعالى بعدها
مباشرة: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (سورة
يونس: 88-89).

أيها المسلمون:

لقد بين لنا رسولنا محمد ﷺ في أكثر من حديث أن دعوة المظلوم من الدعوات
المستجابة، وأنها لا تسقط بالتقادم، وهي سهام لا تُخطئ، وسلاح على الظالم لا يُبقي وإن

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم: 2586.

طَالَ الدهرُ، فقال لمعاذ بن جبلٍ ض حين بعثه إلى اليمن: «وأتقِ دعوةَ المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجابٌ»⁽¹⁾، وقال أيضاً: «دعوةُ المظلوم تَحْمِلُ على الغَمَامِ، وتُفْتَحُ لها أبوابُ السمواتِ، ويقول الربُّ جل وعلا: وعزَّي، لأنصُرَنَّكَ ولو بعد حينٍ»⁽²⁾.

وجماع الكلام ما قاله ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾، (سورة إبراهيم: 42)، وبين لنا أن هناك يوم لا ظلم فيه ولا جور، يقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، (سورة غافر: 17)، نعم لا ظلم اليوم.. لأنه عدل مطلق، ويوم إعادة الحقوق لأصحابها، والعملة فيه ليست بالدرهم أو الدينار، وليست باليورو أو الدولار، إنما بالחסنات والسيئات: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، (سورة الزلزلة: 07-08).

أيها المؤمن الصادق:

اعتصم بالبر الرحيم، العزيز الكريم، الغفور الودود، تعيش على أمل لا حد له، ورجاء لا تنفصم عراه، وتفاؤل إيجابي لا ينقطع، ذلك لأن المؤمن حاله:

- إذا مرض لم ينقطع أمله في العافية، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، (سورة الشعراء: 80).
- وإذا اقترف ذنباً لم ييأس من المغفرة، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، (سورة الزمر: 53).
- وإذا أعسر وضاق عليه الأمر لم يزل يأمل في اليسر، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، (سورة الشرح: 05-06).

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم: 19.

(2) ابن حبان، الجامع الصحيح، كتاب الرقائق، باب الأدعية، رقم: 874.

- وهو إذا عادى أو كره، كان قريباً إلى الصلة والسلام، راجياً في الصفاء والوفاء، مؤمناً بأن الله يحول القلوب، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (سورة الممتحنة: 07).

- وهو إذا رأى الباطل يقوم في غفلة الحق، ويشوه الحقائق ويزورها، أيقن أن الباطل إلى زوال، وأن الحق إلى ظهور وانتصار، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾، (سورة الأنبياء: 18).

- وهو إذا أدركته الشيخوخة، واشتعل الرأس شيباً، لم ينفك يرحو حياة أخرى فيها شبابٌ بلا هرم، وحياةٌ بلا موت، وسعادةٌ بلا شقاء، ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾، (سورة مريم: 61).

اللهم يا فارحَ الهمم، ويا كاشفَ الغم، ويا مجيبَ دعوة المضطرين.. رحمنَ الدنيا والآخرة ورحيمَهُما، نسألك أن ترحمنا برحمةٍ تغيننا بها عن رحمةٍ من سواك.

اللَّهُمَّ لَا تَدَعْ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ، وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَجْتَهُ، وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ، وَلَا مَرِيضًا إِلَّا شَفَيْتَهُ، وَلَا مُبْتَلًى إِلَّا عَافَيْتَهُ، وَلَا ضَالًّا إِلَّا هَدَيْتَهُ، وَلَا غَائِبًا إِلَّا رَدَدْتَهُ، وَلَا مَظْلُومًا إِلَّا نَصَرْتَهُ، وَلَا أَسِيرًا إِلَّا فَكَّكْتَهُ، وَلَا مَيِّتًا إِلَّا رَحِمْتَهُ، وَلَا حَاجَةً لَنَا فِيهَا صَلَاحٌ وَلَكَ فِيهَا رِضًا إِلَّا قَضَيْتَهَا وَيسَّرْتَهَا بِفَضْلِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ فَرَجْ هَمَّهُمْ ، وَنَقِّسْ كَرْبَهُمْ، وَأزِلْ عنهم الفتن ما ظهر منها وما بطن، ووَحِّدْ صَفَّهُمْ، واجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ يا أرحمَ الرحمين.
اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأصلح أحوالهم في مشارق الأرض ومغاربها، ودمر أعداء الدين، واخذل من خذل الدين.

اللهم احفظ شباب أمة محمد ﷺ عن المعاصي والذنوب، وهب لهم قوة الطاعة

والإيمان، وارزقهم قوة الصبر والتحمل على البلاء يا أرحم الراحمين.
اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه
نبيُّك محمد ﷺ، أنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله.
قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله

الإيجابية في زمن الفتن

إن الحمد لله نحمده ونستعينه سرًّا وجهاراً، ونشكره على مننه شكراً مدراراً، سبحانه عز
إلهًا منتقمًا جباراً، وقاهراً لعباده الظالمين يقينا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُعلي الدين مناراً، وتحفظ وطننا
مراراً، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبد الله ورسوله، أعزَّ به الإسلام، ونصر به الدين،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المصطفين الأخيار.

أما بعد فيا عباد الله:

اتقوا الله خضوعاً وامثالاً، واعبدوه رجاء وخوفاً، تُحَقِّقُوا عِزًّا وَجَلالاً وسُوددًا وكمالاً،
يقول ربنا جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، (سورة الأحزاب:
70-71).

أيها المسلمون: إن الله يحب الذابِّين الأُباة، ويمدح الصادقين المدافعين عن أوطانهم
من أن تُنتَهَك حرماؤها، ويدافعوا ببسالة عن أعراضهم الشريفة أن تُسَلَّب كرامتها، ويقاوموا
كل باغٍ معتسِّف، ويردوا كيد كل طائش مُنكسِف؛ لأن البغي ممقوتٌ في كلِّ نفس،
مُستبشَعٌ في كلِّ عقل، وفي هذا يقول ربنا وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى
اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، (سورة الأعراف: 33).

والأوطان عباد الله أسمى من أن تُفسَّر بالثراب والطين، بل هي حمى العقيدة والدين،
والجوهر الثمين من المحارم والمكارم التي جمعها الدين القويم، والوطنُ لحمة للصدق والطهارة،
وعهد بالتعاون مع الإخوان في الخير ونشر المودة والمحبة في النفوس، والوطنُ رمز للتضحية

بالوقت الثمين والزمن النفيس لأجل تحسين حياة المسلمين للأفضل، وبناء صرح قوي متماسك تحقيقاً لوعد الله في أرضه، وتمكيناً لدين الله في النفوس حتى يستخلفكم الله في الأرض فينظر كيف تعملون. والوطن أخى المؤمن الصادق يلزمك بترك الأنا وحب الذات، ويمتق منك الانفراد بالأمور لوحده، أو الاستئثار بشخصيتك على حساب الآخرين، وتحقيق مصالحك الخاصة بالركوب على رقاب إخوانك الضعفاء، وليكن وطنك أخى في الله يجسد قول الله فيك: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾، (سورة الزمر: 11-12).

إخوة العقيدة:

إن إيجابية شبابنا في الدوز عن حمى وطنهم، والإقدام على رد العدوان على ممتلكاتهم وأرزاقهم وأرواح ذويهم، تحمّلنا مسؤولية عظيمة لأجل حفظ دينهم، والاجتهاد مثني وثلاث ورباع لتوفير الجو العلمي الراقي لهم، وإخراجهم من الأزمة منتصرين نفسياً، ناجحين دراسياً، محققين نتائج مرضية تذوي آذان العدو قبل الصديق.. فيا أمة يسجن، أين خيراؤنا؟ ويا أحفاد الشيخ اطفيش، كيف نترك العلم يهان في بلد العلم والعلماء؟ ولماذا لا نهب لتحمل المسؤولية بصدق وتحّد؟ باعتبارنا أولياء، ومسؤولين، وأساتذة، ومتقنين، وأرباب أموال، وبذلك نستدرك ما ضاع من الوقت لأبنائنا، ونتخذ تدابير صارمة لإشغال أوقاتهم في عطلة الربيع؛ من بداية إشراقة الصباح إلى غياب الشفق الأحمر، والانهماك في التحصيل الدراسي المكثف، ونشر الوعي الثقافي في عقولهم، وكذا تنظيم تعليم موازي لهم بعد العطلة للمراجعة والتقدم في الدروس، فهم يستحقون منا هذا وأكثر، لأنهم برهنوا على تفانيهم في حب وطنهم، وردوا كيد من كبّله المكرّ والبهتان، وأزال عن عينيه حسن الجوار والعرفان، وارتكس إلى مستنقع الغدر والهوان، فاللهم اكتب شبابنا مع الفتية الذين قلت فيهم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ

امْنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ (سورة الكهف: 13).

أيها الأخوة الأماجد:

بعد أن كتب الله لنا هدوء الفتنة الهوجاء، وظهرت آثار الطمأنينة في النفوس والحمد لله، لا بد أن نلهج بالشكر والثناء للباري -جل وعلا-، ونرفع تحية شديقة، مكررة معطرة، تحية إجلال واعتزاز، وثناء وفخر بامتياز، إلى شبابنا الأشاوس، ورجال أمتنا المتارس، المرابطين على ثغورنا الأبية، العاشقين للعلا ورحابة الميدان، لكم السلام مطيئا، وتحية زكية لتفانيكم وإخلاصكم... بوركتكم، ووُفِّقْتُمْ، وأُجِرْتُمْ، إذ سهرتم واثليتم، ودُدْتُمْ عن حمى وطننا، وخُضُّسْتُمْ المكاره في استبسال وإخلاص فأمنت النساء والضعيف وذو الحاجة، ووَجَّب علينا لكم الدعاء بفيض الدموع.. وطوبى لكم قول المصطفى الحبيب -عليه الصلاة والسلام-: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»⁽¹⁾؛ وهنيئا لكم المجد والمفاخر في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ

لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، (سورة العنكبوت: 69).

ورجاؤنا أن يفتح الله على بقية أهل يسجن من كل فئاتها، ومسؤوليها، وفي كل أحيائها أن يحيو شعيرة الحراسة الليلية، ومراقبة أوضاع بلدتهم بنظرة ثابتة، وصبر جميل، ويقظة مستمرة، ويتخذوها فريضة أسبوعية أو نصف شهرية مع استغلال تلك الأوقات في المذاكرة الإيمانية، وفي قراءة صفحة من كتاب فكري أو تاريخي، عاملين بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (سورة آل عمران: 200).

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولكافة المسلمين من كل خطيئة وإثم؛ فاستغفروه إنه كان غفارا، وتوبوا إليه إنه كان توابا.

(1) الترمذي، السنن، كتاب فضائل الجهاد، باب فضل الحرس في سبيل الله، رقم: 1639.

الخطبة الثانية

الحمد لله ولي المتقين أحده -تعالى- وأشكره حمدا لا يتناهى ولا يبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كتب النصر لعباده المؤمنين، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله الزكي الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الأطهار الميامين.

أما بعد، إخوة الإيمان:

جديراً بنا ونحن نرشف -بحمد الله- من الأمن والسلام... ألا تُزیدنا تلك الزوبعة الرّعناء إلا صموداً في الحق، ونُصرةً لقضايا مجتمعنا وأمتنا، وسداداً في الأمور، وسداداً للثغور، وثقةً في وعد الله بالنصر لدينه وأوليائه، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، (سورة الحج: 40).

معاشر الأحبة:

نحن في أمس الحاجة إلى الإيجابية في القول والفعل في هذه الظروف الحالكة، لأن الشخص الإيجابي هو الفرد: الحي، والمتحرك، والمتفاعل مع الوسط الذي يعيش فيه، بخلاف الإنسان السلبي هو الذي يحمل معاني التقوقع، والانزواء، والبلادة والانغلاق، والكسل، والاشتغال بمصالحه الخاصة، والدوران حول نفسه وذاته، فالفرق إخوة الإيمان بين السلبي والإيجابي كالفرق بين الليل والنهار، وبين الجماد والكائن الحي، وبين الوجود والعدم، يقول تعالى في سورة النحل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ، هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، (سورة النحل: 76).

فالله سمى السلبي في هذه الآية "كَلًّا"، والإيجابي بـ "يأمر بالعدل"، و"الكَلُّ" معناها الثقل الكسول، ومن صفاته أيضاً أنه "أبكم" لا يتكلم ولا يرتفع له صوت، ولا يقول الحق، ولا يقرأ الحدث بصدق وجرأة، وأما الآخر الذي "يأمر بالعدل" فهو الشخصية

المنتجة في كافة مجالات الحياة حسب القدرة والإمكانات، والمنفتحة على الحياة ومع الناس حسب نوعية العلاقات، والممتلك للنظرة الثاقبة للأمور والقراءة لما بين السطور، والمتحرك ببصيرة وعدل، والموازن بين الحقوق والواجبات (أي ما له وما عليه)، مع الهمة العالية والتحرك الذاتي، والتفكير الدائم لتطوير الإيجابيات وإزالة السلبيات.. فلا تغريه المظاهر، ولا الشكليات، وإنما ينفذ إلى أعماق الأمور بحثا عن الحلول الجذرية، ومجتنبا التزيينات الآنية، ورافضا وضع الماكياجيات الزائلة للمشاكل الضروسة.

ومن أمثلة الإيجابية في القرآن الكريم قصة مؤمن القرية الذي قال الله عز وجل عنه: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾، (سورة يس: 20)، فلم يمنعه بُعد المكان أن يقصد المدينة لنشر معتقده، فجاء في حالة السعي، ولم يأت ماشيا، أو متاقلا، لأن قلبه يحمل همة عالية، ورغبة أكيدة في الفلاح والنجاح، وطموحا صادقا في نقل ما عنده للآخرين، ونقل ما عند الآخرين إليه وإلى أمته دون كبر وبدون أي عقدة. وهو لم يكتف بوجود ثلاثة رسل يدعون في المدينة، وإنما جاء بنفسه ليدعو ويرغب الناس في اتباع المرسلين، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾، (سورة يس: 20).

فهذا مثال لمؤمن حمله إيمانه الحق الصادق، على أن يجهر بدعوته صريحة واضحة، بين الناس، ونادى بملء فيه: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾، (سورة يس: 25)، ولكن كيف كان مصيره إخوة الإيمان.. قتلَه قومه، وأُخِوا حياته، ولما قُتل بشرته الملائكة بالجنة، يقول تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾، (سورة يس: 26)، فالرجل المخلص مات مقتولا وبعد مقتله وهو في النعيم بقي في قلبه الشعور بالرغبة في العطاء، والنصح للآخرين: ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾، (سورة يس: 27)، فهو لم يشمت في قومه، ولم يهن خمولهم وإعراضهم، وإنما تمنى أن يعلم قومه بعاقبته، لعل ذلك يحملهم على أن يقبلوا

نصيحته ويعملوا بمقتضاها.

أيها المؤمنون:

هناك إيجابيات كثيرة ينبغي أن نتحلى بها، ونصائح جمة نستفيد منها من المخاض العسير الذي مر بنا في الآونة الأخيرة، وهذه بعضها:

1- يجب أن ننتهج أسلوب العمل الجماعي للنهوض بأممتنا، ونفكر في حلول جماعية للمشاكل الطارئة اقتصادية كانت، أم إعلامية، أم تربوية، وعلينا أن نستفيق جميعا للبناء الحضاري، ونرتقي بأعمالنا إلى مصاف الاحترافية والتقنين المنضبط، فلا مجال بعد اليوم للفردانية في الرأي، ولا للعشوائية في الأعمال، ولا لارتجال في المواقف، فالزمن لا يرحم، وربنا لا يرضى بذلنا، وأمتنا ستحاسبنا إن أخفقنا أو غطينا عجزنا بتصريحات لا تسمن ولا تغني من جوع، فاللهم نصرك وعفوك يا ذا الجلال والإكرام.

2- يجب أن نعمل متلاحمين غير منتهجين للإقصاء والانتقاء بذرائع واهية، وأسباب مزاجية، أو لصعوبة التأقلم مع البعض دون الآخر، ذلك لأن الإقصاء في الغالب نابع من قلة اليقين بالله، ومن الاستئثار بالرأي الأحادي على حساب ما أنعم الله على خلقه من النعم الفكرية والآراء السديدة، وقد يكون منشؤه حب الظهور، وحب السيطرة على المقود دون الآخرين، وخطرسة في النفس وكبرياء على خلق الله، وكل هذه من المعاصي القلبية التي ينبغي لنا معالجتها بصفاء الباطن، والرجوع إلى الله بقلوب خاشعة وجللة، معتقدين أن الله هو المسير لخلقته وكونه، وأن ليس للعبد سوى ما كسبت يده، يقول تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾، (سورة النجم: 39-42).

3- ينبغي تفعيل الإيجابية والإبداع في أوساطنا، وترك الاتكالية على الآخرين، وانتظار

سياسة إملاء الحلول، لأن هذا يجر إلى تعطيل الطاقات الفاعلة، ويفضي إلى استغناء الأنفس التي خلقها الله للتعقل والتفكر، ويُخشى أن يؤول الأمر ببعضنا إلى عدم الإقدام على فعل الخير إلا بإذن من مخلوق مثله، أو برضا إنسان ضعيف مثله، وهذا عين الخطأ والزلل، فالرضا إخوة العقيدة لا يطلب إلا من الله.

4- على الأمة أن تتحرك وفق قوانين الله في النصر والتمكين، وأن تعمل تحت راية جماعية منظمة، ومنقادة إلى قيادة رشيدة، ومن تمام صفات هذه القيادة أنها تأخذ قراراتها بالاستشارة مع كل الفاعلين في تخصص معين لحل قضية واحدة، لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، (سورة الشورى: 38)، وقوله أيضا: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، (سورة آل عمران: 159).

5- على العامل المجد أن يوكل عمله لله، وينتظر الجزاء من رب العباد، فهذه نملة سليمان عليه السلام لما أُنذرت قومها بجنود سليمان، لم يعرفها الله لنا، يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ، قَالَتْ نَمْلَةٌ، يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، (سورة النمل: 18)، فالله أورد النملة بصيغة النكرة، لأنها لم تشأ أن تبرز بين النمل، ولا أن تُعرف بين العائلات الأخرى، ولا أن تدعي أنها من خلّصت الناس من تحطيم جنود سليمان، وإنما أُنذرت أهلها وكفى.. وهكذا ينبغي أن يكون أفراد المجتمع المسلم، كلهم يعملون ولا يتسابقون لطلب الحظوة بعملهم الخيري، ولا يرجون منصبا من جهادهم في تقديم الحلول، ولا يبتغون كسب حظوظ ميل الناس إليهم، لذلك هم أبعد من تتعالى أصواتهم: أنا من فعلت كذا، لأنهم يدركون أن الله هو الفاعل الحقيقي، وأن من وفق إلى سؤدد وخير فليحمد الله على التوفيق، وليسبح الله على حسن النتيجة، وليستغفر الله عن التقصير في الوصول إلى النتيجة، وهذا ما لخصته لنا سورة النصر، يقول تعالى: ﴿إِذَا

جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٥٥﴾، (سورة النصر).

6- ينبغي أن يعتقد الذين يتصلون بأناس مثلهم طلبا للمساعدة والعون، أن اتصا لهم
يأتي بعد الاعتقاد الجازم أن العظمة لله وحده، وأنه لا حول ولا قوة إلى بالله العلي العظيم،
حتى لا يغرهم الشيطان فينزلقوا إلى براثن الشرك ويخرجوا من دائرة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، (سورة الفاتحة: 05).

7- للنصر في الحياة على الشر صفات لا بد من التحلي بها، وخلاصتها واردة في
أجوبة قائد الفرس حينما سئل عن المسلمين المنتصرين عليهم، فقال عن السؤال الأول: هل
أولئك القوم الذين خرجوا عليكم هم أكثر عددا؟ قال: بل هم أقل عددا.
وقيل له: هل هم أكثر عدة أو أقل عدة؟ قال: بل هم أقل عدة.
وقيل له: أخبرني عن حالهم؟ قال: هم رهبان بالليل، وفرسان بالنهار.
وقيل له أخبرني عن طعامهم؟ قال: يأكلون بقدر ما يعيشون.
وقيل له: أخبرني عن لباسهم؟ قال: يلبسون بقدر ما يستترون، ويقولون: ﴿وَلِيَّاسَ
التَّقْوَى ذَلِكْ خَيْرٌ﴾، (سورة الأعراف: 26).

وقيل له: أخبرني عن حالتهم فيما بينهم؟ قال: قلوبهم كقلب رجل واحد.
وهكذا ينبغي أن نكون أو لا نكون إخوة الإيمان، إن رمنا النصر والتمكين لدين الله في
الأرض.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك التواب الرحيم، ربنا اغفر لنا
ولولدنا ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب
الدعوات.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً
رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمناً في أوطاننا، وأصلح أئمتنا، اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه، وخذ بناصيتنا للبر
والتقوى.

اللهم إنا نسألك النصر المؤزر بعد الضراء، واللهم إنا نسألك أن تحزي أعداءك فإنهم لا
يعجزونك، وأن تشتت شملهم، وتفرق جمعهم، وتجعلهم عبرة للمعتبرين.

اللهم أغثنا بماء تسقي به ربوعنا، سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا
غرق، واللهم إنا نسألك أن تنزل علينا رحمة تطهر بها قلوبنا، وتنعم علينا بهداية تكون مودة
للمتساكنين في ولايتنا، يا أرحم الراحمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، يا أرحم الراحمين.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يُعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90)، ﴿وَلَذِكُرِ اللَّهَ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (سورة
العنكبوت: 45). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

22 مارس 2014

الإكثار من الدعاء، وعاقبة تركه

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا
كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واشكروه جل وعلا حقَّ شكره، فقد أجاب دعاءكم، ورحم
ضعفكم، وفرَّج كربكم، وأغاث بلاءكم، فله الحمد على ذلك حمداً كثيراً، له الحمد سبحانه
حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، يقول تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾، (سورة هود: 52).

أيها المؤمنون:

إن من عظيم فضل الله تعالى ورحمته بعباده أن جعل دعاءه وسؤاله عبادةً من أفضل
العبادات، وقربةً من أجلِّ القربات، ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، (سورة غافر: 14)،
فاسألوا ربكم أيها الصالحون، وألحوا في طلبه أثناء الليل وأطراف النهار، واطلبوا منه كلَّ
حاجاتكم، دقيقتها وجليلها، قريبها وبعيدها، فإن الأمر كله بيده، ولا مانع لما أعطى، ولا
معطي لما منع، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ
فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾، (سورة يونس: 107)، وقالت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «سلوا الله كلَّ
شيء، حتى الشسع -أي: حتى سير النعل - فإن الله لو لم يُيسِّره لم ييسره»⁽¹⁾.

(1) أبو يعلى، المسند، مسند عائشة، رقم: 4560.

فإذا عرفت هذه الحقيقة الناصعة أيها المؤمن، فكيف لك أن تُعرض عمن يقول لك سأستجيب لك، وسأحلُّ لك كل شيء، وسألِّي لك كل طلباتك، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، (سورة البقرة: 186)، وكيف لك أن تعرض عن الله، وتتخلى عن طلب مسألته فتلتجئ إلى من دونه، وتستنجد بمخلوقاته، وتترك صاحب الحاجة الحقيقة؛ خالقها، وميسرها، ومدبرها، أليس هذا غباء ما بعده غباء، أوليست هذه غفلة شديدة وعمل منكرو.. وليت الأمر يقف عند وصف المعرض عن ربه والمتخلى عن الدعاء إليه في كل حاجة بالمسيء إلى نفسه، وقليل الفهم، ولا دراية له بمهارة النجاح في الحياة، لكن الأمر إخوة الإيمان أعقد من ذلك، لأن الله يعتبر من لا يلح له في الدعاء ومن لا يتوجه إليه في كل صغيرة وكبيرة، معرضاً عن ربه، ومستكبراً عن عبادته، وتوعده بالعقاب الأليم، والعذاب المهيّن، وفي هذا يقول جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي -أَي دُعَائِي وَمَسْأَلَتِي -سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ ذَاخِرِينَ﴾، (سورة غافر: 60)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»⁽¹⁾.

أيها الكيس الفطن:

لا تتواني مطلقاً أن تسأل ربك عن كل احتياجاتك، وتدعوه أن يجبر كل نقائصك، وتلح في سؤالك، وتملق في التوسل إليه بالحاح وخشية أن يرحمك في الدنيا والآخرة، ويبعد عنك سخطه وناره، ويفتح لك جنته ونعيمه، ويريك من رضوانه وفتحه، ويسر لك أمورك كلها، ويلطف بك، ويمنّ عليك، ويُجبرك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، لأن ربك أخي الكريم.. هو الفرد الصمد الذي يُلتجأ إليه وحده، وهو جوادٌ كريمٌ يداه مبسوطتان ينفق

(1) الترمذي، السنن، كتاب الدعوات، باب منه، رقم: 3373.

كيف يشاء، وهو تبارك وتعالى رب العالمين أجمعين، وبيده الملك ومقاليد كل شيء، وهو على كل شيء قدير.

أيها الذاكرون لربكم:

إن من أسباب الغفلة عن الدعاء، مع أهميته ووعده الله باستجابته، استصغار المحرمات، وارتكاب المنكرات، والظلم والتعدي على الآخرين بالقول أو الفعل، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، (سورة الأنعام: 82)، ومن أسبابها أيضا: التسويف بالتوبة، ونسيان عذاب الله وانتقامه، والتقاعد عن أداء العبادات، وإهمال فعل الطاعات حتى يباغتهم أجلهم، يقول تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾، (سورة الأنبياء: 01).

غالب الناس في دنيانا غافلين عن ذكر الله، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾، (سورة يونس: 92)، وغالب الناس لا يذكرون ربهم، ولا يناجونه بين الحين والآخر، لأنهم يتوهمون أن ربهم -جل وعلا- أقل من أن يلي حاجاتهم، أو أنهم معجبون بأنفسهم، فيرغبون أن يقضوا أمورهم بقوة إرادتهم، وعزيز فهمهم، فتجدهم يلهثون وراء مصالحهم الخاصة ليل نهار، ويكدون ويجدون في كل ناد وواد، ولكنهم لم يفلحوا ولم يستريحوا ولم يهنأ لهم بال ولم يحققوا السعادة التي يحلمون بها، ومرد ذلك كله إلى الإعراض عن الله، والغفلة عن البكاء إليه، وعدم توكل الأمر إليه أولا وآخر، يقول ربنا جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، (سورة هود: 123).

فيا عبد الله، أي غيب، وأي خسارة أكبر من ترك سؤال رب جواد كريم، بيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله؟! وأي مضيعة أشد من الاشتغال بحل معضلاتك بالتفكير الجاد

في الأسباب الدنيوية، والاستغراق الطويل في التركيز على معارفك وعقلك، وتنسى ربَّ الأرباب، ومسبب الأسباب، وقاضي الحاجات، والمنعم، والفتاح، والمنان، والعليم بما في الصدور.

إخوة الإيمان:

إن من تمام جُودِ الله تعالى وكرمه، ومن كمالِ غناه وقُيُومِيَّته، أنه سبحانه وتعالى يَعْرِضُ على عباده سؤاله وطلبه لعل أحدا يستفيق وَيُرْشِدُ ويُدرك حقيقة الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»⁽¹⁾، فاجتهدوا عباد الله في سؤال مولاكم جلَّ وعلا عن كلِّ ما تشاؤون، فإنكم لا تَعْدِمُونَ خيراً ما سألتموه ورجوتموه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِيْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشُّوءِ مِثْلَهَا»⁽²⁾.

اللهم إنا نسألك أن تعيننا على ذكرك وشكرك وحسن عباداتك يا أرحم الراحمين.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم: 1145.

(2) أحمد، المسند، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، رقم: 11133.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أيها المؤمن:

اعلموا رحمكم الله أن للدعاء آداباً، تزيد في أجره، وتغلب إجابته، فمن آداب الدعاء
الواجبة:

أن تُخلصَ في دعائك لله تعالى، فلا تدعو معه أحداً، بل تدعوه وحده لا شريك له،
كما أمر الله بذلك: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، (سورة الجن: 18).
وأن تدعو وأنت موقن بالإجابة، قال ﷺ: « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة »⁽¹⁾.
وأن تدعوه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ
بِهَا﴾، (سورة الأعراف: 180).

وأن تدعوه وأنت معتقد أن الله له كامل الحل، وحيثما اختار الله لك من أمر فهذا خير
لك، وأنسب لك، ولا يعني عدم الحصول على مرادك، أن الله عاجز عن الاستجابة، لكن
لعلمه بما ينفعك وما يضرّك وما يمنع عنك من ضرر، ويجلب لك من خير في الدنيا والآخرة
أخّر الاستجابة لطلبك الآتي، ومنحك استجابةً تليق بحالك ونفسيّتك إبان دعائك.

ومما يعين على الاستجابة في الدعاء إطابة المأكلي والمشرب والملبس، فعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.. ثم ذكر الرجل يطيل
السفر، أشعث أغبر، يمدُّ يديه إلى السماء، يا ربّ يا ربّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام،

1) الترمذي، السنن، كتاب الدعوات، رقم: 3479.

وملبسُهُ حرامٌ، وغذِّيَ بالحرام، فأَنَّى يستجابُ لذلك؟!»⁽¹⁾.

فاتقوا الله عباد الله، وذروا كلَّ كسبٍ حرامٍ، فإن ما يفوتُكم من خير الدنيا والآخرة، بسبب الكسبِ الحرام، أضعافٌ أضعافٌ ما تحصّلونه من لذةٍ زائلةٍ، أو فرحةٍ كاذبةٍ، ويكفيك من هذا قوله جل وعلا: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾، (سورة البقرة: 276).. وحاسبوا أنفسكم في أداء أعمالكم، هل أنتم منضبطون، هل أنتم جادون في القيام بمهمتكم؟ بداية بالحضور في الوقت، وترك الاشتغال بما هو خارج عن الوظيفة.. وحاسبوا أنفسكم عن كل صغيرة وكبيرة في صفقاتكم المالية؛ حتى تنالوا معية الله، وتفوزوا باستجابة أدعيتكم، وتحققوا العبودية لله وحده في أفعالكم وأقوالكم.

أيها الداعون المخلصون:

لقد أدرك النبيّون مفعولَ الدعاء إلى ربهم، فلم يلتجئوا إلا لله وحده الذي لا شريك له، ولم يستعينوا بأي قوة غير قوة العزيز القهار، فخلع الله عنهم أسباب الخوف من قلوبهم، وملاها بمعية الله، وحقق لهم ما يتحقق لغيرهم، حيث أخرج يونس عليه السلام من ظلمات ثلاث، ومن جوف بطن الحوت بعد أن تعلق بالله وحده، واستنصر به وحده دون أحد سواه، فبات يردد طويلاً دون كلل وملل، ودون أن يشك لحظة في استجابة الله له، فقال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ... فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، (سورة الأنبياء: 87-88).

والله لم يتوان لحظة أن يستجيب لعبده زكرياء عليه السلام المنكسر الضعيف، وهو يدعو في جوف الليل أن يحقق له رغبات عجيبة خارقة، فأنفذ الله وعده وحقق رجاءه بكل قوة

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها، رقم: 1015.

وفعالية، يقول تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿كَهَيَّعَصَ، ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرَاءَ، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا، قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبَّ شَقِيًّا، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾، فجاء الفرج سريعاً: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾، (سورة مريم: 01-07).

ويعقوب عليه السلام بعد أن طالت غيبته ولده يوسف عنه، وبُعِدَتْ مسافة الزمان والمكان بينهما، ثم جزع مرة أخرى في فقدان ابنه الثاني، فعبر الله تعالى عن هذا القلب الفجيع بقوله: ﴿فَصَبَّرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، (سورة يوسف: 83)، فحقق له طلبه عندما جمع شمل العائلة من جديد، يقول تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾، (سورة يوسف: 100).

أيها المسلمون:

عندما يُحَاصِرُ المسلم من كل جهة، ويضيق عليه الخناق الذي أحاط به من كل جانب، عليه أن يرفع يديه إلى رب السماء، ويستغيث برب الأرباب، ويطلب منافذ الفرج من رب خالق الأسباب، من رب ﴿أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ، وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ، وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ﴾، (سورة النجم: 50-52)، أوليس هو القائل: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُم خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النمل: 62).

فبالدعاء يتسع صدرُ المؤمن وقلبه، وتعيش نفسه في رحبة وسعة، وبالدعاء يأذن الله يطرُدُ الإنسان شبح الوحدة المخيف، ويزيح عن نفسه كابوسها المزعج، ولا يشعر بعد ذلك إن شاء الله إلا بما شعر به موسى عليه السلام حينما قال: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، (سورة

الشعراء: 62)، أو ما شعر به رسولنا محمد ﷺ في الغار حين قال لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (سورة التوبة: 40).

أبيها المتقي:

اعتصم بالبر الرحيم، العزيز الكريم، الغفور الودود، تعيش على أمل لا حد له، ورجاء لا تنفصم عراه، وتفاؤل إيجابي لا ينقطع، ذلك لأن المؤمن حاله:

- إذا مرض لم ينقطع أمله في العافية، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، (سورة الشعراء: 80).
- وإذا اقترف ذنبا لم ييأس من المغفرة، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، (سورة الزمر: 53).
- وإذا أعسر وضاق عليه الأمر لم يزل يأمل في اليسر، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، (سورة الشرح: 05-06).

- وهو إذا عادى أو كره، كان قريبا إلى الصلوة والسلام، راجيا في الصفاء والوئام، مؤمنا بأن الله يحول القلوب، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (سورة الممتحنة: 07).

- وهو إذا أدركته الشيخوخة، واشتعل الرأس شيبا، لم ينفك يرحو حياة أخرى فيها شباب بلا هرم، وحياة بلا موت، وسعادة بلا شقاء، ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾، (سورة مريم: 61).

- وهو إذا كان في بلد قل فيه الغيث، واحتبس المطر، وقحط الناس، وأجدبت الأرض، يُكثر من الاستغفار لربه، ويدعوه متبذلاً - بشياب من غير زينة - ومتواضعا ومتضرعا ومبالغا في رفعه يده إلى السماء، وموقنا بالإجابة، وداعيا الله بعد صلاة الاستسقاء: اللهم

أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا... اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا -منقذا من الشدة-، مريئًا مريعًا،
نافعًا غير ضارٍّ، عاجلاً غير آجل يا أرحم الراحمين.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما
أنزلت لنا قوة وبلاغًا إلى حينٍ

اللهم يا فارحَ الهمِّ، ويا كاشفَ الغمِّ، ويا مجيبَ دعوة المضطرين.. رحمَنَ الدنيا والآخرة
ورحيمَهُما، نسألك أن ترحمنا برحمةٍ تغيننا بها عن رحمةٍ من سِواك.

اللَّهُمَّ لَا تَدْعُ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ، وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ، وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ، وَلَا مُبْتَلَى إِلَّا
عَافَيْتَهُ، وَلَا ضَالًّا إِلَّا هَدَيْتَهُ، وَلَا غَائِبًا إِلَّا رَدَدْتَهُ، وَلَا مَظْلُومًا إِلَّا نَصَرْتَهُ، وَلَا أَسِيرًا إِلَّا
فَكَكْتَهُ، وَلَا مَيِّتًا إِلَّا رَحِمْتَهُ، وَلَا حَاجَةً لَنَا فِيهَا صَلَاحٌ وَلَكُ فِيهَا رِضًا إِلَّا قَضَيْتَهَا وَيَسَّرْتَهَا
بِفَضْلِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، واكشف عنهم الضر، وأزل عنهم الشدة،
وباعد عنهم الضيق، واشرح صدورهم، وقوهم على مغالبة الشيطان ووسوسته.

اللهم احفظ شباب أمة محمد ﷺ عن المعاصي والذنوب، وهب لهم قوة الطاعة
والإيمان، وارزقهم قوة الصبر والتحمل على البلاء يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل بلادنا وسائر بلاد المسلمين آمنة مطمئنة يا ذا الجلال والإكرام، اللهم
باعد عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأصلح أحوالهم في مشارق الأرض ومغاربها، ودِّمّر أعداء
الدين، واخذل من خذل الدين.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمةُ أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا،
وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، واجعل الموت راحةً

لنا من كل شر، يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه
نبيك محمد ﷺ، أنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله.
قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

25 نوفمبر، 2016

دعاء في عرفات⁽¹⁾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا. اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. سبحانك يا الله يا رب السماوات والأرض، سبحانك يا ربُّ العرش العظيم، سبحانك يا من بيده ملكوت كل شيء، أتوسل إليك يا الله بكل أسمائك الحسنی، يا سمیع، يا بصیر، يا مقلب القلوب، يا مجيب المضطر إذا دعاه، يا حلیم، يا شكور.. نشكرک شکرا یزیدنا فی الإحسان، ویوفقنا إلى مزید الامتنان، ویدخلنا فی زمرة عبادک الذین قلت فیهم: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، (سورة سبأ: 13).

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الْغَفْلَةَ تَنْسِينَا فَضْلَكَ، وَالتَّعَوُّدَ عَلَى نِعَمِ اللَّهِ الْمَبْسُوطَةِ يَطْغِينَا، وَطُولَ إِفْهَاءِهَا يَرْخِّصُ قِيَمَتَهَا لَدِينَا. اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الشُّكْرَ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَالصَّدَقَ فِي الدَّعَوَاتِ، وَأَعِنَّا عَلَى الْخَيْرِ وَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. اللَّهُمَّ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

(1) هذا دعاء دعوت به في عرفات بخيمة المزابيين، حج 1437هـ، 2016.

اعصمنا يا رب السماوات والأرض من كل ذنب يزيل النعم، ويُجِلُّ النِّقَمَ، ويورث النَّدَمَ، ويطيل السَّقَمَ، ويعجِّلَ الألم. واغفر لنا يا الله كلَّ ذنب يُغْضِبُكَ، وكلَّ ذنب يَمْحَقُ الحَسَنَاتِ ويضعاف السيئات، وكلَّ ذنب يُمِيت القلب، ويَجْلِبُ الكَرْبَ، ويُشْغِلُ الفكرَ، ويُرضي الشَّيْطَانَ، وَيُسْخِطُكَ يا رحمان.

أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه من جميع ما يكره قولاً وفعلاً، سرا وعلانية. وأستغفركَ يا الله لما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، وأستغفركَ من كل ذنب تبتُّ منه ثم عدت إليه. اللهم إنا نستغفركَ من النعم التي أنعمتَ بها علي فاستعنا بها على معاصيك. ونستغفركَ من مستحقرات الذنوب أن تمحق أعمالنا، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

اللهم إنا نسألك مسألة المساكين، ونخضع لك خضوع الضعفاء، ونبتهل إليك ابتهاًل الأذلاء، وندعوك دعاء المنيين؛ دعاء من كثرت ذنوبه، وقَلَّتْ حيلُته، وأغرقتَه المعاصي، وتاه في الظلمات، وندعوك دعاء من عرف أنك الغفور الودود الفعّاد لما يريد، وندعوك دعاء من وقف بين يديك وطرق أبوابك وناداك أن تغفر له ذنوبه كلّها، وتثبتَه على طاعتك بعد الحج.. وتقبل يا ربنا ولا تعذبنا بذنوبنا وأنت علينا قدير.

اللهم اغفر لنا كلما فات، اللهم امح عنا كلما فات، اللهم بدل سيئاتنا حسنات يا أرحم الراحمين.

يا ربُّ ليس لنا ربُّ سواك، لقد انقطع الرجاء إلا منك، وأُغْلِقْتَ الأبواب إلا بابك فلا تطردنا عن بابك، ونعوذ بك أن نموت على المعاصي. يا رب ارفع غضبك ومَقْتَك عنا، اللهم اقْبِض روحنا إليك صافية طاهرة صفاء قلوب عبادك المؤمنين في محشر عرفات.

يا رب استجب، يا رب استجب، يا رب استجب.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

يا ربنا.. يا إلهنا.. إن المؤمنين الطاهرين قد أتوك ملبين، وداعين، فاجمعهم على وحدة كلمتك، وهون عليهم اختلافاتهم العقيدة والفقهية، وقلل من شأن اعتزازهم بتاريخ آبائهم وسلفهم على حساب عزة ربهم وأنبيائهم، وباعد عنهم هوى الاغترار بالآنا وتقديس الذات وطلب الشأن باسم النضال لدينك وحماية شريعتك، اللهم باعد عنهم البطانة السيئة من رجال المصالح والساسة الكبراء الذين يمدونهم بالقوة والمال لأجل مهاجمة إخوانهم المسلمين، وضرب شوكة بعضهم، وجعلهم شتاتاً متفرقين، وأعداء متباغضين.

يا ربُّ اهد رجال أمتك إلى أن يسطع نور كلامك في مُحيَّاهم، ويُوفِّقوا إلى خدمة الإسلام لا إلى ضرب المسلمين، ويعملوا بصريح كلامك الجلي، وقولك الواضح الذي لا يحتاج إلى شرح وتأويل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، (سورة آل عمران: 103)، وقولك الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، (سورة الحجرات: 10).

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَيَا مَنْ خَلَقَ فَسَوَّى وَقَدَّرَ فَهَدَى، شمر عنا وباء البغضاء والشحناء، وباعد عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

نسألك يا ربنا أن توقظ نفوس الطيبين لإرجاع أمتنا إلى الرشاد، وتلهم الخيرين إلى التفطن إلى مكائد الشيطان وأهل المصالح الذين استخفوا بالمسلمين؛ عالمهم وورعهم، دكاترتهم وأساتذتهم، مشايخهم وطلبتهم، رجالهم ونسائهم، أطفالهم وصبيانهم، فأردوهم متناحرين مشتتين في كل بقاع الأرض، واستخفوا بعقولهم كما استخف فرعونُ بقومه،

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾، (سورة الزخرف: 54).

يا ربنا إنا ندعوك بإخلاص أن ترفع عنا هذا الغبن والتردي والدناءة، وتُلهِمنا الرشد والفلاح والإنابة، وتُبَلِّغنا مراتب الفوز الحضاري والنجاح في الدارين، وتردَّ كلَّ هؤلاء الحشود في عرفات إلى بلادهم رسل خيرٍ وصلحٍ وهداية لأهلهم وذويهم ومجتمعاتهم يا رب المستضعفين.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، من ساسة الغرب واليهود، وارفع بنا راية الإيمان، واعل بنا كلمة القرآن، ولا تجعل الكفار وأذنابهم يستخفون بعقولنا، ويُلصقون مهاتراتهم وشنائهم وتكاليهم على الدنيا بالإسلام والمسلمين، اللهم ألهمنا ألا نستكين إلى تحليلاتهم وتخريفاتهم، فنضلَّ أنفسنا، ونشكَّ في ديننا، ويتردى شبائنا في أحضان نظرياتهم الحاقدة على الإسلام.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، (سورة الفرقان: 74).

يا واهب النعم، ويا ولي المستضعفين، هب لنا ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، اللهم أعن شبابنا على الحق والرضوان، وألهمهم الصحبة الحسنة، وباعد عنهم قرناء السوء، وخل بينهم وبين المعاصي والملهيات، وألهمهم العلم النافع، والعمل الصالح، ووفقهم لحفظ كلامك العزيز وفهم معانيه والعمل بما فيه، وقوهم يا الله في عقولهم وأجسامهم، وأعنهم في تحصيلهم الدراسي واكتساب المهارات والتألق في الإبداع والمنافسات العلمية، وأرشدهم لحسن تنظيم أوقاتهم، وجنبهم الانهماك مع التلفاز والألعاب الإلكترونية، وباعد عنهم مشاهدة خزي الكرة وتتبع فسوق الأولمبيات.

اللهم من كان منهم غافلا فأيقظه، ومن كان غارقاً فأُنقذه، ومن كان عاصياً فاهده

للتوبة وثبته عليها، ومن كان عاملاً مجدداً نشيطاً فتقبل منه وبارك له في عمله وجهاده يا لطيف يا مجيب الدعاء.

اللهم احفظ شباب أمة محمد صلى الله عليه وسلم من المعاصي والذنوب، وهب لهم قوة الطاعة والإيمان، وارزقهم قوة الصبر والتحمل على البلاء يا أرحم الراحمين.
اللهم ارزق شباب المسلمين عفة يوسف عليه السلام، وارزق بنات المسلمين طهارة مريم عليها السلام، واحفظ المسلمين من شر خلقك أجمعين.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.
يا ربنا يا عزيز، يا حكيم يا خبير، أيها القاهر فوق عباده.. أعن عبادك على رفع راية الإسلام خفاقة في المعمورة، واجعلهم يعملون في أطر جماعية منظمة متحابين ومتآزرين، ويسعون بحكمة لإقامة مجتمعات إسلامية تحكمها عقيدة الإسلام وشريعته، ويجتهدون بأسس علمية وتقنيات عالية لعمارة الأرض والاستخلاف فيها بما يصلحها ويقيم صرحها.
اللهم ألهم أمتنا في مزاب أن تُسير مشاريعها على نظام الشورى في اتخاذ القرارات، وأن تحتكم إلى العلم في حل القضايا العالقة، وأن تستعين بالمختصين في كل المجالات لفك المعضلات، وأن تُفوض المسؤوليات إلى الفاعلين في الميدان، ونسألك ربنا أن تسدد خطى أمتنا للعمل وفق أهداف مسطرة، وخطط واضحة، ومراحل محددة.

اللهم احفظ مشايخنا ومسؤولينا، وهب لأمتنا مصلحين مقتدرين، وأنزل علينا رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا، وتوحد بها صفوفنا، وتهدينا بها إلى الإيمان يا أرحم الراحمين.

اللهم أهلك المعتدين على بلادنا، واكشف رؤوس الظلمة والمخططين السفلة، واجعلهم عبرة للمعتبرين، اللهم عجل خروج المسجونين وفك أسرهم، واخلف عن

المتضررين في محلاتهم وبيوتهم ونفوسهم، وارحم موتانا يا ذا الجلال والإكرام.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

اللهم حبب كلامك العزيز إلى أفئدتنا، واجعله نبراسا نستشير به في ظلمات حياتنا، ومرشدا يعيننا على شكر نعمك في السراء والضراء، واللهم أعنا على تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، وأدم علينا نعمة الأمن والإيمان، والسلامة والإسلام.

اللهم حسن أحوالنا، وألف بين قلوبنا، ووحد كلمتنا على الحق، اللهم اجعل بلادنا وسائر بلاد المسلمين آمنة مطمئنة، يا أرحم الرحمين.

اللهم أغثنا غيثا نافعا، تسقي به أراضينا، وتطهرنا به من الحقد والحسد والبغضاء والشحناء، اللهم أغث قلوبنا وديارنا ومشاريعنا رحمة وقوة.

اللهم اعط المنفقين خلفا، وارزقهم من الثمرات، وبارك لهم في أموالهم وأعمارهم، وقر أعينهم بأبنائهم، واختم بالصالحات أعمالهم، وفقهم أن يستغنوا بحلالك عن حرامك، وجنبهم الربا والشبهات والرشاوي، ربنا آتهم من لدنك رحمة وهيء لهم من أمرهم رشدا، اللهم اقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، يا مُصَرِّف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾، (سورة الصافات: 180-182).

المحور الرابع

فعل الخيرات، والعمل الاجتماعي

فعل الخيرات، والمسارة إليها

الحمد لله الكبير المتعال، ذي العزة والكمال والجلال، بيده مقاليد السماوات والأرض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وإليه المرء والمآل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله، عظيم السجاياء كريم الخصال، صلى الله وسلم عليه تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله تعالى، يقول عز من قائل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، (سورة البقرة: 281).

أيها الإخوة المؤمنون: إنه لا قيمة للحياة بدون فعل الخيرات، ولا نجاة للعبد في الآخرة بلا فعل الخيرات. ولا راحة نفسية ولا سعادة قلبية للعبد دون فعل الخير، ولا فوزاً برضوان الله دون فعل الخير، يقول تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾، (سورة البقرة: 197).

يا عبد الله: إن فعل الخيرات يرجع عليك بالنفع بداية وآخرها، يقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، (سورة النحل: 97)، فأنت وحدك **أخي المؤمن** الرابع والكاسب، وأنت من ستشاهد هذه الخيرات التي عملتها في الدنيا وفي الآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، (سورة الزلزلة: 06-08).

وتذكر **أخي العامل في الخير** أن الأرض سوف تشهد لك على جهدك، وأن الطرقات والمساجد والأمكنة والبيوت والأسواق كلها ستشهد أيضاً على عملك الخيري،

يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، (سورة الزلزلة: 04)، أي: تحدث بما عمل العاملون على ظهرها. وفي هذا يروي أبو هريرة ض أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها»⁽¹⁾.

ألا فاتقوا الله أيها المسلمون فإنكم واجدون في هذه الدنيا فرصا للخير فلا تضيعوها، ومتعرضون لفتن فلا تخشوها، وكونوا مفاتيح للخير مغاليق للشر، فقد قال نبيكم ﷺ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ. فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ»⁽²⁾. ويقول ربنا جل وعلا: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (سورة الحج: 77).

وبادروا أيها الغيورون بالمبادرات الطيبة قبل الطلب، وابدأوا المعروف للناس دون أجرٍ أو منّة، وإنما احتساباً لما عند الله، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾، (سورة الإنسان: 09). واجتهدوا في فعل الخير اقتداء بفعل الأنبياء عليهم السلام عبر التاريخ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، (سورة الأنعام: 90)، وبجواب خديجة ض لزوجها المفجوع المرتعدة فرائضه حينما قال ﷺ: «لقد خشيتُ على نفسي»، فقالت له بكل طمأنينة بال: «كلا، أبشر؛ فو الله لا يُخْزِيكَ الله أبداً. والله إنك لتصلُ الرَّحِمَ، وتصدقُ الحديثَ، وتحملُ الكلَّ، وتكسِبُ المعدومَ، وتُقْرِئُ الضيفَ، وتُعِينُ على

(1) الترمذي، السنن، كتاب القيامة والرقائق والورع، رقم: 2429.

(2) ابن ماجه، السنن، كتاب الإيمان وفصائل الصحابة والعلم، باب من كان مفتاحا للخير، رقم: 237.

لقد كان نبيكم إخوة الإيمان مباركا حيثما كان، فقد قضى معظم وقته لنفع عيال الناس، يذهب معهم ويأتي، ويصحبهم حاجا ومعتمرا ومجاهدا، ويصلي بهم ويعلمهم، يرويه في المسجد والسوق، ويحضر معهم في المقبرة والطريق، يجدونه في السلم والأمن، ولا يفقدونه في أيام الخوف والحزن، وعلى نهجه سار أصحابه وأتباعه وسلفنا الصالح؛ فجاهدوا وبذلوا، ودعوا وصبروا، وصدعوا بالحق وما ضعفوا، ولا يعني هذا بالمرّة أن الأولين كانوا أكثر مالا و أوفر حظا من المتأخرين، ولكن الله جعل كلا منهم حيث جعل نفسه، فلم يحقر من المعروف شيئا: يقول الرسول ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا»⁽²⁾.

أيها الصالحون: إن المسابقة إلى الخيرات خلق لا يتصف به إلا المؤمن الصادق، والمسارة إلى أعمال البر طبع لا يتخلق عليه إلا من وهبه الله تعالى راحة في العقل وانشراحا في الصدر وسلامة في القلب. فكونوا سباقون لفعل الخيرات مثلما كان رسولكم مبادرا إلى الخير بدون تسويف ولا مماطلة، فعن عُبَيْدَةَ، قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَقَرَعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: «ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تَبَرُّ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْسِنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ»⁽³⁾. فالرسول ﷺ خشي أن يشغله القليل من الذهب الذي في يده من فعل الخير والإقبال على الله تعالى.

ولا بد **أيها الصالحون** أن يُعَمَّ عملُ الخير كل جنّات المجتمع، ويفرضُ نفسه شعورًا

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾، رقم: 4953.

(2) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، رقم: 2626.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم، رقم: 851.

ساميًا لذويه وأهله أجمعين، وبالأخص في الأزمات الشديدة، ووقت تربص الأعداء من كل حذب وصوب، أفلا تستمعون إلى ما يقول ربكم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (سورة الحج: 77).

اللهم اجعلنا بالحق قائمين، وقائلين، وعليه متعاونين متعاضدين، واجعلنا من عبادك الصالحين، مفاتيح للخير مغاليق للشر، يا رب العالمين.

اللهم فرِّجْ همَّ المهمومين، ونفِّسْ كربَ المكروبين، واقضِ الدينَ عن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضَى المسلمين، وآمنّا في أوطاننا، وأصلح أحوالنا وأحوال المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الملك القدوس السلام، مبدع الأكوام على أساس التخطيط والنظام، نحمده سبحانه وتعالى على بديع صنعه في غاية الدقة والإتقان.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا وحبينا محمداً عبداً ورسولك الذي أرسلته هادياً لكل العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد:

فلقد حث النبي ﷺ على المبادرة والمصارعة في عمل الخير، قبل أن تتغير النفوس وتقلّب القلوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»⁽¹⁾.

أيها الإخوة المؤمنون: دعونا نفتح صفحات من الخير، ونستروح نفحة من نفحات ربنا الكريم، وبركة من بركات ربنا الرحيم، وعطية من عطايا نبينا ﷺ الرؤوف على المؤمنين، علنا نفلح في تنظيم شؤون مجتمعنا، ونظهر خطواتنا من الأخطاء الظاهرة والعفوية المقيتة.
1- من أوكد المسلمات في العمل الجماعي المنظم أن نسير مشاريعنا على نظام الشورى في اتخاذ القرارات؛ وبخاصة فيما لم يتضح فيه وجه الصواب، ولنا أحسن مثال في استشارة الرسول ﷺ صحابته الكرام عند ملاقاتهم قافلة المشركين في غزوة بدر الكبرى، فقال: «أشيروا عليّ أيها الناس!»، وهو يريد بذلك الأنصار لأنهم لم يبايعوه على النصر خارج المدينة، فأجابه سعد بن معاذ رضي الله عنه بقوله: «والله! لئن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك». وفي ذات السياق يقول تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال، رقم: 118.

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» (سورة آل عمران: 159)، ويقول أيضا مرغباً المؤمنين في أن يكون الأمر شورى بينهم، فقال: «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ» (سورة الشورى: 38).

اعلم أخي المسؤول أنه كلما وسَّعت دائرة استشارتك للمختصين، وكلما أبدعت في إنشاء هياكل قاعدية لأبدعت لمؤسستك، أو عملك، أو جمعيتك، أو مجلسك فإنك بهذا الصنيع وبهذه الهيكلة قد طبقت الشورى التي أمرنا بها الله تعالى، وقزمت نفسك أمام العلي القدير، ونزعت عن نفسك لباس الكبر والعظمة، وأسندتهما لصاحبها الواحد الأحد، يقول رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: الكبرياءُ ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما قَذَفْتُهُ في النار»⁽¹⁾.

2- من ضعف عن أداء الخير عليه أن يكف شره عن الناس، ولا يعين الظالمين على هتك حرمت المسلمين، ولا يُشيع الفاحشة بينهم، فيكون عوناً للمعتدين، ويذا للمتربصين سوءاً، ممن يريدون إزالة نعم الله عن عباده، ويسعون إلى غلق ما فتح الله عليهم من خصوصيات مذهبية ومزايا عرقية، فعن جُنْدَبِ بْنِ جُنَادَةَ ض قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ»... ثم قال له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: «تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ»⁽²⁾.

ومن تمام كف الشر عن أنفسنا، أن ندعو ليلاً ونهاراً، سرا وجهراً الشباب الذين أضلهم الله على علم، واتبعوا خطوات الشيطان فسنوا ليلة الجمعة من كل أسبوع موعداً لهتك حرمت الله، وقننوا المجاهرة بالمعصية في أجننتنا الفيحاء، وأن نعمل بجد لردهم إلى

(1) أبو داود، السنن، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، رقم: 4092.

(2) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم: 84.

الجادة وهدايتهم إلى الحق.

3- تول أيها الخير الاقتصادي، وأيها التاجر الحاذق مهمة التحسين الاقتصادي لأمتك الجريئة، وفكر مع إخوانك مثنى وثلاث ورباع في الاستثمار الناجح، واختيار المكان المناسب والأمن للتوسع زراعيا وصناعيا وتجاريا، فتكون أيها المسلم الفطن قد أرغمت أنف الأعادي، وأسهمت في إثبات أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأنه وحده له حق تفكير الناس وغناهم.

4- تصدق أيها المسلم بعز مالك في أبواب الخير كلها؛

فتكفل بيتيم. / أو أعن متضررا جراء الأحداث الماضية.

أو اسع لبناء قاعة رياضة لأبناء المسلمين ليستريحوا فيها، وتصح أعضاؤهم ويتقوى فكرهم.

أو تكفل ببعثة طلبة للدراسة في الخارج حتى يكونوا إطارات عليا في الدولة، وينفعوا أمتهم ووطنهم. / أو تكفل بأجرة أستاذ أو أستاذين في التعليم الحر فتجعلهما ضمن مؤسستك التجارية أو الصناعية. / أو انفق بانتظام على موظف مجهول يعمل بأجرة زهيدة. فتكون بهذا أيها المنفق ممن قال فيهم حبيبك محمد ﷺ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» فقيل له: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، قَالَ: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ»⁽¹⁾.

5- كثف جهودك أيها المثقف مع القائمين على حفظ تراث الأمة من الضياع، ومع الساعين لرد مكائد المضلين في الأنترنت والصحف والكتب المغرضة، حتى يُرْهَقَ الباطلُ إن

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم: 1008.

الباطل كان زهوقا، وتعلو كملة الحق، يقول تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، (سورة التوبة: 32).

وشارك أيها الأستاذ المقتدر في تدريس فلذات أكبادنا بعد أن سُدت أمامهم أبواب التعليم الرسمي ظلما وبهتاناً، واعمل لأجل استكمال ما بقي من البرنامج التعليمي للسنة الأولى والثانية ثانوي، حتى تعينهم على اجتياز البكالوريا في السنوات القادمة إن شاء الله بيسر وسلام.

6- شاركوا أيها اليسجنيون بفعالية وحماس في الحراسة الليلية، حتى نخفف العبء عن بعضنا، ونتعاون جميعا على دفع الشر وجلب الخير لبلدتنا، ولا نستثني أحدا من هذا الواجب، مهما كانت وظيفته العملية، ومهما كانت مهمته الاجتماعية.

7- لنكن إخوة الإيمان أصحاب الضمائر الحية، وذوي الحس المرهف واللباقة الحضارية فنطهر أحياءنا بين الفينة والأخرى من القذورات والأوساخ، وننظم حملات تطوع لأجل استرجاع جمال مدينتنا الضائع، وبهائم أزلتنا العتيقة، وأخص في هذا المقام إعادة بناء ما انهدم من السور، وإصلاح ما أفسدته أيادي الناس، كما هو حال منظر الجبل الشامخ "جبل الشيخ بالحاج" من الجانبين الشرقي والغربي.

8- يجب علينا أيها المسلمون أن ننتهج التخطيط كأسلوب عمل جماعي لأمتنا؛ فنركز الإيمان بالقضاء والقدر في أنفسنا، ونغرس حق التوكل على الله في أعمالنا، ثم نعمد إلى تنظيم لقاءات مكثفة لأجل تحليل أسباب أزمنا، وتحديد أولوياتنا في الإصلاح الاجتماعي، استشرافا للتوقعات المستقبلية واجتنابا للكوارث المحتملة، يقول تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ، ثُمَّ

يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤٧﴾، (سورة يوسف: 47-49).

فهذه الآية تظهر ترشيده سيدنا يوسف عليه السلام قومه إلى خطة مستقبلية منبئية على الموازنة بين إنتاج القمح وادخاره، وبين استهلاكه في مدة مقدرة، ومدعمة بتحفيز صارم على ضرورة العمل الزراعي الجاد المتاح في زمن محدود ومضبوط.. فكان من ثمار هذا التدبير والتخطيط أن حفظ الله الأمة من الهلاك، وخلّصها من الجوع، ونجّاه من الشدائد، حتى عاد الرخاء إلى مصر المحروسة.

فاللهم احفظ ربوعنا الطاهرة من كل سوء، واجعل بلادنا آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين يا عزيز يا حكيم. اللهم وفقنا لصالح الأعمال الخيرية، فإنه لا يهدي لصالحها إلا أنت، وحسن عاقبتنا في الأمور كلها يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام، وأعز المسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وأذل أعداءك أعداء الدين، واخذل كل من أرادنا بسوء يا رب العالمين. اللهم شتت شمل الظالمين، وفرق جمعهم، وخالف فيما بينهم، واجعل الدائرة تدور عليهم يا جبار يا قهار يا من بيده ملكوت كل شيء، إنك سميع قريب مجيب الدعاء يا رب المستضعفين.

اللهم أنزل علينا غيثا هنيئا مريئا، نافعا غي ضار، عاجلا غير آجل، تحي به البلاد، وترحم به العباد، وتسقي به أراضينا، وتملؤ به آبارنا، وتطهر به قلوبنا يا ذا الجلال والإكرام.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90)، ﴿وَلَذِكُرُ اللَّهَ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (سورة العنكبوت: 45). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

3 رجب 1435 هـ / 02 ماي 2014 م

فعل الخيرات، واجتناب المنكرات⁽¹⁾

الحمد لله الملك القدوس السلام، مبدع الأكوان بدقة وانتظام، نحمده سبحانه وتعالى على بديع صنعه بإتقان وانسجام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا وحيبنا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله هاديا لكل العالمين، وناصحا لكل أمة، وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد:

لقد حث النبي ﷺ على المسارعة إلى عمل الخير قبل أن تتغير النفوس وتتقلب القلوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ؛ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»⁽²⁾.

فرسولنا محمد ﷺ يدعونا إلى المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة، والملهيات المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم، ويدعونا أن نختار من تغير المواقف بعد أن فوقنا الله إلى الصالحات، فنزكنا إلى المعاصي والمغريات الفاتنة، بدعوى امتلاء أرصدتنا الأخروية بالحسنات، ونتبع سبل الشيطان بعد اكتسابنا الأجر الوفير وتقديمنا مجموعة من الأعمال الصالحة، ونقترب الذنوب بعد مجاهدة أنفسنا على الطاعات والمسارعة إلى الخيرات.

(1) أثبت هنا الخطبة الثانية فقط، لأن الخطبة الأولى تعد شبه تكرار لما سبق في الخطبة المعنونة: "فعل الخيرات والمسارعة إليها".

(2) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم: 118.

أيها الإخوة العاملون المجدون: هذه بعض مداخل الشيطان التي يُفسد بها حسنات المؤمن الصالح، فهو إن لم يُفلح في تثبيطه عن الخير وإن لم يقعه عن فعل الميراث، دعاه إلى المعصية، ووزن له سبل الشر واحتقار المعصية أمام ما عنده من جبال الحسنات وقناطير الخيرات التي لن تمحوها خطيئة واحدة، ولن تحبطها معصية صغيرة، وبهذا يتردى المؤمن الصالح في بعض السيئات الخفية؛ كالغيبة، ومشاهدة العري والفسق، وتقديم الرشوة، والمماطلة في الديون، والسخرية من الناس، وعدم الوفاء بالعهود، والتقصير في صلة الرحم، والتأفف على الوالدين، وقلة الانضباط في ساعات العمل، وعدم إعطاء الأجير حقه قبل أن يجف عرقه، والاستهزاء بإتيان صلوات الخمس في المساجد، والتفريط في حضور الجُمُعات، وهجر قراءة القرآن، وعدم النصح والنهي عن المنكر عند الضرورة، وغيرها من مفسدات الأعمال، ومهدّات الأبنية الشائعات والعياذ بالله.

أخي في الله: أدعوك ونفسي أن نتقي شؤم المعاصي، فإنه ما من شر ولا بلاء ينزل بالناس أفراداً أو جماعات، إلا وسببه الذنوب والمعاصي، بدليل أن لا سبب من إخراج الله أبويننا -آدم وحواء- عليهما الصلاة والسلام من الجنة، دار اللذة والنعيم إلى دار الآلام والأحزان إلا وسوسة الشيطان، وقوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (سورة طه: 121)، وما سبب إغراق فرعون وقومه، والخسف بقارون الأرض، وهدم عروشاً في الماضي والحاضر إلا الذنوب والمعاصي، يقول رب العزة: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ؛ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا، وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ، وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ، وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، (سورة العنكبوت: 40).

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحذروه من الذنوب والمخالفات، فإن ضررها على الأفراد والمجتمعات لأشدّ وأنكى من ضرر السموم على الأجسام، وإنها لتخلق في نفوس أهلها

التباغضَ والعداء، وتُنزَلُ في قلوبهم وحشة وتلفاً؛ لا يجتمع معهما أنسٌ أو راحة، وإنها سببُ خسارة كل الأرباح المجنية من الصالحات، إن أصر الإنسان واستكبر عن التوبة النصوح، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، (سورة الصف: 05).

وإن للمعاصي شؤمها، وإن لها عواقبها في النفس والأهل وفي البر والبحر، وإنها مصدر العجز والكسل، وسبب لانتشار الرذائل والمنكرات، ثم يكون الجبن والبخلُ وغلبة الدين وقهر الرجال، وبها تزول النعم، وتحلُ النقم، وتتحول العافية، ويُستجلب سخط الله.

أيها المسلمون: من قارف المعاصي ولازمها تولد في قلبه الاستئناسُ بها وقبولها، ولا يزال كذلك حتى يذهب عنه استقباحتها، ثم يبدأ بالمجاهرة بها وإعلانها، ويصبح مزمناً بدائها، كما جاء في الحديث: «كل أمتي معافي إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح قد ستره ربه، فيقول: يا فلان، قد عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيصبح يكشف ستر الله عنه»⁽¹⁾.

أيها الصالحون: إن المجتمع حين يَغفُل عن سنن الله سيعرِّق في شهواته، وحين يُكثر الناس من التبجح بمنجزات أمتهم الحضارية والتشدد بمكتسبات أجدادهم العريقة، سيُنسِيهم الشيطان الحديث عن معاصيهم وآثامهم الفردية والجماعية.. وهذا إيذان بانتشار الفواحش، وانحطاط القيم العالية، وتحلل الأمة، وفقد قوتها وعناصر بقائها، وبذلك تُهلك وتُطوى صفحاتها والعياذ بالله.

ولقد أصابنا أيها الأحبة من هذا الغرور الشيء الكثير، فاتقوا الله تعالى، واتقوه أفراداً وجماعات، بيوتاً ومؤسسات، صغاراً وكباراً، مسؤولين ورعاة، حكاماً ومحكومين، فإن الحقَّ أبلغ، والدينَ واضح، وسننَ الله لن تتغير ولن تتبدل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، رقم: 6069.

مَنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبُؤْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ، ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَّتًا وَهُمْ نَائِمُونَ، أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ، أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٤-٩٩﴾، (سورة الأعراف: 94-99).

اللهم اجعلنا يا ربنا ممن يتعظ بما يسمع، واللهم يا ذا الجلال والإكرام وفقنا أن نتوب إليك ونتخلى عن المعاصي والآثام، واللهم نسألك أن تبعد عنا الشيطان وغوايته كي لا يُفسد علينا أعمالنا الطيبة، ويهدم ما اكتسبناه من أجر عظيم، وخير كريم.

اللهم أعزنا بطاعتك، ولا تُذلنا بمعصيتك، ويا ربنا نسألك سؤال الراجين أن توفقنا إلى المسارعة إلى الخيرات، وتقضي لأمتنا شبابا صالحين، يرفعون راية دينك في المعمورة خفاقة، وندعوك دعاء المتضرعين الخاشعين أن تبعد عنا كل سبل الضلال والغواية، وتكره إلى أنفسنا الكفر والفسوق والعصيان، وتجعلنا من الراشدين.

اللهم احفظ ربوعنا الطاهرة من كل سوء، واجعل بلادنا آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين يا عزيز يا حكيم. اللهم وفقنا لصالح الأعمال الخيرية، فإنه لا يهدي لصالحها إلا أنت، وحسن عاقبتنا في الأمور كلها يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام، وأعز المسلمين، وأذل الشرك والمشركين.

اللهم أنزل علينا غيثا هنيئا مريئا، نافعا غير ضار، عاجلا غير آجل، تحي به البلاد، وترحم به العباد، وتسقي به أراضينا، وتملؤ به آبارنا، وتطهر به قلوبنا ياربنا يا رحيم.

اللهم وفق شبابنا في دراستهم، ونجحهم في اختباراتهم، وشّد أزرهم، وأعنهم على الاعتماد على أنفسهم.

يا رب نسألك بفضلك الكريم، أن تبارك لنا في شعبان، وتبلغنا رمضان الخير، وتعيننا فيه على الذكر والطاعات، وتجعله شهرا لمغفرة ذنوبنا، ومحو سيئاتنا، وسببا لاقتلاعنا عن المعاصي والذنوب ما ظهر منها وما بطن، يا رب العالمين.

عِبَادَ اللَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

الجمعة: 20 ماي 2016

كفالة اليتيم

الحمد لله الكريم المَنَّان، الرَّحْمَنُ الرَّحِيم، الذي له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، الحمد لله الذي ينعم متى يشاء، ويقبض متى يشاء، بيده الأمر كله، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي جعل في كل مصيبة مع التسليم والرضا عَوْضًا، وفي كل نائبة مع التوكل والتوسل مخرجًا، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُ الله ورسوله، سيد الهداة الصادقين، وقدوة العاملين بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

يقول ربنا جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، (سورة الحشر: 18)، فاستجيبوا إخوة الإيمان إلى نداء التقوى والتوبة إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

يا أحباب الرحمن:

إن من تمام حكمة الله أن جعل بين ثنايا الناس ضعفاءً ومحتاجين بعد أن كانوا أقوياء مصونين، ومن مقاديره تعالى أن يقدر الوفاة على بعض الرجال أو النساء بغتة أو بعد معاناة مرض، فيتركون خلفهم ذرية ضعافاً، ومحتاجين صغاراً يرقبون من يعولهم ويرعاهم؛ بعد أن كانوا في العهد والصون مع والدهم أو والدتهم، لكن لا راد لقضاء الله وقدره، يقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، (سورة آل عمران: 185)، ولهذه الحقيقة الكونية التي لا مفر منها رغب الله ورسوله المؤمنين في الإحسان إلى اليتيم وكفالاته، وجعلوها من أعظم القربات عند الله، ورافدًا من روافد السعادة في المجتمع المسلم.

وفي موضوع كفالة اليتيم أسوق إليكم إخوة الإيمان هذه النصوص الربانية:
- يقول تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾، (سورة النساء: 36).

- ولقد أوصى الله بني إسرائيل برعاية اليتيم فقال لهم في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، (سورة البقرة: 83).

- وورد عن أبي هريرة ض قال: قال النبي ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين، كالجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»⁽¹⁾.

- واعلموا إخوة الإيمان أن الإنفاق على اليتامى من أفضل صور العطاء في الإسلام؛ لأنه يقضي حاجياتهم، ويحقق مصالح هامة في حياتهم، يقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، (سورة البقرة: 215).

فهذه النصوص أخي المسلم تعينك على تحمل هذه الأمانة الشاقة، وتبين لك أن الله إذا ساق إليك يتيما قريبا منك؛ سواء أكان من أبناء أشقائك، أو أعمامك، أو أخوالك، أو جيرانك، أو كان أجنبيا عنك فهي صفقة مربحة إلى الجنة، وسبب لمغفرة ذنوبك، وطريق لنيل مرضاة الله، يقول رسول الله ﷺ: «كافل اليتيم - له أو لغيره - أنا وهو كهاتين في الجنة»⁽²⁾، وأشار بالسبابة والوسطى.

فلا تفوت على نفسك أخي المؤمن هذا الخير العميم، ولا تعجز عن أداء الواجب

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، رقم: 5353.

(2) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الزهد والرفائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، رقم: 2983.

الذي هو من حق الأموات على الأحياء، ولا تستثقل أيها الغيور الصالح فعل الخيرات في أبناء الأموات، أو أبناء الوالدين العاجزين لكبرهما أو قصور عقليهما في تربية أبنائهما، فهو ابتلاء لك على تحمل المشاق، وامتحان لصبرك وإخلاصك في فعل الخير دون انتظار محمدة أو أجر، وتدريب للنفس على رقة القلب، وتوجيه لك إلى الشكر المستمر وبخاصة حينما تقارن نفسك بهؤلاء المفجوعين والمصدومين. فاطمح أخي في الله أن ترعى يتيما من أيتام المسلمين كما طمع بنو إسرائيل في الفوز برعاية مريم بنت عمران عليها السلام، حتى اضطروا أن يقترعوا فيما بينهم ويلقوا أقلامهم في النهر أيهم يفوز بشرف كفالتها، ففاز بذلك نبي الله زكريا عليه السلام، يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، (سورة آل عمران: 44).

وعن أبي الدرداء ض قال: أتى رجل إلى النبي ﷺ يشكو قسوة قلبه، فقال له: «أحب أن يلين قلبك؟» قال: نعم، قال: «فأذن اليتيم إليك، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك، وتقدير على حاجتك»⁽¹⁾.

فأيها المؤمنون المتقون:

لا تتهربوا من هذه العبادة المباركة، ولا تجعلوا حواجز بينكم وبين الطفل البريء المفجوع، والفاقد للحرمان والعطف الأبوي، واجتهدوا أن تربوا اليتامى برحمة وعطف وتفان وإخلاص؛ تصطبحوهم معكم في حلكم وترحالكم، وثبتوهم في منازلكم، وتقيموهم مع أولادكم، وتدجئوهم في أسركم، وترغبون الذكور منهم في الدراسة أو التكوين، وتوجهوهم في اختيار الأنشطة الثقافية والرياضية، كما تتابعون الفتاة اليتيمة في مراحل تعليمها وتكوينها،

1) عبد الرزاق، المصنف، كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي، باب أصحاب الأموال، رقم: 20029.

ثم تساعدونها في تحمل أعباء الزواج، ورعاية مصالحها. واعلموا رحمكم الله أن الله محاسبنا على الصبر مع الأيتام في حل إشكالاتهم الاجتماعية، وقضاياهم الواقعية، وملزمتنا بإبعادهم عن مزالق الضالين ومكائد قرناء السوء، يقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الْبُيُوتِ إِلَى اللَّهِ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ مُكْرَمٌ»⁽¹⁾.

ربنا لا تنزع قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب.
اللهم أصلح أحوالنا في الأمور كلها، واختم اللهم بالصالحات أعمالنا، وبالسعادة أجالنا، وتوفنا يا ربنا وأنت راض عنا يا أرحم الراحمين.

(1) الطبراني، المعجم الكبير، باب العين، عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، رقم: 13434.

الخطبة الثانية

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلَاة والسَّلَام على نبيِّنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد :

إخوة الإيمان إنكم إذ تؤدون مسؤولية رعاية الأيتام فأنتم تستشعرون نعمة الحياة التي تتنعمون بها مع أولادكم، والتي حُرِّمها هؤلاء الأيتام دون سبب ولا ذنب، سوى أن الله إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وسوى أن الله كتب على نفسه وقال: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾، (سورة الأعراف: 34).

إخوة الإيمان نحن ولا شكَّ جميعاً على جناح السفر، وسنودع هذه الحياة الفانية وفقَّ أقدار الله، ورتباً أن أجل الواحد منا قريب دون أي أمارات ولا أشراف، فتب أخى المؤمن إلى الله توبة نصوحاً، واعمل على هديه تعالى وصراطه المستقيم، مدركاً لما أمرك به، وعارفاً بما كلفك به دون منٍّ ولا رياء، وفقَّها بالأحكام الذي أناطها الله برعاية أيتام المسلمين دون تضييع ولا استغلال لضعف حالهم. وهذه أخى الصابر المحتسب جملة من الواجبات المالية، ومجموعة من أخلاقيات التعامل مع هذه الشريحة الواجب علينا رعايتها وكفالتها:

1- على من يلي أموال اليتامى ألا يتصرّف فيها إلا بما فيه مصلحة لهم؛ كحفظها وصيانتها، أو الاتجار فيها وتنميتها؛ يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾، (سورة الأنعام: 152).

2- يجوز مخالطة مال اليتيم في الطعام لأنهم إخواننا، ومن شأن الأخ مخالطة أخيه في المأكل والمشرب، بعيداً عن الطمع في مالهم وغناهم، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾، (سورة البقرة: 220).

3- لا يحق للكفيل إقراض مال اليتيم (أي طلب السلفية منهم)؛ لنفسه أو لغيره؛ لأنَّ الإحسان للآخرين حسنٌ، لكن تنمية مال اليتيم أحسنٌ من ذلك، ومن ثم فالواجب على

الولي والكفيل عملُ الأصلح لليتيم، كما قال ربُّنا تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾، (سورة البقرة: 220).

4- من أعظم الذُّنوب: التَّفريط في أموال اليتامى، والتَّسبُّب في ضياعها، سواءً كان بعدم حفظها، أم بأكل أموالهم التي ورثوها، أو باستغلال المنح والصدقات التي يتحصلون عليها، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، (سورة النساء: 10).

5- يزول وصفُ اليُثم عن اليتيم متى بلغ سن الرشد، مما يستلزم دفع المال إليه، إن عُلِم منه حسنُ التصرف في المال وعدم إفساده، وذلك بعد اختباره ومراقبة تصرفه في المال، يقول تعالى: ﴿وَابْتَالُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾، (سورة النساء: 06).

6- ومن الحقوق الأساسية لليتامى في الإسلام أن يكونوا في منعة عن الإيذاء، ويعاملوا كعاملتنا لأبنائنا، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ لَا تَفْهَرْ﴾، (سورة الضحى: 09). كما أن الله شدد النكير على من آذاهم وأهانهم فوصفه بأنه من المكذبين بدين الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدِّينِ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾، (سورة الماعون: 01-02). وقال أيضا في سورة الفجر، ﴿كَأَلَّا بَلًا لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾، (سورة الفجر: 17). فهذه الآيات الكريمات إخوة الإيمان تحرّم ضرب اليتامى إلا إذا كان لضرورة تأديبية وتوجيهية، استثناسا من عموم قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾، (سورة البقرة: 220).

أيها المؤمنون إن هذه المسؤولية ثقيلة، وإن هذا الأمر عظيم وليس لنا الخيار في قبوله أو رفضه، وإنما علينا أن نتعامل مع الموضوع بحذيرة وحكمة، وأن نسعى إلى تأمين أولادنا من أي مكروه في الحياة، ولا يتحقق ذلك إلا بتقدير الأيتام وحسن رعايتهم، فلا يدري الواحد

منا لعل الله قد كتب لأبنائه أن يعيشوا أيتاما والعياذ بالله، لذلك أوصانا الله تعالى فقال: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ، فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، (سورة النساء: 09)، فالتقوى والقول السديد لكل من يعمل الخير والمعروف في الأمة هما الضمان الذي يهيئ لنا كافلي الأيتام، وبالتقوى والقول السديد يتحقق وعد الله تعالى برعاية أبنائنا في حياتنا أو مماتنا، وبهما يحفظ الله فذات أكبادنا كما حفظ ولدي الرجل الصالح في قصة موسى عليه السلام؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾، (سورة الكهف: 82).

وتجنباً أيها الأب الصالح من الخوف من يتم الأبناء عليك أن تسعى بجهد في رعاية أبناء غيرك، وتسهم مع عشيرتك في التكفل ببيتيم من خالص مالك، وبالمتابعة الميدانية المستمرة لحاجياته وأموره الخاصة، ثم لا تنتظر جزاء ولا شكورا من أحد، وبخاصة من المكفول.. لأنه قد يحاسبك في كبره بتقصيرك في أمر ما، وربما يغض الطرف عن جهودك وتضحياتك الجسام، وهذا أمر طبيعي، لأنك مهما اجتهدت لن تبلغ عطف والده، فاحرص أخي ألا تضع إحسانك ومعروفك في فورة غضب.

وأوصي أخي اليتيم المؤمن بقضاء الله وقدره أن يعتبر من حوله من الآباء بمثابة آباء له، وأن أمهات المسلمين بمثابة أمهاته، فيستعين بهم بعد الله فيما يُشكّل عليه من هموم الحياة، وفيما يكدر عليه صفو عيشه، وأذكرك أخي المفجوع أن اليتيم ليس معوّفاً، وليس سبباً في الفشل، فسيّد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ نشأ يتيماً وفقد أبويه؛ نشأ من غير أب وأم، فتولاه الله وحفظه، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، (سورة الضحى: 06)، وتمثل أخي في الله صبر عيسى عليه السلام الذي عاش اليتيم بأصفى صوره، حيث وُلد من أمّ بلا والد،

وذلك من عظيم قُدرة الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (سورة آل عمران: 59).

أيها الولد البار الذي فقدت والدك، إن الله أبقي أملك على قيد الحياة، فاجعلها مرتعا للحب والحنان، واحرص عليها، واستمع لنصحها، وتقرب إليها، ولا تثقلها بعنادك وعصيانك، فهي ضعيفة وحيدة تشقى في تربيتك وتنشئتك على الطهر والعفاف، فاحفظ ماء وجهها، واعلم أن النبي ﷺ قال في شأنها: «أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا أنه تأتي امرأة تبادرني فأقول لها : ما لك ؟ من أنت ؟ فتقول : أنا امرأة قعدت على أيتام لي»⁽¹⁾.

وأيها اليتيم المتقي الذي فقد جوهرة الثمينة، والدته العزيزة، عليك أن تحسن إلى زوجة والدك، وتعتبرها كأملك وتحبها، فإنها جاءت بعهد مع والدك على أن ترعاك وتربيك على الإسلام، فلا تشق عليها مهمتها، ولا تعص أمرها، حتى لا تظلم جهدا وتبخس فعلها وتسيء بذلك إلى والدك، والله سيجازيك قدر إحسانك وصبرك، وسينعم عليكم بالرضوان ما صفت الضمائر، وخلصت النوايا لله الواحد الأحد، ولن يكون للشيطان عليكم سبيلا بإذن الله.

أحسن أيها الشاب المؤمن إلى من يرعاك ويتكفل بك ويحرص على حياتك، وقدر جهود المسلمين في عشيرتك وفي بلدتك تجاهك، ولا تبخس الناس أشياءهم، حتى تنال احترامهم وتقديرهم، ويرزقك الله حياة مطمئنة لك ولعقبك إن شاء الله.

اعلموا إخوة الإيمان أن الموضوع حساس ومصيري، وهو سد لباب الفتن، وغلق لاحتتمال انحراف الشباب عن الطريق السوي، فأني أرى أن كثيرا من المشاكل الاجتماعية عند معالجتها تظهر أن السبب الأول هو ضياع الولد عقب وفاة والده أو أمه، مما يتطلب

(1) أبو يعلى، المسند، مسند أبي هريرة، رقم: 6651.

منا الحرص الشديد على إقامة حق الله، وتحديد النية في رعاية الأيتام على مستوى الأفراد والأسر والعشائر، والله ولي وناصر عباده المستضعفين.

اللهم ربنا إنا ندعوك أن تثيب كل من يقوم على أمر اليتامى بجزيل الأجر، وواسع المغفرة. وأن تهب الرضا والنعمى والعوض الجميل لكل مُبتلى باليتم وأنكاده.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، (سورة الفرقان: 74)،
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾، (سورة آل عمران: 08).

يا رب إنا نسألك أن تجعل بلدنا آمنا، وسائر بلاد المسلمين، وندعوك أن تغيشنا بغيث نافع تذهب عنا الرجس، وتفتح لنا خيراتك. يا رب جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وألف بين قلوبنا وقلوب المسلمين، يا ذا الجلال والإكرام.

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، يا أرحم الراحمين.
قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله

العمل الجماعي، والاستثمار في الإنسان

الحمد لله كثيراً، والله أكبر كبيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.
الحمد لله الذي هدانا إلى الرضوان والجنة، والحمد لله على تمام شهر الصيام، وكمال فضل الطاعات.
وأشهد أن لا إله إلا الله أصدق القائلين وأعدل الحاكمين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير المرسلين، وقائد الغر المحجلين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله؛ اتقوه حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، واشكروه جل وعلا أن هداكم للإسلام، ووفقكم للصيام والقيام، وأنعم عليكم هذه الأيام بأيام عيد الفطر المبارك.

واعلموا -رحمكم الله- أن السعيد في العيد ليس مَنْ لَبَسَ الجديدَ، وتنعم بالغيد، وإنما السعيد في العيد من خاف يومَ الوعيد، وسَلِمَ من العذاب الشديد.
وتذكروا أن العيد من عاد يعود، فرغبوا أنفسكم في عيادة المؤمنين والمؤمنات الأصحاء منهم والمرضى.. واصطحبوا نية الشكر والثناء لله على نعمة الصحة والعافية في العيد..
وتيقنوا أن العيد استمرارٌ على العهد وتوثيقٌ للميثاق، فتواصلوا على دربكم الإيماني بعد رمضان، وتحافظوا على ثباتكم في شوال، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ عَزْهَآ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَأَ﴾، (سورة النحل: 92)، يقول أحد الصالحين (يحيى بن معاذ): "من استغفر بلسانه، وقلبه على المعصية معقودٌ، وعزمه أن يرجع إلى المعصية بعد الشهر ويعود، فصومه عليه مردود، وبابُ القبول في وجهه مسدود".

إخوة الإيمان:

إن تكبيرنا في العيد بقولنا: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، والله الحمد، هو إعلان بانتصار الدين على الدنيا، وانتصار الآخرة على الأولى، فالله أكبر من الدنيا ولذاتها، والله أكبر من كيد الأعداء، والله أكبر من كل كبير، وهو القائل: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، (سورة المنافقون: 08).

أيها المؤمنون:

لنجعل فرحتنا بالعيد سببا للتفاؤل بغد مشرق، وبحياة طيبة في الدنيا والآخرة، ولنعقد العزم على تغيير ما بأنفسنا ليعير الله حال أمتنا الجريحة، ويحسن أوضاع المسلمين في العراق وسوريا ومصر وفي كل أصقاع العالم، وإذا ردّدنا "الله أكبر" في العيد وغيره فيعني أننا نقر أن الله كبير من كل طاغ ومتجبر، وأن النصر آت بإذن الله، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، (سورة محمد: 08).

إخوتي الكرام: احملوا هم رفع راية الإسلام خفاقة في المعمورة، وانصروا دين الله في الأرض، واجتهدوا في إصلاح أحوالكم وتحسين أوضاعكم، واعملوا متحدّين متآلفين، في إطار جماعي منظم، ذلك لأن العمل الجماعي في الإسلام ضرورة وفريضة؛ ضرورة بشرية، وفريضة شرعية؛ فهو ضرورة بشرية لأن الإنسان قليل بنفسه كثير بإخوانه، وهو فريضة شرعية لأن الله ورسوله أمرانا بالجماعة والاتحاد فقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، (سورة الحجرات: 10)، وقال عز وجل أيضا: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، (سورة آل عمران: 103)، والقاعدة الشرعية تُقرر كذلك: "أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، وإقامة مجتمع إسلامي تحكمه عقيدة الإسلام وشريعته، أمر واجب، ولا سبيل إلى تحقيق هذا الواجب إلا بمجتمع منظم وأمة مطيعة.

ومما يؤكد على حتمية وحدة صفنا، والعمل في إطار جماعي منظم أننا إذا نظرنا إلى

القوى المناوئة للإسلام -على اختلاف أسمائهم وأهدافهم ووسائلهم- وجدناهم يعملون بجد ونشاط، وفي صورة جماعاتٍ وتكتلات، وفي هذا تشير الآية من سورة الأنفال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، (سورة الأنفال: 73). فستحدث الفتنة والفساد، لالتحاد الكفار وتفرق شوكة المسلمين، ولتحديد الكفار لأولوياتهم وقيمهم، وتذبذب المسلمين في أمورهم العامة، ودخولهم في صراعات هامشية لأبسط الأمور وأتفهها.

أيها الأحبة المؤمنون:

إن مهمة الإنسان في الحياة كبيرة لمن يُقدِّرها حقَّ قدرها؛ فهي مهمة الخلافة في الأرض وعمارتها، وهي مسئولية ضخمة صَوَّرَ القرآن ضخامتها وثقلها حين قال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، (سورة الأحزاب: 72)، وخاطب الله خاتم الرسل بقوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، (سورة المزمل: 05).

فمهمة الإنسان المسلم أعظم وأضخم من مهمة أيِّ إنسان آخر، لأنه وريثُ تركات جميع الأنبياء والرسل، والوكيلُ الحصريُّ بتنفيذ رسالة الإسلام، وهداية العالم إليها، فلذلك لا يحق لك أيها الأخ الكريم أن تنزوي مع أمورك الخاصة وتتخلى عن واجبك الاجتماعي، أو تعملَ فرديا في ميدان معين وتعزفَ عن أمتك، فهذا من الباطل والضلال في السلوك والعقيدة والأخلاق، فكن منه أخي على حذر، وتجنب الأنانية وحبَّ الذات وعدمَ الشعور بالآخرين، لأن الطبع السيِّءَ يتناقض مع التكليف، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾، (سورة النازعات: 37-39)، ويقول أيضا في آية قاصمةٍ للظهر وشديدةٍ على الفردانين الأنانيين المحبين لأنفسهم دون غيرهم من المسلمين: ﴿قُلْ إِنْ

كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا، وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا، أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ، فَتَرْجِعُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾، (سورة التوبة: 24).

فاصبر أخي في الله على الإيمان الداعي إلى العمل الجماعي وانبذ كل صيغة من أثره النفس الخسيسة، واعمل أخي على نصره دين الله وخدمة عياله في الأرض تَفُزْ بالحسنين وتَنالْ الأجر مرتين إن شاء الله

ربنا أنزل علينا رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا، وتوحد بها صفوفنا، وتهدينا بها إلى الإيمان يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أكرمنا بأعظم كتبه، وفضلنا بأن جعلنا ختام أمه.

وأشهد أن إله إلا أنت، لك الخلق والأمر، وأنت أحكم الحاكمين.

أما بعد: لقد كان الجيل الأول من الصحابة -رضوان الله عليهم- على فهم عميق بمقاصد الإسلام ومراميه في إصلاح البشر، فكانت أعمالهم تؤدي في إطار جماعي منظم، فهذا الخليفة الراشد عثمان بن عفان ض لما خشي تفرق المسلمين واختلافهم في قراءات القرآن، عزم على جمعهم على مصحف واحد، وشكل لهذا الأمر لجنة علمية برئاسة الصحابي الجليل زيد بن ثابت ض، وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت، فاكثبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم.

وهؤلاء ثلة من سلفنا الصالح عبر التاريخ الإباضي أنجزوا موسوعات علمية جماعية، كجماعة غار أجماج في جزيرة جربة بتونس الذين ألفوا ديوان الأشياخ في اثني عشر جزءا، وجماعة العزابة الثمانية الذين ألفوا ديوان العزابة في خمسة وعشرين كتابا وذلك في واد ريغ بالجنوب الشرقي للجزائر.

أيها الأحبة:

إن مثل هذه الأعمال تبين تقصير المسلمين وبعدهم عن الأعمال الجماعية، حيث تجتمع الطاقات وتُحشد الجهود، ويستفيد كل واحد من الآخر، والسبب في هذا أنه لم يترسخ عندنا مفهوم العمل الجماعي الذي يبنى على الجهد المشترك في إخراج الأعمال، وعلى الحوار مع الآخر، وحسن الاستماع إليه.

يا أحباب الرحمن:

ما أحوجنا أن نوطن أنفسنا على حب العمل الجماعي، والاستفادة ممن حولنا في

أعمالنا وقراراتنا، ومن واجبنا أن نغرس في أولادنا هذا الخلق النبيل، وهذه القيمة الحضارية العميقة، وأن نسعى جادين إلى إرشاد أمتنا إلى انتهاج الأسلوب التعاوني في دراسة القضايا العالقة، وإشراك المختصين في معالجة المسائل والنوازل وفق معطيات واقعية وأساليب حضارية معاصرة، متجنبين العفوية في التسيير، واستخدام الطرق الكلاسيكية القديمة، مع توفر الجديد مما أنعم الله به على عباده.

إخوتي في الله والوطن:

أدعوكم إخواني إلى تفعيل أعضاء مجتمعكم، وإشراكهم في فرق العمل الدعوي، وإخراجهم من سباتهم الشتوي، ومن خجلهم المعيق لهم من الاندماج العملي في الأمة، وألح عليكم سادتي في ترشيدهم ليكونوا عناصرَ فعالةٍ تحمل رسالةً في الحياة، وتسعى لتحقيق أهداف الأمة المشتركة، ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة، حيث انتهاج أسلوب تفعيل الطاقات الشبانية من حوله في أكثر من موطن، وفوض المسؤوليات إلى صحابته الكرام ض ليساعده في بناء المجتمع المسلم الفتي، فمثلا في غزو الأحزاب وزع رسول الله ﷺ الأعمال على الجميع، فأعطى لكل رجل حفر مسافة أربعين ذراعا، إذا أتمها أخذ غيرها، وهكذا، وبذلك يظل الجميع في عملٍ دعوي، حتى يتم العملُ على أكمل وجه.

فمؤسساتنا وجمعياتنا إخوتي الكرام في حاجة ماسة إلى تحريك أفراد المجتمع، وإشراكهم في أعمالها، وتفويض المسؤوليات إلى المنتسبين إليها تخفيفا للثقل عن المسيرين في المؤسسات، وتقليل للمتفرجين السلبيين الذين يستهلكون ولا ينتجون، ويتفرجون ولا يجدون.

معاشر المسلمين:

من أؤكد المسلمات في العمل الجماعي المنظم أن نسير مشاريعنا على نظام الشورى في

اتخاذ القرارات؛ فيما ليس فيه نصٌ ثابت وصريح، وفيما له طبيعة الأمر العام الذي يَهْمُ جميع الناس أو جمهورهم، استنادا لقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، (سورة الشورى: 38)، وقوله في سورة آل عمران: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، (سورة آل عمران: 159).

ومن الضرورات الملزمة لعصرنا أيها المؤمنون التخطيط الدقيق لأعمالنا ومشاريعنا ضمانا للنجاح الاستراتيجي، ومعنى التخطيط: "ألا ندع الأمر للظروف الآنية والمستجدات الحديثة تُسيرنا سيرا عشوائيا اعتباطيا، وتدفعنا إلى السير في غير الطريق الذي نرغبه"، وإنما يجب علينا إختوت في الله أن نسير في خط واضح المعالم، مُحدّد المراحل، بيّن الأهداف، معلوم الوسائل، اقتداء بسيدنا يوسف عليه السلام الذي طلب منصبا إداريا من مالك مصر، مع وضوح الخطة الاقتصادية التموينية لديه، وعلمه بما يجب فعله وما ينبغي تجنبه، فقال للحاكم: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، (سورة يوسف: 55)، فعلم بمعنى له دراية بما يتخذ من إجراءات لحل الإشكال الاقتصادي القائم آنذاك.

وتعتبر مشاركة المسؤول كذلك مع رعيته في أعمالهم التطوعية سببا لاستخراج أقصى طاقاتهم، وبذل أعظم جهدهم، نتيجة شعورهم بوجود قضية مشتركة بينهم، ذلك أن النبي الكريم ﷺ ينزل بنفسه لحفر الخندق مع المسلمين، ويضرب المعول بنفسه ويحمل التراب بنفسه، وهكذا كن أيها المسؤول في مجلسك العرفي معينا لمن هم تحت مسؤوليتك، ومتابعا عن كتب لمنجزاتهم الميدانية؛ ومصححا لها، ومحفزا على حسنهما، ومستمعا لانشغالاتهم واقتراحاتهم.

أيها المأ الكريم:

إن من تمام استغلال طاقاتنا الجماعية تغيير ذهنتنا من الإنفاق على البنيات والهيكل

الضخمة إلى ذهنية الاستثمار في الإنسان المسير للمؤسسات، وذلك بعقد تكوينات متعددة للمسيرين، وتنظيم الدورات العلمية، وتعيين متفرغ في كل مجلس إدارة مؤسسة، بغية تحقيق السير القوي لمشاريعنا، وتهيئة الجو الممتع للعاملين المجدين، وتجنبنا لإيقاع الفاعلين في الإرهاق والإحساس بالملل جراء اكتظاظ المسؤوليات عليهم، وتعقد الحياة المعاصرة في وجههم، وبهذا الاستثمار الإنساني في توظيف عضو واحد في كل مؤسسة تطوعية نضمن الاتصال الفعال بين الأعضاء، والمتابعة الميدانية للأعمال، والتنسيق مع الفاعلين الآخرين في المجتمع، وإنجاز الإحصاءات، وبمثل هذا الاستثمار الإيجابي أيها المؤمنون الصالحون نقطف ثمار العمل الجماعي المنظم في ظرف قصير بإذن الله، ونوسع مداركنا وآفاق طموحاتنا المستقبلية إلى ما فيه صلاح أمتنا الإسلامية ومجتمعنا المزايي، ونكون كما أمرنا ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، (سورة البقرة: 143).

والله نسأل أن يعيننا على انتهاج العمل الجماعي المنظم في كامل قطاعاتنا، ويقنعنا بضرورة الاستثمار في الأعضاء المتفرغين لكل مؤسسة حتى نحسن من أداء عملنا الاجتماعي، ونبلع مراتب النجاح بيسر وعقلانية، ونمكن لدين الله في الأرض، إنه ولي ذلك والقادر، والهادي إلى طريق مستقيم.

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، (سورة الكهف: 10).

اللهم بارك لنا في أوقاتنا وأعمالنا وذرياتنا، واجعلنا مباركين أينما كنا.

اللهم وفق أمتنا لهداك، واجعل عملنا في رضاك، وأسبغ علينا لباس الصحة والعافية، يا

رب العالمين

اللهم أصلح أحوال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأدر دائرة السوء على

عدوك، وأعنا على نصرة شريعتك ودينك يا أرحم الراحمين.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90)، ﴿وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (سورة العنكبوت: 45). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

7 شوال 1434هـ / 13 أوت 2013

فعالية الحوار والمشورة في حل خلافاتنا الاجتماعية

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وهدهد بنور القرآن، علّمه البيان وكرّمه بالعقل واللسان ليذكّره في كلّ آن، ويتجاوز مع أخيه الإنسان قصد التعاون على البر والإحسان. والصلاة والسلام على النبيّ الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، والداعي إلى الله حتّى أتاه اليقين، وعلى آله وصحبه ومن والاهم إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها الإخوة المؤمنون:

إن ربنا تبارك وتعالى يوجهنا أن نسترجع حالنا، ونحكّم ميزان تصرفاتنا كلّها بالقاعدة اليقينية الكبرى: الخوف من الله، والخشية من المصير، والإدراك الجازم بأن الله له واسع الخبرة وله دقة الاطلاع على الأمور، فهو يسمع كلّ فعل وقول وهمس من كلّ دابة، ومن كلّ إنسان غافل مغرور، يقول تعالى ملخصاً قانونه السائر المفعول في كلّ زمان ومكان، وعند كلّ طارئ وأن؛ سياسياً كان أو اجتماعياً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ، وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ، أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، (سورة الحشر: 18-20).

أيها الأحبة المسلمون:

عشنا بالأمس لحظاتٍ ممتعة، ونسمات طيبة مع ذكر لطائف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أحبه الله لأنه أحبّ الله وحده، وعمل لإرضاء الله وحده، ونبذه كلّ من حوله في بداية الدعوة، فلم يبال مادام ربّه غير غاضب عليه، فقال كلمته الشهيرة التي لخصت سرّ الدافع على تحمل رسالته الثقيلة، وسرّ عمله المتواصل دون مبالاة باتهام الناس له بالسحر والهذيان إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي.

ثم ربه تبارك وتعالى ليكون لطيفاً ودوداً مع الصادقين مع ربه، المحبين لمصلحة أمتهم على مصلحتهم الخاصة، فقال تعالى مخاطباً هؤلاء الطيبين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، (سورة التوبة: 128).

فالحمد لله أن سعدنا بالاحتفال بحبيبنا وقدوتنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي جعل الله الصلاة عليه من تمام الدين وأصله فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، (سورة الأحزاب: 56). والحمد لله أن ابتهجنا بتذكر خصاله الكريمة وأخلاقه النيرة، التي قال الله عنها: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، (سورة القلم: 04). والحمد لله أن فقهنا حقاً أنه ليس إلا بشراً، ولم تكن له أيُّ صفة خارجة عن هذا الإطار إلا ما اصطفاه ربه بالنبوة، فلم يكن ملكاً من الملائكة، ولا ساحراً بارعاً، ولا رجلاً له خوارق نواميس الكون، وإنما علمه ربه تبارك وتعالى أن يقول لقومه المغرضين: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾، (سورة الإسراء: 93)، قال هذه الكلمة العملاقة، بعد أن قيل له: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجَرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٍ فَتَفْجَرِ الْآنْهَارَ خِلَافَهَا تَفْجِيرًا، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤه﴾، (سورة الإسراء: 90-93).

فنبينا صلى الله عليه وسلم جعله ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً وهّاجاً، وقمراً منيراً، فكان ذا نُصْحٍ للناس، وذا شَفَقَةٍ وإحسانٍ للمساكين والضُّعفاء، وكان يُواسي الفقراء وَيَسْعَى في قضاءِ حوائج الأرامِل والأيتام، وكان فوق ذلك وذاك أشدَّ النَّاسِ تَوَاضُعاً لله وللمؤمنين.

فاللهم جملنا بأحلاق نبينا محمد ﷺ، وخذ بيدنا أن نعبدك وحدك، ولا نطلب ودا ولا

مَعُونَةً مِنْ أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَا نَتَعَلَّقُ بِغَيْرِكَ يَا رَبَّنَا يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ:

لَقَدْ قَضَتْ سُنَّةُ اللَّهِ أَنْ لَا تَسْتَقِيمَ حَيَاةُ الْإِنْسَانِ إِلَّا فِي مَجْتَمَعٍ بَشَرِيٍّ، وَاقْتَضَتْ حِكْمَتَهُ أَنْ يَكُونَ الْإِخْتِلَافُ فِي الطَّبَائِعِ وَالرُّؤْيَى أَمْرًا فِطْرِيًّا فِي الْإِنْسَانِ، وَعِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّاسَ مُتَفَاوِتُونَ فِي الْمَدَارِكِ، وَمُخْتَلِفُونَ فِي وَجْهَاتِ النَّظَرِ، وَأَنَّهُ لَا تَسْتَقِيمُ حَيَاتُهُمْ وَيَنْعَمُوا بِحَقُوقِهِمْ إِلَّا بِالْمَعَاشِرَةِ بِالْحَسَنِ، وَلَا أَسْلَمَ لَهُمْ لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ مِنْ فَتْحِ بَابِ الْحَوَارِ، وَتَفْهَمِ الذَّهْنِيَّاتِ، وَتَنْسِيقِ الْجُهُودِ لِبُلُوغِ الْهَدَفِ الْمَنْشُودِ، مَعَ اصْطِحَابِ سَلَامَةِ الْقُلُوبِ، وَصَفَاءِ السَّرَائِرِ مِنْ مَكَائِدِ الشَّيْطَانِ.

إِنَّ الْحَيَاةَ أَيُّهَا الْكَرَامُ أَظْهَرَتْ لَنَا قَلِيلَةً خَبَرْتَنَا فِي مُوَاجَهَةِ الصَّعَابِ، وَتَخَطَّى الْعِرَاقِيلَ وَالْعَقَبَاتِ، فَلَمْ نَحْسَنْ أَنْ نَسْتَشِيرَ قُوَّةَ شَبَابِنَا، وَلَمْ نَتِمَكَّنْ مِنَ الْإِسْتِفَادَةِ مِنْ طَاقَاتِنَا الْحَيَوِيَّةِ فِي مَجْتَمَعِنَا، إِذْ تَرَكْنَاهَا تَتَخَبَّطُ خَبْطَ عَشَوَاءٍ أَمَامَ الْأُمُوجِ الْمُتَلَاطِمَةِ، وَلَمْ تَجِدْ مِنْ يَعِينُهَا عَلَى الْحَقِّ، وَيُوجِّهَهَا إِلَى الصَّوَابِ بِكُلِّ صِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ، وَمَا زَادَ مِنْ تَعْقِيدِ الْأُمُورِ وَسُوءِ الْأَحْوَالِ، فَتَوَزَّعَتِ الْعِلَاقَاتُ، وَانْقَطَعَتْ الْحَوَارِ بَيْنَ الْأَطْرَافِ.. فِي حِينٍ لَوْ تَوَاضَعْنَا لِلَّهِ وَلِبَعْضِنَا لِأَشْرَقَتْ عَلَيْنَا شَمْسُ الْحَوَارِ، وَاهْتَدَيْنَا فِي سُلُوكِنَا وَتَصَرُّفَاتِنَا، وَسَلَمْنَا مِنَ الْأَخْطَاءِ وَالتَّشْجِنَاتِ مَعَ بَعْضِنَا.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَعْزَاءُ:

إِنَّ الْحَوَارَ الْهَادِيَّ نَوْرٌ يُهْتَدَى بِهِ فِي دُرُوبِ الْحَيَاةِ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ أَيُّ إِنْسَانٍ مَهْمَا أَرَزَّيْنَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَابْتَسَمَ لَهُ الزَّمَانُ، بَلْ هُوَ سُنَّةُ الْبَشَرِ حَيْثُمَا التَّقَى مِنْهُمْ اثْنَانِ، فِي دُنْيَا النَّاسِ أَوْ بَعْدَ فَنَاءِ الْأَكْوَانِ، عَلَى سِرِّ مُتَقَابِلِينَ فِي رَحَابِ الْجِنَانِ، أَوْ مُتَلَاعِنِينَ مُسْتَصْرِحِينَ فِي قَعْرِ النَّيْرَانِ...

أيها الإخوة المؤمنون:

لا ينبغي أن نياسَ من جدوى الحوار مهما بدّا لنا انسدادُ مسالكه لأنه لا بديلَ عنه لرأب الصدع ولمّ الشملِ ودفع حديثِ النفس، ووساوسِ الجنِّ والإنس، ولأنَّ أعظمَ المصائب هي مسألة الإقصاء، فيجبُ أن نبادرَ لإنقاذ الأمة من هذا الوضع الخطير ونسعى بكلِّ جهدٍ إلى مدِّ جسور التواصل، وذلك بالحوار الجادّ مع الأطراف التي لها علاقةٌ بمسار حياتنا ومجال مشاريعنا، خاصّة تلك التي نشاركها التاريخَ والمصيرَ والتحدياتِ الداخليّة والخارجيّة.

فلنتعظَّ أيها الإخوان بآيات القرآن، ولنعتبِرْ بأحداث الزمان، محدّدين هدفنا مُحدّين في بلوغه.. فغايئنا إرضاء الله تعالى، وموعدنا فردوسه الأعلى، وطريقنا مجاهدة أنفسنا، وإخلاص نوايا، والاستقامة على الطريقة، والاعتماد على الله وحده في حل أمورنا، ونهجنّا شرح صدورنا لبعضنا، والعفو عمّن أساء إلينا، والتعاون جميعاً على البرّ والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

فاللهم اسئِرْ عيوبنا واغفر ذنوبنا وألّفْ بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا إلى مرشد أمورنا يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الهادي إلى سبيل الرشاد، دعا إلى ما يُصلح أمر العباد، في الدنيا ويوم التنادي، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، (سورة الأحزاب: 70-71)، والصلاة والسلام على رسوله الناصح الأمين القائل: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»⁽¹⁾.

إخواني الأعزاء:

إن من أغلى ثمرات الحوار الجادّ ترشيد الأفكار وتنميتها، والتقريب بين القلوب وتصفيتها، والحوار الجادّ ليس معناه النقاش الحادّ، بل هو الذي تتوفر فيه آداب وتقنيات نذكر منها الآتي:

أولاً: أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى، ويتمثل ذلك في كون تحري الحقيقة والصواب هو الغرض الأساسي من النقاش، فإن التفكير في الوصول إلى الغلبة والانتصار للنفس أو الهيأة يلقي بصاحبه في دوامة الجدل العقيم. فالحوار المثمر المطلوب هو الذي يُبتغى به إحقاق الحق لا إسقاط الخصم، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾، (سورة هود: 88).

ثانياً: أن ينطلق المتحاورون من أرضية متكافئة على حد سواء، من غير عُقدة نقص ولا استعلاء، كما قال الرسول ﷺ وهو المؤيّد بهدي السماء: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، (سورة سبأ: 24).

ثالثاً: حسن الاستماع، ويتمثل في حسن الإنصات إلى الطرف الآخر حتى يتمكن كل محاور من الاعتراف بالحق إن وافقه، ويوقف عند أخطائه بالبرهان لا بالبهتان.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم: 6475.

رابعاً: تقبل الحق مهما كان مصدره: ضع في اعتبارك أيها المُحاور احتمال كون الخطأ عندك والصواب عند غيرك، والحوار المثمر هو الذي يهتدي إليه الطرفان إلى تقبل الحق مهما كان مصدره، وفي هذا يقول أحد الصالحين: "ما تحدثت مع أحد إلا ولم أبال؛ بيّن الله الحق على لساني أو لسانه".

أيها الإخوة المؤمنون:

إنَّ الحقَّ قد تتقاسمه الأطراف المتحاوره فيكون لكلِّ طرفٍ منه نصيبٌ قلَّ أو كثر، فالحوارُ الصادقُ والناقدُ البصيرُ الفعَّالُ هو الذي يهتدي إلى معرفته والاعتراف به وإن اختلفَ في الرأي مع من جاء به، فينبغي الفصلُ بين الفكرة وصاحبها، ذلك لأن من الأمور الشنيعة السائدة في الوسط الاجتماعي الخلط بين الشخص والفكر الذي يحملُه، فبعضنا يعتبر من يختلف معه في الرأي كلَّ حسناته سيئات!! ومن يتفق معه في الفكر يُحيل كلَّ سيئاته حسنات!!

وقد يصل بالإنسان المنتصر لذاته أن يكيلَ التَّهمَ والشتائمَ على خصمه، وأن يُشهر به ويتبع عثراته، هذا إن لم تتوصَّل المسألة إلى حدِّ الكذب والإفتراء دونَ تورُّع أو تريثٍ.. وأغلبنا يعتقد أن هذا هيئٌ وهو عند الله عظيمٌ، ولنتأمل الصورة البشعة التي شبَّه الله بها مَنْ لا يتنزَّه عن الخوض في عرض أخيه المسلم إذ يقول: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾، (سورة الحجرات: 12)، فكما أنَّه يُستبعدُ تشهِّي أكلِ لحمِ الأخِ ميتاً، فكذلك ينبغي أن يُبتعدَ عن الحديث في عرضه، فاحذر العيبةَ أخي الكريم فإنَّ عاقبتها وخيمةٌ، إنَّها تُسيء الأحوالَ وتهدمُ صالح الأعمال!! وحاسب نفسك أخي المؤمن واحرص أن تكونَ غيوراً على دينك وأخرتك أكثرَ من غيرتك على دنياك أو

دنيا غيرك، «وهل يكبُّ الناس في النار، على وجوههم، إلاَّ حصائدُ ألسنتهم»⁽¹⁾.

هذا وقد وجَّهنا القرآن الكريم إلى النقد الذاتي الذي ينطلق من محاسبة النفس وتوجيهه أُصْبِحَ الْإِتِّهَامُ إِلَيْهَا أَوَّلًا، فقد قال تعالى عن سيدنا يوسف عليه السلام، الذي أُدْخِلَ السِّجْنَ ظَلَمًا وعدواناً وَلَبِثَ فِيهِ بضع سنين: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، (سورة يوسف: 100)، فبدأ باتهام نفسه البريئة، لأنه اعتبرها الثغرة التي نفذ منها الشيطان وسعى للإفساد بينه وبين إخوته.

أخي المؤمن:

إنَّ الشخصَ المعرضَ للخطأ هو الرجلُ الفاعلُ الذي نزلَ إلى الميدان، فهو عرضة للخطأ والنسيان، وسبيله الإقدام والتطبيق، وأنتَ للمتفرِّجِ المنفعلِ أن يُخطئَ وهو لم يرفعْ لذلك رأسًا، بل همُّه التصفيقُ أو التعليق والتعويق...

فاحرصْ أخي الغيورَ أن تكونَ من رواد المعالي في الحال والمآل، ومن السعاة إلى الكمال، ويتحقَّقْ ذلك بالعمل الجماعي المفعم بالود وحب التغيير الإيجابي والموجه بالشورى في اتخاذ القرارات، لأن الشورى تُذهِبُ وَغَرَ الصُّدُورِ، وَتَجْمَعُ النَّاسَ عَلَى صَالِحِ الْأُمُورِ، وتعين العامل على تدريب تَحْمِلِ التَّبَعَاتِ والمسؤولياتِ، وتسهم في جَوْدَةِ الرَّأْيِ والتَّفْكِيرِ، وفي استثمار مختلف الطاقات، واحترام التخصصات والاستفادة من تجارب السابقين.

والحوار والشورى طريقتان بسيطتان على اللسان، ثقيلتان في الفعل والميدان، ولن يبلغهما المرء بغير إخلاص النيات، وتقبل النقد للهيئات والجمعيات.

فاللهم آت نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا

(1) الترمذي، السنن، كتاب الإيمان، باب حرمة الصلاة، رقم: 2616.

إنك رؤوف رحيم.

اللهم أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَلْهِمْ لِأَمْتِنَا أَمْرًا رَشِيدًا. واللهم وحد صفوفنا وابعد الشيطان
عنا، واجعلنا يَدًا وَاحِدَةً عَلَى مَنْ سِوَانَا.

اللهم أعزِّ الإسلامَ والمسلمينَ واخْذُلِ الكُفْرَ وأهْلَهُ والطواغيتَ أجمعين.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، والحمد
لله رب العالمين. وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله

الصلح بين المتخاصمين: أهميته وفقهه

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد: إخوة الإيمان

أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم، وفعل الخيرات واجتناب المنكرات، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، (سورة آل عمران: 102)، ويذكرنا الله بالتقوى والكلام الطيب في سورة الأحزاب فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، (سورة الأحزاب: 70-71).

أيها الناس: من هداية الله تعالى للمؤمنين، ورحمته بهم، أن وحد كلمتهم بالإسلام، وجمع قلوبهم بالإيمان، فلم به شعثهم، وأزال ضغائنهم، وشفى صدورهم، فكانوا إخوة في دين الله تعالى متحابين متجالسين، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾، (سورة آل عمران: 103)، ويقول أيضا في سورة الأنفال: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (سورة الأنفال: 63).

وما من وسيلة تزيد من لُحمة المؤمنين، وتؤدي إلى ترابطهم وتآلفهم إلا جاءت بها الشريعة وجوبا أو ندبا، وما من طريق تؤدي إلى التفرق والاختلاف، والضعينة والشحناء، والقطيعة والبغضاء إلا حرمتها الشريعة، وأوصدت طرقها، وسدت سبلها؛ ولذلك أمرنا ربنا تبارك وتعالى بالبر والصلة، وحرَمَ العقوق والقطيعة، وندب إلى إفشاء السلام وإطعام الطعام،

وحث على الحبِّ في الله تعالى والزيارة فيه، وإجابة الدعوة، وتشميتِ العاطس، وعبادة المريض، واتباع الجنازة، وحفظ حقوق الأهل والقربة والجيران، وجعل للمسلم على أخيه المسلم حقوقاً يحفظها له، فيؤجر عليها، وأرشد إلى كثير من الآداب والأخلاق التي من شأنها أن تُقوي الروابط، وتُسلم الألفة، وتزيد في المودة والمحبة بين الناس.

وفي هذا الصدد حرم الله الحمز واللمز والسخرية بالناس، وحرَم الغيبة والنميمة، والقذف والبهتان، والشتيم والسباب، والكذب والمرء، والفجور والجدال، وغير ذلك من الأقوال والأفعال التي من شأنها أن تسبب الضغائن والخصومات، وتؤجج نيران الأحقاد والعداوات.

إخوة الإيمان:

مع كل هذه الاحترازمات الشرعية التي يُريّ الإسلام أهلها فإن الإنسان وهو يعيش صخب الحياة ومشكلاتها قد يعتريه غضبٌ وسهوّ وغفلةٌ فيعتدي على أخيه بقول أو فعل، وذلك بضعف منه عن كبح جماح نفسه، وتسكين ثورة غضبه. وحتى لا يتسبب هذا الخطأ منه في الخصومة والقطيعة التي يغذيها الشيطان، وينفخ في نارها؛ رتب الإسلام أجوراً عظيمة على الحلم وكظم الغيظ والعفو عن الناس، ووعد الله سبحانه وتعالى الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس جنةً عرضها السموات والأرض، وأمر المعتدي برفع ظلمه، والرجوع عن خطئه، والاعتذار لمن وقع عليه اعتداؤه.

يا أحابيب الرحمن:

إنها تشريعات ربانية عظيمة جليلة لو أخذ الناس بها لما وجد الشيطان عليهم سبيلاً، ولما حلّت في أوساطهم القطيعة والخصومة، ولكن الشيطان وإن أيس أن يعبدّه المصلون فإنه لم يئأس من التحريش فيما بينهم، وبثّ الفرقة والاختلاف فيهم، والنيل منهم بالعداوة والخصومة؛ ولذا فهو يُزيّن للمعتدي سوء عمله، وإصراره على خطئه، وتماديهِ في جهله،

ويحرض المعتدى عليه على الانتصار لنفسه، وأخذ حقه، والنيل ممن اعتدى عليه وعدم العفو عنه، وحينئذ تدب الخصومة والفرقة التي تتولد عنها الضغينة والقطيعة، وقد يصل ذلك إلى الاعتداء والاقتتال.

من أجل ذلك شرع الإسلام إصلاح ذات البين، وأمر الله تعالى به، وأباح للمصلحين ما حرم على غيرهم، ورتب أعظم الأجور على هذه المهمة العظيمة، يقول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، (سورة الأنفال: 01)، ويقول في سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، (سورة الحجرات: 10)، وجاء في سورة النساء: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصْلَحَا بَيْنَهُمَا صَلَاحًا وَصُلُحًا خَيْرٌ﴾، (سورة النساء: 128).

أيها المصلحون:

إن الاشتغال بالصلح بين المتخاصمين من أفضل الأعمال؛ لما في الإصلاح بين الناس من نفع يكون سببا في وصل أرحامٍ قُطعت، وزيارة إخوانٍ هُجروا، ونظافة القلوب مما علق بها من أدران الحقد والكراهية.. وتيقنوا إخوتي في الله أن الاشتغال بالصلح يؤدي إلى متانة المجتمع وقوته، ويُفضي إلى تآلف الناس وتماسكهم، ويبعدهم عن الحقد والبغضاء والشحناء بينهم، ولذلك لا عجب أن نسمع حبيبنا محمد ﷺ يثني خيرا على الصلح فيقول: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ» قَالُوا: «بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ»⁽¹⁾.

وفي حديث صحيح رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَغْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ»⁽²⁾، فالحديث أقر إخوتي المؤمنين أن الحكم

(1) أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، رقم: 4921.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه، رقم: 2989.

بالعدل بين متخاصمين صدقة، فما بالنا نغفل عن مثل هذه الصدقات، ونزهد في مساعدة إخواننا التائهين، ولا نرغب أن نتولى مشاكل الناس وحماتهم، بدعوى وجود القضاء، وتوفير المحاكم التي أسست لهذا الغرض وغيره، فنجدها وللأسف بهذا السبب ممتلئة بملفات إخواننا المؤمنين، وتعج بالقضايا العالقة لسنوات وعقود، مما يزيد في الخصام والشجار بين أبناء الأمة الواحدة، يقول رسولنا محمد ﷺ في مثل هذه المشاحنات والنزاعات والخلافات المحيرة: «إِنَّ أْبْعَضَ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَكْذُ الْخَصِم»⁽¹⁾.

أيها الصالحون المصلحون:

إن الإصلاح بين المتخاصمين مهمة جليلة قد فرط فيها كثير من الناس مع قدرتهم عليها، وكثير من الخصومات تكون أسبابها تافهة، وإزالتها يسيرة، وقد توجد رغبة الصلح عند كلا الخصمين، ولكن تمنعهما الأنفة والعزة من التنازل مباشرة، أو المبادرة إلى الصلح بلا وسيط، فإذا ما جاء الوسيط سهل الإصلاح بينهما؛ لرغبة كل واحد منهما في ذلك، فينال الوسيط أجرا عظيما على عمل قليل، ويؤلف بين قلبين متنافرين. وما من أسرة أو قبيلة أو مؤسسة بين بعض رجالها خلاف وقطيعة إلا وفيها رجال عقلاء يستطيعون السعي في إزالة الخلاف والقطيعة، ولكن التقصير والغفلة يحولان دون ذلك.

فاللهم أرنا الحق حقا، وارزقنا اتباعه، واتباع أهله، وأرنا اللهم الباطل باطلا، وارزقنا اجتنابه واجتناب أهله، وبغضه وبغض أهله يا أرحم الراحمين.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المظالم والغصب، باب بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْأَكْذُ الْخَصِم﴾، رقم:

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد: إخوة الإيمان

- من تصدى للإصلاح بين الناس فعليه أن يُخلص نيته لله تعالى، ولا يَنشُد ثناء الناس وشكرهم؛ فإن هذه المهمة الجليلة مظنة للسؤدد والرفعة والثناء، وقد يدخل الشيطان من خلالها على العبد فيفسد نيته، والله تعالى يقول في الإصلاح بين الناس: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، (سورة النساء: 114).

- وعلى المصلح أن يستعين بالله سبحانه على مهمته، ويسأله تأليف قلبي صاحبيه، وإلانتهم لقبول مبادرته؛ فإن القلوب بيده عز وجل يقلبها كيف يشاء، وهو يقربها ويباعدتها، ولا عون له في صلحه إلا الله تعالى.

- وعلى الساعي في الإصلاح أن يتحرى العدل في صلحه؛ فلا يميل لأحد الخصمين لقوته ونفوذه، أو لإلحاحه وعناده، فيظلم الآخر لحسابه، ويتحول من مصلح إلى ظالم، ولا سيما إذا ارتضاه الخصمان حكما بينهما، يقول تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، (سورة الحجرات: 09).

- وليتسلح المصلح في إصلاحه بالعلم الشرعي، أو عليه أن يكون مستعينا بأهل العلم فيما يحتاج إلى سؤال؛ فإن كان الخلاف مثلا على مال أو إرث أو أرض فلا بد أن يعرف حكم الشريعة في ذلك قبل أن يُقدم على الصلح، وإن كان الخلاف بين زوجين فلا بد أن يعلم الحقوق الشرعية للزوجين؛ ليتبين الظالم من المظلوم، والمخطئ من المصيب، فينبه الظالم

على ظلمه، ويدلّ المخطئ إلى خطئه.

- ومن فقه المصلح أن يختار الوقت المناسب للصالح، فلا يبادر إلى الصلح عقب التشاتم والتعارك والتقاتل، بل يتربص بقدر ما يسكن الخصمان، ويعودان إلى رشدهما، وتذهب سؤرة الغضب، وتضعف دواعي الانتقام، فيلقي بمبادرته إليهما.

- وعلى المصلح أن يجدد في قطع الطريق على النمامين ونقله الكلام الذين يعجبهم أن تسود البغضاء بين الناس؛ فإنهم ينشطون في الأزمات لبث الشائعات، ونقل الكلام، فعليه أن يحذر الخصمين من الاستماع إلى أراجيف النمامين، وعليه أن يثبت لهما كذبهم، وما يريدونه من الإفساد والوقعة بينهما.

- وعليه أن يختار من الكلام أحسنه، ويرقق قلبيهما، ويبين لهما حقارة الدنيا وما فيها، فهي لا تستحق أن يتعادي الإخوان من أجلها، ولا أن تقطع القرابة بسببها، ويذكرهما بالموت وما بعده من الحساب، وعليه أن يعظهما بنصوص الكتاب والسنة فإنهما أعظم زاجر للمؤمن، وعليه أن يذكرهما بأن أعمالهما الصالحة موقوفة عن العرض على الله تعالى، وأنه سبحانه يُنظرهما إلى أن يصطلحا؛ كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»⁽¹⁾.

- وإن كانت الخصومة بين المتخاصمين قد أدت إلى قطيعة رحم فعلى المصلح أن يبين لهما عظيم ما وقعا فيه من القطيعة، وأن الجنة لا يدخلها قاطع رحم، وأن الرحم مشتقة من الرحمن فمن وصلها وصله الله تعالى، ومن قطعها قطعه الله عز وجل.

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، رقم: 2565.

وإن تهاجرا بسبب خصومتكما ذكرهما بخطر هجر المسلم، وأنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام.

وإن كانت الخصومة بين زوجين بين لكل واحد منهما حقوق الآخر عليه، وذكرهما بقول الله تعالى: ﴿إِنْ يُدِذَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، (سورة النساء: 35).

فإن احتج أحد الخصمين بأنه نذر أن لا يتنازل، أو حلف على أن لا يصالح، وهذا يقع كثيرا بين الغرماء والمتخاصمين، فيدعوه إلى أن يكفر عن يمينه، ويصالح أخاه، ويحتج عليه بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، (سورة البقرة: 224). ويروي له حديث أبي هريرة ض قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتَهَا وَلْيُكْفِرْ عَنْ يَمِينِهِ»⁽¹⁾.

أيها المؤمنون: علينا أن نساند من يسعى إلى إصلاح ذات البين؛ أفرادا أو مؤسسات اجتماعية، ويجب علينا أن نؤيدهم ونشجعهم بالقول والفعل، ونعينهم بما يحتاجونه من الجاه والمال؛ فإن إصلاح ذات البين يعود على الجميع بالخير والمحبة والألفة، وفساد ذات البين يضر المجتمع عامة بما يسود فيه من الأحقاد والضغائن والجرائم والانتقام.

وعلىنا أحبتي في الله إذا أتانا من يريد الإصلاح أن نفتح له أبوابنا وقلوبنا، وأن ندعو له بالخير، وإذا دعينا إلى مقترح حل أن نبتهد في إطاره بحزم وحرص ووعي وإيمان، ولا نركب أم رأسنا، ولا نرضى إلا بما يناسبنا ويعود علينا بالمنفعة والغنيمة المربحة.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.

اللهم هب لأمتنا مصلحين مقتدرين، وأعن المتخاصمين على الصلح بينهما بالتراضي وحسن العشرة.

اللهم أغثنا، اللهم أغث قلوبنا وديارنا ومشاريعنا بالرحمة والقوة، ولا تجعل لنا ذنباً إلا غفرته، ولا همّاً إلا

1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها، رقم: 1650.

فرجته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا مبتلى إلا عافيته، يا ذا الجلال والإكرام. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ
رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، (سورة الصفات:
180-182). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

المحور الخامس الدعوة، والصحة الصالحة

الدعوة الفردية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي علم العثرات فسترها على أهلها، وأنزل الرحمات ومحا السيئات.

وأشهد أن لا إله إلا الله لا مفرج للكربات إلا هو، ولا مدبر للملكوت إلا هو، ما انتصر دينٌ إلا بمداد عزته، وما اقشعرت القلوب إلا من عظمته، وما سقط حجرٌ من جبل إلا من خشيته، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قضى نخبه في الدعوة إلى الله فكافأه الله بمحبته وأرسله رحمة للعالمين، ونورا وسراجا للخلائق أجمعين.

أما بعد: أيها الإخوة المؤمنون:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى في كل وقت وحين، وأوصيكم بسؤاله العون على الطاعة في كل حركة وسكون، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، (سورة آل عمران: 102).

عباد الله:

خلق الله الناس أطيافا: بعضهم صالح، والآخر طالح؛ فالصالح من عرف ربه معرفة حسنة، وأدى حق الله قدر المستطاع، وخالق الناس بخلق حسن. أما الطالح: فرجل انقطعت بالله صلته، فلم يقدره حق قدره، وعصاه بالليل والنهار، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾، (سورة آل عمران: 30).

إخوة الإيمان:

لقد أودع الله في نفوس خلقه طاقات كبيرة، وزودهم بمواهب ضخمة، ربما استغلت في الخير، وربما استغلت في الشر، فالذين هم قادة للخير تتسع دائرتهم لتشملهم وتشمل

الكثيرين ممن حولهم وممن يأتي بعدهم، والذين هم قادة للشر ينقلون جرثومتهم إلى من حولهم فيصيبونهم بالعدوى، ومن هنا تأتي مهمة الدعوة إلى الله، ومهمة تحريك الخيرين لإيقاف زحف الضالين والمضلين؛ من الذين ركبوا أهواءهم وغرهم الشيطان فألقاهم في حباله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ»⁽¹⁾.

فيا أيها المتقون:

نحن في معركة حامية الوطيس لمقاومة الشر وإزالة الظلم وإرشاد الناس إلى الجادة، وإلا تفعلوه تلك فتنة في الأرض وفساد كبير، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، (سورة فصلت: 33)، فعلينا إخوة الإيمان أن ندعو إلى الله ونهدي إلى الحق ونكثر من فعل الخيرات، حتى يصدق فينا قوله الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾، (سورة الأنبياء: 73)، وعلينا أن نوقف نزيف الشر، ونغلق أبوابه، ونحفظ أنفسنا ومجتمعنا من خبثهم يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ، وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعَنَّا وَلَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾، (سورة القصص: 41-42).

أيها الدعاة إلى الله:

اعلموا أن أمر القيام بالدعوة إلى الله ليس كأمر القيام بالمشاريع الربحية والصفقات التجارية التي إن لم يظهر نجاحها تركها الإنسان دون حرج، وإنما القيام بالدعوة مسؤولية لا

(1) ابن ماجه، السنن، كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من كان مفتاحا للخير، رقم: 237.

يملك المسلم التنصل منها، شأنه في ذلك شأنُ أنبياءِ الله الذين كلفوا بحمل الرسالة، وتغافوا في أدائها رغم إيذاء أقوامهم، ورغم قلة المستجيبين؛ فمن الأنبياء من يأتي يوم القيامة ومعه الرجال، ومنهم من يأتي ومعه الرجل الواحد، ومنهم من يأتي وليس معه أحد، وكلهم كانوا يقولون لأقوامهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، (سورة الأعراف: 59)، وكلهم كانوا دعاةً خير بالليل والنهار، وكانوا يخالطون الناس في نواديهم وبيوتهم وأسواقهم لأجل هدايتهم، ومع ذلك فقد كانوا يخشون ربهم ويخافون أن يحاسبهم الله على التقصير، وفي هذا الصدد روى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ض حديثاً صحيحاً قال فيه، رسول الله ﷺ: «إقرأ على القرآن»، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال الرسول ﷺ: «إني أشتي أن اسمعه من غيري»، فقرأ ابن مسعود سورة النساء حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾، (سورة النساء: 41)، قال له الرسول ﷺ: «كُفَّ أَوْ أَمْسِكَ»، وقال ابن مسعود ض: فرأيت عينيه تذرفان⁽¹⁾.

قال أهل العلم: بكاء النبي ﷺ إنما كان لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلاع وشدة الأمر، إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أمهم بالتصديق والتكذيب، ويؤتى به ﷺ يوم القيامة شهيداً على الخلائق. وكذلك سيؤتى بنا إخوتنا في الله يوم التغابن لنكون شهداء على معاشرينا وذوينا، وشهداء على أهل بلدتنا وأقربائنا وأهل حيننا، فماذا نحن فاعلون؟ وماذا نحن منجزون؟

اللهم إنا نسألك عفوك عن تقصيرنا، ونسألك رحمتك في جهلنا، وندعوك ربنا أن تجعلنا هداةً مهتدين، نصحاء لك ولكتابك ولرسولك وللمسلمين أجمعين، يا رب العالمين.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن، رقم: 5055.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وأشهد أن محمداً عبده ووصيه، أرسله الله إماماً للمتقين، وشفيعاً للمؤمنين.

أما بعد: أيها الإخوة المؤمنون:

إن الدعوة إلى الله هدم وبناء؛ هدم للجهل وهدم للضلال وهدم للشهوات وهدم للفساد الخلقي، وهي بناء للمجتمع المسلم على قواعد الإسلام في شكله ومحتواه، وفي مظهره وجوهره، وفي نظام حياته وأسلوب عيشه، وهي بناء للنفس المتعلقة بربها، وبناء للمؤمن الذي يخشى الله في السر والعلن، وللمؤمن الوقاف عند حدود الله، وللمؤمن الخائف من مصيره يوم العرض الأكبر.

والدعوة إلى الله أيها الكرام هي جمع الناس على الخير، ودلائلهم على الرشد، وتوجيههم إلى منهج الله في الأرض قولاً وعملاً، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الصبر والمصابرة على أعباء التبليغ، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيث قال الله عنه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، (سورة آل عمران: 164)، فالرسول ﷺ وهب نفسه لأُمته، وملاً برنامجه اليومي بلقاءات متواصلة مع أصحابه الكرام ناصحاً لهم وتالياً عليهم آيات الذكر الحكيم، ومرشداً أُمته إلى النهج المستقيم بحديثه الإيماني السلس وحكمته البليغة، ومجالساً للناس في الطرقات والأسواق للتعرف على أحوالهم، ولم يهنأ له بال حتى تأكد أنه حقق قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، (سورة النحل: 125)، وقوله تعالى أيضاً في سورة الحج: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾، (سورة الحج: 67)، وقوله في سورة

الشورى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾، (سورة الشورى: 15).

أيها المؤمنون:

إن الدعوة إلى الله تقتضي منا أن ننظر إلى واقعنا برؤية موضوعية، ودون إفراط ولا تفريط، ونسأل أنفسنا بكل تجرد ومسؤولية، ما الذي قدمناه للغافلين عن سبيل الله في مجتمعنا، وما الذي فعلناه ميدانيا لجر الضالين إلى الحق، وكم من الساعات قضيناها في الدعوة الفردية إلى الله.

إخوة الإيمان

- هل جالسنا الشباب والكهول الذين يرحلون يوميا إلى المقاهي قبل صلاة المغرب ولا يبرحونها إلى بعد وقت متأخر من العشاء؟ وهل سألناهم عن صلاتهم وكيف يؤدونها؟ وهل عقدنا معهم حوارات نصح وإرشاد مباشر لعلهم يعقلون.

- وهل وعينا الشباب المختبئ في الأماكن الخفية ببساتيننا، والمعاهد للسهرات الفاجرة كل يوم خميس، عن رجس خمرتهم، وعن خبث فعلتهم التي تجرهم إلى العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله.

- وهل ذكرنا تاركي الصلاة ومؤخريها دون سبب بالوعيد الشديد الذي أعده الله لهم في الدنيا والآخرة.

- وهل جندنا نساءنا وفتياتنا لتوعية من غرر بهن ووقعن في الرذيلة والشبهات، وإرشاد اللواتي اتبعن الشيطان فركبن الهوى وشكلن شبكات للفساد والضلال، وكذا التغليظ على اللواتي ارتعن في أحضان الزناة والفسقة من الذين لا خلاق لهم، من باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (سورة النور: 02).

- وهل نصحننا شابَاتِنَا العاملات في المِصحات الخاصة والعامة، والعاملات في الوظيف العمومي بصفة الحجاب الشرعي، ووعيناهن بعدم التشبه بالرجال، وفقهناهن بضرورة تجنب الزينة والملابس الفاتنة.

- وهل وعينا دورنا الحضاري في الوجود، فدعونا الأفارقة الذين نستخدمهم وننتفع بهم، والذين جرهم الاحتياج للعيش بيننا للدعوة إلى الله وتقديم النصح لهم؟
- وهل تعاملنا إيجابيا مع المتسولين الذين ابتلوا بالحروب والفتن في بلادهم، فأعناهم، وأكرمناهم تعظيما لنعمة الأمن التي من الله بها علينا؟

أيها المسلمون:

ينبغي أن نستفيق من سباتنا، ونتحسس ما يحدث في مدينتنا على مرأى ومشهد الجميع؛ إذ الأمر إخوة الإيمان جلل، وبات خطيرا جدا، وليس هذا تهويلا، لكن الوقائع الفظيعة بين الحين والآخر تقرغ مسامعنا، وتقتض مضجعنا، وتزيل عنا فرحة الأنس والهناء، مما يستدعي وقفة جادة مع النفس، وحراكا سريعا لإصلاح الخرق المتسع، وإيقاف السيل الجارف، ولن يكون ذلك إلا بإحياء سنة الدعوة إلى الله، فعن حذيفة بن اليمان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ»⁽¹⁾.

إخوة الإيمان:

لبلوغ مقصد الدعوة إلى الله على أحسن وجه، ولتطهير مجتمعنا المترامي الأطراف من آثار الفواحش والمنكرات أتصور أنه ينبغي على أمتنا أن تختار مجموعة من أفرادها وتنتخب بعض أعضائها للتفرغ في مؤسساتنا العرفية بمقصد أداء هذه الوظيفة السامية، وتفعيل الدعوة

(1) الترمذي، السنن، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم: 2169.

إلى الله بإخلاص في النوادي والمجالس الخاصة، وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، (سورة آل عمران: 104). وعلينا أن نعتقد في دعوتنا إلى الله أن الهداية يهبها الله لمن يشاء من عباده، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، (سورة القصص: 56)، وقوله أيضا: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، (سورة البقرة: 142).

اللهم اهد شبابنا لما تحبه وترضاه، ونجهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وخذ بأيديهم إلى ما تحبه وترضاه، وأخرجهم من الظلمات إلى النور.
اللهم ارزق شباب المسلمين عفة يوسف عليه السلام، وبنات المسلمين طهارة مريم عليها السلام، واحفظ المسلمين من شر خلقك أجمعين.

اللهم إنا نسألك يا فارح الهم ويا كاشف الغم ويا مجيب دعوة المضطرين رحمان الدنيا الآخرة أن تعادي من عادانا، وتكشف عن مزاب كل شدة وضيق.

اللهم اجعل بلادنا وسائر بلاد المسلمين آمنة مطمئنة، اللهم حسن أحوالنا، وفرج كربنا، وألف بين قلوبنا، ووحد كلمتنا على الحق، يا أرحم الرحمن.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90)، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (سورة العنكبوت: 45). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

النصيحة، وقول كلمة الحق

الحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الحمد لله الَّذِي أَعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ، وَأَكْرَمَنَا بِالْإِيمَانِ، وَنَوَّرَ قُلُوبَنَا بِالْقُرْآنِ. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، عالمُ العثراتِ، ومنزلُ الرحماتِ. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أرسله الله رحمةً للعالمين، ونورا وسراجا للخلائق أجمعين. قضى نجه في نصح خلق الله، والدعوة إليه. وعلى آله وأصحابه الكرام، الَّذِينَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، ومن تبع هداهم إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ: عِبَادَ اللَّهِ:

أَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ، فَإِنَّ خَيْرَ الزَادِ التَّقْوَى، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾، (سورة الطلاق: 02). وَأُحَذِّرُكُمْ مِنْ عَصْيَانِهِ جَل وَعَلَى؛ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ مَنْ اسْتَبَدَلَ بِالطَّاعَةِ الْمَعْصِيَةَ، وَءَاتَرَ الْفَانِيَةَ عَلَى الْبَاقِيَةِ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ. وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، (سورة العصر).

فَاللَّهُ أَقْسَمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ خَاسِرٌ، وَاسْتَتْنَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمِ الْمُتَزَمُونَ بِوَصَايَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُؤْتَمِرُونَ بِأَوَامِرِهِ، وَالَّذِينَ يَنْصَحُونَ وَيَنْتَصَحُونَ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

بِالنُّصْحِ يُعْرِفُ الدَّاءُ، وَيُوصَفُ الدَّوَاءُ، وَيَسْلَمُ الْجَسَدُ، وَتَنْتَفِي الْعِلَّةُ. وبالمداهنة تُسْتَرُ الْآفَاتُ، وَتُسْتَبْقَى الْعِلَلُ، فما تزال بالجسد حتى تُهْلِكَه. وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قالها ثلاثا: قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ

الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»⁽¹⁾.

فالنصح لوجه الله من أجل نعم الله التي أسبغها على عباده - بعد نعمة الهداية إلى دين الإسلام -. ومن حكمته سبحانه وتعالى أن هياً خلقه عبادة ناصحين صادقين، يُسدون إلى الغافلين عن نهج الله أعظم الجميل حين يُذكروهم، ويقدمون لهم أعلى هدية حين يُصبروهم بخفي عيوبهم وقبح معاصيهم.

أيها الناصحون لوجه الله:

إن بذل النصيحة لإخوانك المسلمين أفراداً كانوا أو جماعات دالٌّ على إيمانك وحبك لإخوانك المؤمنين، وإسداء النصح لهم من أخلاق أنبياء الله عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنْ آلِهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، (سورة الأعراف: 62).

وهذا هود عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، (سورة الأعراف: 68). وكذلك كان خاتم الأنبياء محمد ﷺ أعظم خلق الله نصحاً لأمته لعظيم شفقتة ورحمته بهم قال تعالى عنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، (سورة التوبة: 128).

فالمؤمن الصالح هو من ينصح أخاه وصاحبه لوجه الله، وهو من يحب لأخيه ما يحب لنفسه؛ يقول عز من قائل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (سورة التوبة: 71). فمن رأيته مقصراً في الواجب سارع إلى حثه

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم: 55.

على القيام به، ومن رأيت فيه عيبًا فبادر إلى تبصيره ، وإن رأيت فيه اعوجاجا فأعنه على تقويمه، وإن بدت منه مخالفة فقدم له التوجيه السديد، وإن شاهدته يقترب المعاصي فأنقذه منها بالموعظة الحسنة ابتغاء مرضاة الله.

وما يدعوك أخي المسلم إلى النصيحة بإخلاص ودون تشهير ولا استعلاء أو احتقار هو حبك للخير والسعي إليه بكل عزيمة، وشغفك بمواساة المحتاج، وإرشاد الضال، والتفريج عن المكروبين والمهمومين، وكلما قوي إيمانك ورغبت في تحقيق عبودية الله في الأرض، ازدادت رغبتك في تقديم النصح للغافلين عن سبيل الله، وضاق صدرك بعصيانه تعالى في أرضه، وحزنت من مشاهدة أحدٍ من معارفك أو أقبائك أو مجتمعتك يواقع المعصية، ويتخذ الشيطان خليله، ويرتطم في بحر الشهوات والمغريات.

أيها المنتصحون:

في مقابل فضيلة النصح ينبغي على كل مسلم أن يتحلى بخلق الاستجابة لمن ينصحه بإخلاص لأن قبول النصح سجية جميلة ومنقبة جليلة وخلق كريم يتبين به كمال العقل، وثبل النفس، وسلامة السريرة، وصفاء الطوية، ذلك أن النقص محيطٌ بالبشر، لازمٌ لهم، لا ينفك عنهم، ولا يتمُّ تدارك ذلك إلا بفضل الله ورحمته، ثم بنصح صادق تحسن به العقبي، وتكون به إلى الله الزُلْفَى. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له»⁽¹⁾.

فعلى المنصوح ألا يترفع عن قبول النصيحة، وأن يستمع إلى الناصح ويشكره على صنيعه، فيكون انتفاعه بها عظيمًا، وقديما قيل: "إِنْ رَأَيْتَ مَنْ يَدُلُّكَ عَلَى عُيُوبِكَ فَتَمَسَّكَ بِأَذْيَالِهِ"، ويقول عمر الفاروق رضي الله عنه: "رَحِمَ اللَّهُ امْرَأًا أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي". وبهذا نحي

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، رقم: 2162.

خلق التناصح فيما بيننا، ونشمن أخلاقنا وتصرفاتنا بالملاحظات الإيجابية التي يقدمها المرء لأخيه المسلم. فيبعد الله عنا عواقب الأمم التي لا تستجب لناصحيها كما في خبر ثمود قوم صالح عليه السلام حين أصموا آذانهم عن تذكيره وتحذيره لهم، فقال الله في شأنهم: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ، فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾، (سورة الأعراف: 77-79).

اللهم إنا نسألك أن تيسر لنا من خلقك من يتعاهد على نصره شريعة الرحمن، ويعلي راية الإيمان، ويأخذ على أيدي السفهاء قبل استفحال الداء وإعواز الدواء. يا أرحم الراحمين.

اللهم ألهمنا رشدنا، ووفقنا للعمل والتخلق بكلامك والاحتكام إلى أوامره ونواهيه، وثبتنا على دينك، إنك نعم الولي ونعم النصير.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

إخوتي في الله: أرأيتم لو أن فرداً أصيب بمرضٍ عضالٍ في جزءٍ من جسمه فأهمله، أوليس يستشري المرض في جسده كله، فيتعسرُّ علاجه ويتعذرُ شفاؤه، كذلك المنكر إذا ظهر في العائلة أو الحي أو المجتمع وثرَّك فلم يغيَّر، فإنه لا يلبث أن يُألفَ ويُستساغ رغم أنه ينخر في المجتمع، وعندئذٍ يصبح من العسير تغييره وإزالته، فتعمُّ المنكرات، وتنتشر الفواحش، وتغرقُ سفينةُ الأمة.

وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلاً على ذلك فقال: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ بَخُوا، وَنَجَّوْا جَمِيعًا»⁽¹⁾.

فالإهلاك إنما يكون بسبب كثرة الذنوب، ولا تكثر الذنوب إلا إذا تعطلت شعيرتا الأمر والنهي الشرعتين، وإلا فإنه إذا بقي في الأمة من يصدِّع بالحق، ويأمر وينهى؛ فإن الخيرية فينا - بإذن الله - لن تُسلبَ بكاملها، ويكون الآمرون الناهون هم سبب حفظ البلاد والعباد من حلول الهلاك، ووجوب العذاب. يقول تعالى في سورة هود: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم: 2493.

الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ» (سورة هود: 116)، ويقول عز وجل في نفس السورة أيضا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (سورة هود: 117).

ولقد تعجبت زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ض لما سمعت الآية فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟!، قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ»⁽¹⁾.

لذلك ينبغي على المسلمين أن يكونوا دائمي التواصي بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، والتذكير بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَالْإِلْتِزَامِ بِأَوَامِرِهِ واجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، فَكُنَّا خَطَاءً وَخَيْرَ الْخَطَائِينَ التَّوَابُونَ، وَكُنَّا عَرْضَةً لِلزَّلَلِ وَالتَّقْصِيرِ فِي الْوَاجِبِ، وَكُنَّا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ فِي الْغَفْلَةِ، أَوِ الْجَهْلِ بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، أَوْ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ، أَوْ سَيْطَرَةِ هَوَى جُلَسَاءِ السُّوءِ وَدُعَاةِ الضَّلَالِ، مَا يَسْتَوْجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَتَحَلَّى بِخُلُقِ نَصِيحٍ بَعْضُنَا، وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ هُنَا الْمُنْكَرِ فِي الْمَكْرِهِ وَالْمُنْشَطِ.

وهذه أَيْهَا الْمُسْلِمُونَ بعض مجالات النصيحة التي أدعو الله أن يوفقني إلى قول الحق فيها، ويوفقكم إلى الانتصاح بها وحمل الغافلين إلى الهدى والرشاد يا رب العالمين:

1- علينا الاستثمار في المحنة الماضية -التي ندعو الله أن يحفظنا منها في قابل الأيام- فنقوي علاقاتنا بھيئتنا، ونخطط لتقوية دراسة أبنائنا، ونوجههم إلى الوظائف الحكومية، ونحفزهم ماديا لاستكمال دراستهم في الداخل أو الخارج، ونحفز أرباب الأموال لفتح مشاريع استثمارية جديدة، وندعم العاملين في الحقول الاستراتيجية للأمة؛ كالمناصب الإدارية، والشبه الطبية، والحرفية.

2- أن نتخذَ سمرنا العائلي فرصةً لتبادل النصيحة، فتتذكر فضل صلاة الجماعة، وقراءة

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: 3598.

القرآن بتوأدة وفهم معانيه، ونجعل من لم شمل العائلة وسيلةً للتداول مع الشباب لأجل توجيههم وإرشادهم ورفع معنوياتهم وتشجيع إبداعاتهم، فتتسامر معهم في أنس ودفء حتى نقرهم إلينا، ونبعد عنهم الانخداع بقرناء السوء؛ وللنصح بعض عائلاتنا بعدم مشاهدة الأفلام العربية والمبدلجة في جو عائلي لأنه يهون الرذيلة ويطنبها في نفوس الأبناء، ونذكرهم بإزالة قنوات العنف المتعطشة للدماء والمستهترة بالموت، وبالأخص قنوات mbc action أو 2 من "الديمو"، لأنها تزرع حب القتل ونبش لحوم الناس أمواتاً أو أحياء.

3- لنعلم أولادنا وصغارنا ومراهقيننا احترام الكبير وتوقيره؛ وأن ندعوهم إلى مخاطبة الكبار بصيغ التواضع والتبجيل، بهذا نربي أواصر المحبة والاحترام بين الجميع في العائلة ثم في الشارع فالمجتمع، ونضمن لأنفسنا وأبنائنا التواضع وتقبل النصيحة وعدم الرد بوقاحة حينما ننصح أحداً ما.

3- علينا أن ننصح نساءنا باستغلال اجتماعاتهن في الأعراس وغيرها لرفع همهن، والإعلام عن البرامج التكوينية الواعية في البلدة، ونعلمهن الابتعاد عن الاشتغال بالتفاخر في الملبس والمسكن، وإظهار الثراء الزائف من خلال فساتينهن الغالية والعارية، وأن يسعين إلى تبادل الكلام المفيد، وترك الاستماع إلى أغاني المجنون الصاحبة التي لا تحرك وطراً، ولا ترطب نفساً، وإنما تشتت الذهن، وتهيج الأعصاب، وتعيق العمل السوي.

4- نذكر المؤمنين الذين يشهدون مواسم المقابر بضرورة صفاء النفس وخشوع القلب عند التلاوة، وتعهد القرآن في كامل حياتنا، وننبههم ألا يغفلوا عن شهود فريضة صلاة الجمعة التي شرعها الله في محكم تنزيله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، (سورة الجمعة: 09).

5- على سائقي السيارات أن يحترموا قواعد السياقة الجيدة، وينضبطوا بإشارات المرور،

وبخاصة عند أوقات الازدحام، وفي الطرق الضيقة، وأثناء الأشغال إذ قد شهدنا تعنتا صارخا من بعض الخلق الذين لم يحترموا أنفسهم، فسلكوا غير الوجهة الصحيحة في الطريق الجديد مومو وأعمود، فعطّلوا حركة المرور، وأسأؤوا إلى أمتهم بسخافتهم وطيشهم.

6- من تمام النصيحة للمؤمنين أن يتحرى المرء الرزق الحلال، ويتعقل في تسيير شركته وضبط حساباته. وعلى المسلم الحذر أن يتجنب العمل في مواطن الشبهات؛ وعلى رأسها البنوك وشركات التأمين، وألا يرتادها الإنسان إلا عند الاضطرار الشديد.

7- ننصح المحبين للدين، والمتكالبين على زخارفها، أن يعلموا أنهم في دار فانية، فلا يغترون بعلاقاتهم فيزوروا العقود ويشهدوا الزور، أو تجرهم مشاحناتهم في الميراث وتقسيم التركات إلى الجدل والخصام في المحاكم، وعدم الاعتداد بمن ينصحونهم في مجالس الصلح.

8- ننصح شباب الأمة وكهولها بتجنب الارتياح إلى مجالس تُدار فيها الشيشية أو كؤوس الخمر، أو السمر مع من يتحدث في المجون والفسق والجنس، لأنه يورث ضلالة في القلب، وغشاوة في الضمير، فتتحرك الجوارح يوما ما لتذوق طعم الفحش والمنكر، وفي الجانب الآخر ما أحوج هذه التجمعات إلى مؤمنين صادقين يرتادونها جماعيا لتعكير جو الفساد عليهم، ولنصحهم وترشيدهم إلى الجادة.

9- علينا بتعكير الجو على المبشرين من إخوان الشياطين؛ الذين يستهترون بحرمات الله تعالى، ويروّعون الناس في ديارهم ليلة المولد النبوي الشريف بالمفرقات، ولا يتأتى ذلك إلا بالنزول إلى المواطن تجمع هؤلاء السفهة، والحيلولة دون تحقيق أحلامهم السافهة، فيُتبادل معهم النصيح والإرشاد في عز موطن ضلالهم.

أيها الغيورون على دينهم وأمتهم:

إن لم نعوّد شفاهنا على النصيح المتواصل دون هوادة، وإن لم نفعل الحديث الشفوي

بيننا دون ملل ولا كلل، وإن لم نباعد الشيطان عن أنفسنا؛ فإنه ستتحقق فينا صفة ذميمة ألصقها الله بقوم لعنهم ربُّ العزة والسلطان في آية صريحة لا لشيء إلا أنهم خرسوا عن قول الحق، وجعلوا قيودا كثيرة لإسداء النصيح، مثل أن: اللباقة لا تقتضي النصيح المباشر، أو دع الناس أحرارا، أو أخطي رأسي واضرب، أو النهي موكول للعزابة ومن على شاكلتهم، فكانت النتيجة أن حكم الله عليهم باللعن والطرده من رحمته فقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، (سورة المائدة: 78-79).

اللهم باعد بيننا وبين صفات بني إسرائيل واحفظ أمتنا من الغرور والسكوت عن قول الحق.

اللهم هب لنا من أمرنا رشدا، وهب لنا قلوبا متأججة بحرارة الغيرة على دينك، وأفواها متكلمة بالنصح الجميل في كل مجلس وناد دون هواده ودون أدنى اعتبارات. واللمهم هب لنا مجتمعا متقبلا للنصح، عاملا به، يتذكر ويخشى، ويخاف يوما عبوسا قمطريرا.

اللهم اجعل فينا ناصحين لوجهك الكريم، يضعون النصيحة موضعها، ولا يتحدثون ولا يفتخرون بها، ولا يجعلونها استطالة وترفعنا على الناس. اللهم يسر لأهل المعاصي والمنكرات من يرحمهم، ويرشدهم ويوجههم وينقذهم من الضلالة والعمى، ويبصرهم إلى طريق الرشاد والهدى.

ياربنا ياذا الجلال والإكرام، بصرنا أن نعمل بقولك الكريم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (سورة التوبة: 71).

الصحبة الصالحة، وأثر قرناء السوء

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِ عِبَادِهِ فَأَصْبَحُوا بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا، وَنَزَعَ الْغِلَّ مِنْ صُدُورِهِمْ فَظَلُّوا فِي الدُّنْيَا أَصْدِقَاءَ وَأَحِبَّاءًا، وَفِي الْآخِرَةِ رُفَقَاءَ وَخِلَائًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَقَائِدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَصَفِيُّهُ وَحَبِيبُهُ. وَعَلَى سَائِرِ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَأَصْحَابِهِ أَرْكَى الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ.

أما بعد: فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله جل وعلا، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، (سورة التوبة: 119).

أيها المسلمون: إن الصحبة نعمة كبيرة من الله تعالى بها علينا، فهي سبب لقرب العبد من ربه، وهي عون للإنسان للوصول إلى الخير وفعله، ومانع للمرء من الشر والوقوع فيه.. بها تُقضى الحاجات بإذن الله تعالى، وبفضلها يبعد الشيطان عن الإنسان، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ»⁽¹⁾.

إخوة الإيمان:

إن موضوع الصحبة يكتسي أهمية معتبرة في القرآن الكريم، ذلك أن الله دعا المؤمنين إلى عبادة الله تعالى، ثم أشفعها بجملة من الحقوق، منها، الإحسان إلى صاحب والمعاشر، فقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾، (سورة النساء: 36)، فالمسلمون إذن مأمورون بالإحسان إلى صاحب كما إحسانهم إلى الجار وذوي الأرحام والضعفاء، ذلك أن المرء لا ينفك عن التقصير واحتمال الإساءة في معاملته مع غيره من

1) النسائي، السنن، كتاب عشرة النساء، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر عمر فيه، رقم: 9179.

حيث يدري ولا يدري، سواء مع زميله في اللعب، أو صديقه في الدراسة، أو مرافقه في الرياضة، أو شريكه في العمل، أو صاحبه في السفر.. يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾، (سورة الفرقان: 20).

أيها الصاحب:

إن المروءة تقتضي الوفاء والإخلاص بين الأصحاب، وتقديم الاعتذار عن التصرفات، والمسامحة عما يصدر من سهو أو خطأ، وإبداء مشاعر الود والاحترام، وتسييق البشاشة والإستبشار عند الملتقى، وغض الطرف عن الزلات والهفات، وعلى كل إنسان أن يدرك أن شخصيته تشكلت من خلال تأثير الأصحاب من حوله؛ ويعلم أن ما توصل إليه من مال أو جاه أو علم لا بد أن فيه أثرا من معاشره، مما يستدعي منا احترام الأصحاب الذين عاشرناهم في صغرنا أو كبرنا؛ ففي الصغر كانوا عوننا لنا على تشكيل ذهنيتنا، وزيادة الثقة بأنفسنا، وتنمية الروح الجماعية، والتدرب على الإيجابية في التعامل، واكتشاف العالم من حولنا بالاستقلالية عن الكبار، أما في الكبر فلهم فضل المساعدة على تخطي مصاعب الحياة، وتحمل الأعباء والتعاون على الخير.

أيها المسلمون:

ليس من الأدب الإسلامي أن يلتقي اثنان تعاشرَا ذات يوم ثم لا يسلمَا على بعضهما بحرارة، أو لا يسأل أحدهما الآخر عن أحواله ووضعيته.. والأغرب من هذا أن لا يؤنس الصاحب صاحبه في الشدة، ولا يفرض على نفسه زيارته إن مرض، ولا يُعينه إن اقتضت الضرورة.. وكل هذه التصرفات ليست من شيم الإيمان، ولا تتناسب مع القيم النبيلة في ديننا، حيث يقول رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه»⁽¹⁾.

(1) ابن حبان، الجامع الصحيح، كتاب البر والإحسان، باب الجار، رقم: 518.

عباد الله:

على الإنسان أن يختار الصديق الصالح الألف المألوف، وأن ينتقي من معاشره النقي الصفي الذي يمتثل مكارم الأخلاق ويعمل بها ويدعو لها، فهذا أبو بكر الصديق ض صاحب رسول الله ﷺ الذي أثبت الله صحبته للنبي ﷺ في كتابه تأكيداً على قيمة الصحبة الصالحة وعلى فضل المتصاحبين على الخير، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، (سورة التوبة: 40)، فتأملوا رحمكم الله كيف مدح الله أبا بكر بأنه صاحب للرسول ﷺ، لا لشيء إلا لأنه صدق في محبته وعشرته، ومكنته هذه العشرة الطيبة للرسول ﷺ في اليسر والعسر وفي السراء والضراء من تحسس أحوال صديقه بدقة، فعن أبي سعيد الخدري ض: أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «إِنَّ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وقال: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجَبْنَا لَهُ [أي استشعر أن الرسول ﷺ اختار الرفيق الأعلى على الحياة]... فقال رسول الله ﷺ إزاء ذلك: «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ»⁽¹⁾.

أيها المؤمنون:

إن من تمام أخلاق الصاحب الصالح أن يحرص على نصيح صاحبه، ويدلّه على الصواب في الأمور، ويُرشدّه إلى ما فيه الخير والهدى، وهذا تأسيا بالرسول ﷺ الذي صدق في نصحه لقومه المجرمين حتى وصفه رب العزة بالصاحب، فقال رب العزة معاتباً المشركين: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، (سورة الأعراف: 184)، وقال أيضاً في سورة النجم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم: 3904.

غَوَى ﴿١﴾، (سورة النجم: 01-02).

أيها الوفي في صحبته: اعلم أن

مِنْ حَقِّ الصُّحْبَةِ الْإِعَانَةُ بِالنَّفْسِ فِي الْحَاجَاتِ، يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ»⁽¹⁾.

وَمِنْ حَقِّ الصُّحْبَةِ الْإِثَارُ بِالْمَالِ، وَبَذْلُ الْفَاضِلِ مِنْهُ عِنْدَ حَاجَةِ صَاحِبِهِ إِلَيْهِ.
وَمِنْ حَقِّ الصُّحْبَةِ كِتْمَانُ سِرِّهِ، وَسِتْرُ عُيُوبِهِ فِي حُضُورِهِ وَعَيْبَتِهِ، وَتَرْكُ إِسَاءَةِ الظَّنِّ بِهِ،
يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»⁽²⁾.

اللهم ارزقنا الصحبة الصالحة واجعلنا من خير الأصحاب لأصحابنا.
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْإِخْوَةِ الْمُتَحَابِّينَ فِيكَ وَمِنَ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى طَاعَتِكَ.
اللهم ثَبِّتْنَا عَلَى الْإِيمَانِ وَسَدِّدْ خُطَانَا نَحْوَ الْخَيْرِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم: 2580.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، رقم: 5143.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده الله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الولي المبتلى بولد قوي وطائش، ماذا تفعل إزاء تصرفات ابنك السيئة؟ وماذا تود معرفته لتروّضه على الصلاح، وتجنب قرناء السوء؟ وهل ولدك أيها الأب يجادل الآخرين بحدة؟ ويتعمد مضايقة الآخرين بتصرفاته؟ ويتحدى الأوامر في أغلب الأوقات؟ ويصر بشدة على الانتقام؟

أيها المربون:

إن أول خطوة في نجاح تربية ابنك أو بنتك، هي النظر في علاقتك مع ربك، فهل أنت أيها الولي ممن يستجيب لأوامر الله؟ وهل أنت ممن لا يعصي الله سرا ولا جهرا؟ وهل أنت ممن يعاهد المسجد ويحافظ على أداء صلواته بالصفة المأمور بها، أم يعتبرها غرامة وثقلا؟

وهل أنت ممن يواظب على ورده اليومي القرآني، يتلوه بتأن وخشوع وتدبر، ويتمعن في معانيه؟

وهل أنت وزجك ممن يستريح مع ذكر الله، ويأنس بالاستماع إلى الموعظة، ويتخذ أسباب اجتناب النظر إلى الحرام، ويكره مشاهدة التلفزة، ويتخلى عن متابعة مواقع السوء في الأنترنت.

وهل أنت ممن يحاسب نفسه، أيقنات من كسب الحرام أم من الكسب الحلال؟

وهل أنت ممن لديك ديون تُماطل في دفعها؛ سواء أكان لتجارة أو لشراء حاجة، أو لإعانة على أمور حياتك؟

وهل تؤدي أيها المربي هذه الواجبات الربانية التي فرضها الله عليها دون مَنْ ولا استكثار مهما عظمت طاعتك، ذلك لأن ذنبا واحدا تقتترُهُ قد يُغضب ربَّك، ويكون سببا لانتقامه منك، ولا أحد يصرف قضاءه عنك، وهو الفعال لما يريد.

وثاني خطوة ثانية في كسب وُدِّ أبنائك هي أن تجعلهم قرّة عينك، وتفرح بهم سرا وعلنا، وأن تتنبه جيدا إلى معاشريهم، وتَسأل عن أحوالهم باستمرار، وتتفقد تصرفاتهم، ولا ضير أن تعقد جلسات حميمية مع أبنائك رفقة أصدقائهم حتى تكسب ودَّهم، ويثبوا لك أشجانهم، فتتمكن من توجيه خواطرهم، وتضمن ترشيده أحوالهم إلى ما ينفعهم في حياتهم، وتزيل عنك الحيرة والشك والخوف من مستقبل فلذة كبديك، وتضمن عدم وقوعهم في براثن الأَشقياء السفهاء، وتخرجهم من أفواه الذئاب والكلاب الشرسة، لأن مصاحبة الأشرار هي السُّمُّ النَّاقِع، والبلاء الواقع.

والخطوة الثالثة الضرورية أيها الأب الحنون في إصلاح حال أولادك والانتفاع بخدماتهم في كبرك، أن تصارح ابنك، وتشركه في بعض أمور حياتك، وتصبر على أخطائه وترهاته، واعلم أنه لا يزال صغيرا وفي حاجة إلى آرائك وتوجيهاتك، وإن أظهر لك الامتناع من نصائحك والتهرب من الحديث معك، لكن مع ذلك جاهد نفسك، وادعو الله أن يقربك إليه، واتخذ كلّ الأسباب المعنوية والمادية لتكسبه لصفك، قبل أن يأخذ من لا خلاق له بعضا من بُضعك، فيجعله لقمة سائغة له، ويستخف بأحلامه وطموحاته، فيجره ذات اليمين وذات الشمال لقضاء مآربه وأشراره.

أيها الأب الغيور:

إن ابنك مسؤولية عظيمة في يدك، فلا تغفل عن التصرفات الجديدة التي يمكن أن تتطرا عليه جراء معاشرته لأصدقائه، لأن أكثر ما يوقع في الذنب والمعاصي مُحَالِطَةُ الْمُذْنِبِينَ والركون إلى النفس الأمارة بالسوء. ولا يعني هذا أخي الولي أن تكون لابنك عليه كحارسٍ ليلي لا يغمض له جفن خشيةً عليه، وإنما كن متقياً ربك، داعياً إياه بصلاح الذرية، وصاحبه قبل زملائه، وتحاور معه قبل أن يسلبه بريق الأشرار من شياطين الإنس والجن، وتقاسم عبئ تربيته مع منظمة خيرية أو جمعية شبانية تثق في طاقمها، وتتعهدهم بالزيارة والمتابعة الميدانية.

وتروأبها الولي في الاستجابة لكل مطالب ابنك، وتأن في الميل إلى طروحاته وتحليلاته المبنية على تأثير بعض أصدقائه، مثل: الدعوة إلى التسرب من المدرسة القرآنية الحرة اقتداءً بما فعل أحد زملائه، أو شراء هاتف نقال من آخر صيحة لأجل قضاء أوقاته مع الأنترنت مبحراً مع أصدقائه فيما يضرهم ولا ينفعهم، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»⁽¹⁾.

وقديماً قيل:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ، وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَفْتَدِي
وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَيْزِ؛ فَحَامِلُ الْمَسْكِ: إِذَا أَنْ يُخَذِّيكَ (يعطيك)، وَإِذَا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِذَا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً. وَنَافِخُ الْكَيْزِ: إِذَا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِذَا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»⁽²⁾.

(1) أحمد، المسند، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم: 8417.

(2) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، رقم: 2628.

فاختر لنفسك أيها العاقل ما دام لك الاختيار.

أيها الأبناء البررة:

اعلموا أن حياتكم مرهونة بنجاحكم في شبابكم، ولا تغتروا بالموضة، ولا بتسريحات الشعر، ولا بالهوس بالدراجات النارية، ولا تتبعوا الهوى فيضلّكم عن سبيل الله، وثقوا أن نجاحكم موكولٌ بيد الله؛ علما وخلقا ومالا ووظيفة وحياة زوجية، ولن ينفعكم جاهٌ والديكم، ولا مآلكم، ولا علمكم، ولا منصبكم، إن كنتم عند الله من المغضوب عليهم، ومن المفسدين في الأرض، ومن المعشرين لقراء السوء، يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾، (سورة الفرقان: 27-29)، ويقول أيضا: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، (سورة الزحرف: 67).

فالأحباب والأصحاب والأخلاء الذين كانوا في الدنيا على غير ثقي ولا غير هدى سينقلبون في الآخرة أعداءً لعظم أهوالها، وسيعادي كل خليل خليله ويعصه لما يدرك أن الضرر دخل عليه من قبل خليله، ولات حين مندم، ويستثنى المتقون الذين تبقى مودتهم بينهم في الآخرة، فينتفع كل واحد منهم بصاحبه، جعلنا الله وإياكم من الصنف الثاني. ونسأل الله أن يهب لأبنائنا الصلبة الصالحة، ويباعد عنهم قرناء السوء، ويهد شبابنا إلى ما فيه الخير والصلاح.

اللَّهُمَّ سَخِّرْ لأبنائنا الأصدقاء الصالحين، واجعلهم أعواناً على طاعتك، وجنبهم صُحبة من لا يخافك، واحفظهم من شرِّ أعمالهم.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، (سورة الفرقان: 74).
اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَأَمِّنْ رُوعَاتِنَا، وَكُفِّنَا مَا أَهَمَّنَا، وَقِنَا شَرَّ مَا نَخَافُ مِنْهُ، يَا أَرْحَمَ

الراحمين.

ربنا اغفر لنا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، ربنا إِنَّا دَعَوْنَاكَ بِإِحْلَاصٍ فَأَسْتَجِبْ لَنَا دُعَاءَنَا،

يا أرحم الراحمين.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90)، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (سورة
العنكبوت: 45). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

المحور السادس

فضل العلم

فتح مجمع القرآن بانتيسة

الحمد لله الذي جعل القرآن نوراً يهدي به قلوبنا ويشرح به صدورنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾، (سورة النساء: 174).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبداً لله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، (سورة البقرة: 281).

أيها المسلمون:

إن القرآن الكريم هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو الهادي إلى طريق الله المستقيم، وهو دستور حياة المسلمين ومنهج الله إليهم، به تحيا القلوب، وتسكن النفوس، وتستقيم الجوارح، وهو جمال الروح. من تمسك به نجا، فهو جبل الله الممدود من السماء إلى الأرض، وقد جعل الله عز وجل القرآن عصمة وهدى ورحمة وشفاء، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، (سورة الإسراء: 82)، فالقرآن يدعونا إلى الهدى والحق، ويظهر جمال نور القرآن حينما يخالط القلوب، فيغيّر ضلالها إلى هدى، وعصيانها إلى طاعة، حتى إن جمال نوره جعل الجن يستمعون إليه ثم يولّون إلى قومهم مندرين، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾، (سورة الجن: 1-2)، وبعد استماعهم لآيات القرآن الهادية إلى طريق الله المستقيم أُنذروا بها قومهم فقال الله تعالى عنهم: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم

مَنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ»، (سورة الأحقاف: 31).

عباد الله: إِنَّ الْقُرْآنَ يُحْيِي الْبُيُوتَ بِنُورِهِ وَيُطْرَدُ مِنْهَا الشَّيَاطِينُ بِقُدْسِيَّتِهِ وَجَلَالِهِ، فَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: «الْبَيْتُ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَخْرُجُ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ وَيَتَسَّعُ بِأَهْلِهِ وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ»⁽¹⁾. وَهُوَ دَاعٍ لِلْإِنْسَانِ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ حَتَّى يَكُونَ فِي مَأْمَنِ مِنَ الشَّرِّ وَيَهْدِيهِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾، (سورة الإسراء: 09)، فَهَذَا الْقُرْآنُ نُورٌ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ لَهُ قَبْسٌ مِنْ نُورِهِ فَلْيَحْرِصْ عَلَى قِرَائَتِهِ وَاتَّبَاعِ مَنْهَجِهِ، وَمَنْ حُرِمَ نُورَ الْقُرْآنِ فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾، (سورة النور: 40)، وَلَا بَدَّ أَنْ يَنْعَكَسَ نُورُ الْقُرْآنِ عَلَى حَيَاتِنَا فَتَتَعَامَلَ بِهِ فِي أَخْذِنَا وَعَطَائِنَا وَبَيْعِنَا وَشَرَائِنَا، وَجَمِيعِ أَحْوَالِنَا، فَإِذَا تَكَلَّمْنَا تَكَلَّمْنَا بِصَدَقٍ، وَإِذَا نَصَحْنَا نَصَحْنَا بِحِكْمَةٍ وَعِلْمٍ، وَإِذَا أَعْطَيْنَا أَعْطَيْنَا بِأَمَانَةٍ، وَإِذَا عَمَلْنَا عَمَلْنَا بِإِتْقَانٍ، وَإِذَا أَخَذْنَا أَخَذْنَا بِحَقٍّ، وَإِذَا اشْتَرَيْنَا وَبِعْنَا اشْتَرَيْنَا وَبِعْنَا بِلَيْنٍ وَرَحْمَةٍ فَنَكُونُ بِذَلِكَ مُقْتَدِينَ بِنَبِيِّنَا وَقُدُوتِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي وَصَفَتْهُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِقَوْلِهَا: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»⁽²⁾.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنْ مَنَا مِنْ يُقْبَلُ عَلَى الصُّحُفِ الْيَوْمِيَّةِ بِكُلِّ نَحْمٍ فَلَا يَتْرُكُ مِنْهَا صَفْحَةً أَوْ كَلِمَةً إِلَّا وَتَبَعَهَا، وَمَنَا مِنْ يَتَابِعُ الْأَخْبَارَ عِبْرَ مُخْتَلِفِ الْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ، وَمَنَا مِنْ يَتَفَرَّجُ عَلَى الْعَدِيدِ مِنْ مَبَارِيَاتِ كُرَةِ الْقَدَمِ دُونَ تَعَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَمَنْ فَتَيَاتِنَا وَشَابَاتِنَا مِنْ يَتَابِعْنَ الْحُلُقَاتِ ذَوَاتِ الْعَدَدِ مِنَ الْمَسْلَسَلَاتِ وَيَحْفَظْنَ أَسْمَاءَ الْمَائِعِينَ وَالْمَائِعَاتِ، لَكِنْ -وَيَا لِلْأَسَفِ- غَالِبًا مَا يَكُونُ

(1) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب فضائل القرآن، في البيت الذي يقرأ فيه القرآن، رقم: 30644.

(2) أحمد، المسند، الملحق المستدرک من مسند الأنصار، مسند الصديقة عائشة رضي الله عنها، رقم: 25813.

حظ هؤلاء جميعاً من كلام الله عز وجل يسير، وشبهه منعدم..

فيا ترى كم من الوقت يقضي معظمنا في قراءة متمعنة، أو تلاوة خاشعة لكلام الله؟ قد يكون الجواب لبعضنا فظيع، مما يستدعي مراجعة فعلية لأوقاتنا، وتخصيص زمن من يومنا في الفجر، أو الضحى، أو في الأصيل، أو بين المغرب والعشاء، لقضاء ساعات ممتعة مع قراءة متأنية للقرآن المبين، وترتيل فصيح لآياته البينات، ومحاولة إسقاط ما نتلوه على حياتنا اليومية، حتى نغير ما بأنفسنا، ونعالج خلجاتنا، ونصحح ما بنا من أمراض قلبية وليدة البخل بخلة مع رحمة الله تعالى المهداة إلى خلقه لتطمئن قلوبهم، وتسكن جوارحهم، وتهدأ روحهم.

فيا إخوة الإيمان يا من أخرجكم القرآن من الظلمات إلى النور، أقبلوا على تغذية قلوبكم بكتاب الله، وأمروا أهليكم بقراءته وتدبر معانيه، وشجعوا أبناءكم على حب القرآن، وحفزوهم بشتى أنواع التحفيز لحفظ قسط منه في صغرهم، حتى يترعرع في فؤادهم، ويؤتي أكله في ريعان شبابهم، ويهديهم إلى الخير والرضوان فيما تبقى من عمرهم. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، (سورة البقرة: 121).

فاللهم حبب كلامك إلى أفتدتنا، واجعله نبراساً نستنير به في ظلمات حياتنا، ومرشداً يعيننا على شكر نعمك في السراء والضراء، واللهم أعنا على تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، واجعلنا ممن يقرؤه فيقوده إلى جنات النعيم، وتقبل منا كل عمل صالح يقرّبنا إليك إنك على كل شيء قدير.

الخطبة الثانية

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد ألا إله إلا الله،
وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: أيها المؤمنون أدعو نفسي وإياكم إلى مزيد الإقبال على كتاب الله تلاوة
وحفظا، وتمعنا وتدبرا، وعملا وسلوكا، والتزاما وتسامحا، وتراحما وتشاورا، نريد أن نرى كتاب
الله في حياتنا، ونعيشه بأحاسيسنا وأرواحنا ليرقى بنا في الدنيا قبل الآخرة.

إخوة الإيمان:

لقد أدرك المسلمون قيمة الكتاب الذي أحكمت آياته من لدن حكيم خبير، فاعتنى
صحابه رسول الله ﷺ بتلقفه من فم من نزل عليه الروح الأمين، وحفظوه في صدورهم،
وسطروه في صحفهم وقراطيسهم، وتجلى بياؤه المؤثر، وأمثاله السامية، محركا لأعمالهم، وقوة
ضاربة في سيوفهم يجلون به الكفر والضلال، ويفتحون البلاد تلو البلاد لإشاعة نور الله في
الكون. ثم حرص من بعدهم على ضبط رسمه، والاعتناء بأدائه، واستخراج لآله، والاهتمام
بروعة أسلوبه، ودقة لفظه، فنشروه في الآفاق والأمصار. ثم إن لعلمائنا الإباضية والحمد لله
مشرقا ومغربا حظا وفيرا في الالتزام بأوامر كلام الله واجتناب نواهيه، وفي عرض ما حفظه
البشر من سنة رسول الله ﷺ على القرآن المحفوظ من لدن العزيز الحكيم، فسلمت عقيدتهم
من الأخطاء، وصفيت دواوينهم من جمع الصحيح والسقيم معا. ثم شهدت مدينتنا يسجن
في بداية هذا القرن حفظة بارعين في الضبط والتلقين كما أنزل على خير الأنام، ملزمين
الطالب في المحاضر الاستظهار بإتقان على ثلاثة أساتذة "لَفَقِيان" حتى يُضمن تلقيه
بالتواتر. ثم خلف من بعدهم غيورون على تحفيظ الذكر المبارك إلى الناشئة بتفان وإخلاص
رغم عسر الزمن وقلة الزاد المادي، لكن كانت رسالة التعليم لديهم أعلى من أن يسوموها
بخطام الدنيا. ثم يشاء الله أن يفتح على مدينتنا برجال عباقرة، أودع الله فيهم خبرة العلم،

ورجاحة التسيير والتنظيم، فأنشأوا مدارس عصرية، تريح الطالب، وتعين الأستاذ في تبليغ رسالته وتحسين مردوديته في الأداء، فرحم الله الساعين إلى الخير، والمنفقين مما أتاهاهم الله بسخاء، وجزى الجميع بخير الجزاء.

أيها المصلون ها نحن اليوم -والحمد لله- نشهد في جمعتنا المباركة هذه المصادفة ليوم 25 رجب 1433هـ، والموافق لـ 15 جوان 2012م فتح المجمع القرآني بانتياسة، وهو تاريخ مجيد سيبقى خالدا في ذاكرة أمتنا الطيبة، ونصر عزيز للدين والإيمان في ربوعنا، ولبنة أساسية في مسيرتنا الحضارية، فقد تأسس هذا المشروع على تقوى من الله ورضوان، وتطور من خلال الخبرة المكتسبة للعاملين في التربصات الصيفية منذ 1996، ومن تنقلهم بين أجنة المحسنين وقاعات الجابرية بأمرصيد، وتبلور كذلك من خلال التجارب الميدانية لإخواننا في القصور المجاورة، فالحمد لله على ما أنعم علينا من فضل عظيم، والحمد سرا وعلانية.

عباد الله:

اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْتَمِلُوا الْفَضَائِلَ مَا دُمْتُمْ فِي زَمَنِ الْإِمْهَالِ، واشكروا نعمته باستغلالها الأمثل، وحثوا أبناءكم على الانضمام إلى هذا التربص الصيفي، ورغبوهم على حفظ كتاب الله، حتى تحصل الفائدة المرجوة، ونجني الثمرة المرتقبة، ويخرج لنا جيل صالح في أخلاقه وسلوكه، نافع لوالديه، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، (سورة آل عمران: 101)، ومنسجم مع هياكل مجتمعه، معمر لمجالس الذكر وحلق التدريس، ومشارك في إمامة صلاة التراويح في رمضان بحفظ متقن، وتلاوة جيدة، وأداء محكم مسترسل، فما أقرب ذلك إذا خلص العمل، وصلحت النية، وتعاون الجميع إن شاء الله.

تيقنوا أيها الأولياء أن المراكز الصيفية للأبناء وبخاصة المهمة بكلام الله منجم للتكوين النفسي والاجتماعي للطفل، وبيئة خصبة لاكتشاف المواهب، ومرتع طيب للتفاعل الإيجابي

مع أقرانه وأصدقائه، وموطنٌ ترتسم فيه ملامح الإبداع والنجاح منذ الصغر.. واعلم أيها الولي الكريم أنك إذا حرمت ولدك من هذا الخير العميم لأسباب واهية، أو لأجل رفق متوهّم بحاله، فإن ابنك سيكون حسيبك يوم العرض، وسيحاججك ويلومك مع أنه المطالب بالراحة الصيفية، والراغب في السفر والاستجمام، أو هو مقنعك بضرورة العمل لأجل دربهات ينتفع بهن، أو يلبي بهن رغباته.

أيها القائمون على المجمع..

إنه أتى علينا حين ونحن نحسب أن المسؤولية بسيطة، وأن التجديد هين ومستساغ، لكن تبين أن الأمر في حاجة إلى جهد مضاعف، وعمل مضني، وأن تتبع المستجدات لا بد له من تخطيط محكم، ودراية فائقة بالعصر، ومع ذلك فإني جد متفائل بما أودع الله في خلقه من طاقات شبانية مبدعة، وما أعلمهم من حكمة مسترسلة، لذلك علينا بالسعي والتفكير، والتكوين والتأطير، والله ميسر من يتولى الأمر ويسعى للتحسين المستمر، بلا تلكؤ ولا ملل، فالله نسأل أن يفتح عليكم أبواب الحكمة والخير، ويجعلكم هداة مهتدين، وعاملين بجد ونشاط، متعاونين مع مؤسسات أخرى في الوادي وخارجه، ومنسقين مع كل ذي رأي سديد، وفكر راجح.

علينا أيها المسلمون أن نسهم مرة أخرى بكرم أموالنا، فنسعى لجعل هذه المؤسسة فضاءً متألقا دوماً، ومستقطبا لخير أساتذتنا، وخير المشرفين، ونجعلها تحوي أهم الوسائل التكنولوجية للإيضاح والمتابعة المركزة، ونصنع منها داراً عامرة لنستغلها صيفا وشتاء، بتنظيم الدورات التكوينية في مختلف مجالات الحياة، وتأطير الحلقات العلمية والإيمانية. وأملنا كبير في الله تعالى أن يفتح على أمتنا فنولي اهتماما مكافئاً لبناتنا، ونخصص لهن مثل هذا المشروع لرعايتهن في الصائفة، وتسهيل استظهار القرآن الكريم عليهن. فهذا واجبنا أيها المؤمنون مع

أنه ثقل مريء، ومسؤولية عظيمة لكن الله معين كل ساع إلى الخير، ومخفف كل عسير.
فكن أخي المسلم ممن يعين على نصر هذه المسالك الرشيدة، والنهج القويم، فتحمّد العاقبة، وتربح التجارة في الآخرة، وساهم في هذا المسيرة الخيرة، وأعن النخبة المباركة من المسؤولين برأيك وجهدك، ومالك وجاهلك، وابذل ما استطعت من إمكانياتك، فقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، (سورة العنكبوت: 69)، وقال أيضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ، لِيُؤَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾، (سورة فاطر: 29-30). جعلني الله وإياك من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا.

اللهم ذكرنا منه ما نسينا، وعلمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا. ونسأل الله العلي القدير بمَنه وكرمه أن يجعل القرآن لقلوبنا ضياءً، ولأسقامنا دواءً، ولذنوبنا مُمَحَّصًا، وعن النار مُخَلَّصًا، وأن يُلَبِّسَنَا به الخلل، وأن يُسَكِّنَنَا به الظُّلل، إنه سميع مجيب.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90)، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (سورة العنكبوت: 45). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

استغلال الإجازة الصيفية، والترغيب في العلم

الحمد لله رب العالمين، وليُّ الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، الحمد لله على نعمه الكثيرة، وعطائه الجزيل، وفضله العظيم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله، أفضل من هدى إلى الحق وإلى الطريق المستقيم.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واشكروه على وافر نعمه يزدكم، فمن سواه تشكرون، ومن سواه تذكرون، ومن سواه تتوبون إليه وتستغفرون، حتى يُرسل السماء عليكم مدرارا، ويزدكم قوة إلى قوتكم، ويمتدكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى، أليس هو القائل: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾، (سورة آل عمران: 144)، ويقول أيضا: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾، (سورة الزمر: 07).

لنشكر الله تعالى أن وفق مؤسساتنا التربوية إلى إنهاء الموسم الدراسي في أحسن الظروف، ونشكره على اغتنام أبنائنا من العلم النافع، ونحمده تعالى أن سخر لنا لحظات ممتعة عشناها مع تكريم الفائزين في حفلات آخر السنة لمختلف الأطوار التعليمية، واستمعنا إلى توصية باقي التلاميذ بمزيد اجتهاد في الموسم القادم إن شاء الله، وكل هذا تقديرا للعلم، واستجابة لحكمة الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، (سورة الزمر: 09)، وعملا بمدح الله أهل العلم: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، (سورة آل عمران: 18).

أيها الابن البار:

إن من تمام شكر الله تعالى على نعمه عليك أن تجعل إجازتك الصيفية للاستجمام وتحديد العزم، وليست تعطيلًا للتفكير، ومن هنا يستحسن أن تسمي أيام راحتك إجازة لا عطلة، لأنه لا يحق لك أن تعطل عقلك عن التفكير والتفكير ما دمت حيا، والخطاب القرآني مليء بالتوجيه إلى التفكير في ملكوت الله والتمعن في آياته العظيمة؛ ليلا ونهار، صيفا وشتاء، وفي هذا يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، (سورة آل عمران: 191).

ولتكن إجازتك أخي التلميذ بمقصد الراحة بعد التعب، والجزاء بعد الجهد، والوثبة للتحسن فيما يستقبل من الأيام إن شاء الله، لذلك ينبغي أن تضع هدفا مسطرا في إجازتك تسير على منواله، وتقضي أوقاتا للراحة الفكرية، وأخرى لإنجاز أعمال عضلية تكتسب منها مهارات حركية متنوعة.

وأنقص أخي في الله من التفرج على التلفزة والاشتغال بالألعاب الإلكترونية التي تقتل فيك الروح الجماعية، وتنقلك إلى العيش في فضاء خيالي افتراضي بعيد عن الواقع والحياة الحقيقية، وتُثمي فيك صفات العنف والشدة، وعادات التفسخ والانحلال من خلال أفلامها ورسومها المتحركة، فكن أخي المؤمن جلدا وتجنبها، وقلل منها تُرح ذهنك، وتريح أوقاتا طيبة في الاستجمام والهدوء إبان إجازتك الصيفية.

وتجنب أيها الولد الصالح ارتداء الألبسة العارية بدعوى الحرارة والسباحة، واعلم أن الرسول ﷺ أوصى ابن عمه عليا بن أبي طالب فقال له: «لا تُبرز فخذك، ولا تنظرنَّ إلى

فخذ حيًّا ولا ميتًّا»⁽¹⁾، وقال الرسول ﷺ أيضا: «إن الله عز وجل حيٌّ سيِّرٌ، يحب الحياةَ والستَرَ»⁽²⁾.

وأوصيك أيها الولي المحبُّ لفلذة كبده أن تخصص وقتنا لابنك لمدارسة القرآن والمطالعة المفيدة، والأجدر بك أن تسجله في التربص الصيفي لحفظ القرآن الكريم استكمالا لما حفظه من قبل، واستزادة في حفظ السور الجديدة وذلك تخفيفا للضغط المتوقع في الموسم الدراسي. ومن واجبنا جميعا أيها المسلمون أن نفكر بجد في تنظيم تربصات صيفية لفتياتنا حتى نُعينَهن على حفظ القرآن واستظهاره، وبخاصة وأنهن يتمتعن بقوة الحافظة والاهتمام الكثير بالعلم، ولتكن لنا القصورُ المجاورةُ ومدُنُ التلِ قدوةً ونبراسا في هذا السبيل.

أيها التلميذ الحاذق، اسع بجد أن تكشف مواهبك التي أودعها الله فيك، متيقنا أن الله موزع نعمه على خلقه جميعا، وأنه ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، (سورة البقرة: 105)، وفي حالة ما لم تنجح في دراستك رغم مثابرتك واهتمامك فلا تنطوي على نفسك، ولا تعش سلبيا في حياتك، فتغرق في نكسات نفسية وردود أفعال خاطئة، وربما تنتقم من الناجحين -وأخص بالذكر طلبة شهادة البكالوريا- فتقطع علاقتك بأصحابك الذين اقتسمت معهم أيام طفولتك وجزءاً من شبابك، أو ترتمي بين أحضان الجماعات الفاسدة، أو تسعى أن تجد ضالتك في إحدى التوجهات الفكرية والدينية وتعطي لهم ولاءك وعقلك إظهارا لقدراتك المعرفية والفكرية أمام الآخرين، لذلك أوصيك أخي في الله أن تكون إيجابيا مع نفسك وتتجنب الإخفاقات النفسية من خلال ما سأسرده عليك من حياة الصحابي الجليل زيدُ بنُ ثابت ض.

(1) أبو داود، السنن، كتاب الجنائز، باب في ستر الميت عند غسله، رقم: 3142.

(2) أبو داود، السنن، كتاب الحمام، باب النهي عن التعري، رقم: 4014.

إن الصحابي زيد بن ثابت ض عاش في المدينة يتيما، فلما هاجر إليها رسول الله ﷺ وأذن بالجهاد لغزوة بدر الكبرى، توجه الولد إلى الرسول ﷺ قائلا له: جُعلتُ فداك يا رسول الله، إئذن لي أن أكون معك، وأجاهد أعداء الله تحت رايتك. فنظر إليه رسول الله ﷺ نظرة إعجاب بإقدامه، لكنه لم يسمح له بالمشاركة لصغر سنه، وطيب خاطره.

عاد الولد باكيا وحزينا إلى أمه، فشق عليها الأمر ولم تشأ أن تتركه يستسلم لليأس والقنوط، فخيرت طاقة ابنها فألفته يتمتع بقوة الحافظة والذكاء، ومن ثم شرعت في تحفيظه القرآن الكريم، وبعد مدة يسيرة حفظ قسطا معتبرا، فبعثت به إلى الرسول ﷺ عن طريق أخواله وقالوا له: يا رسول الله، هذا غلام من بني النجار، يريد أن يقرأ عليك سورا من القرآن.. فتلاها زيد على مسمع رسول ﷺ، وأعجب به، ومن ذلك اليوم عزم أن يكلفه بمهمة عظيمة، ويقلده منصب كاتبٍ وحي كلام الله تعالى.

فاجعل أخي الطالب هذا الصحابي قدوتك في اكتشاف موهبتك، وسبيلا للثقة في نفسك للنجاح في أي ميدان كتبه الله عليك، واعلم أن الخسران سبيل الكسالى والعاجزين، وأن الهوان طريق المتسوفين والمتقاعسين، أما أنت فباذن الله ستنتجح في حياتك بإيمانك وثقتك في الله، وستنال الدرجات العلى بالجد في دراستك أو عملك أو في تكوينك المهني، فلا تستسلم مطلقا لليأس ووسوسة الشيطان.

اللهم إنا نحمدك ونشكرك، على ما أنزلت علينا من نعمك، واللهم وفقنا للتقوى والرضوان.

اللهم أعنا على ذكرك، وشُكرك، وحُسن عبادتك، وارزقنا شكرا يزيدنا في الإحسان، ويوفقنا إلى مزيد الامتنان، يا ذا الجلال والإكرام.

الخطبة الثانية

الحمد لله على فضله وإحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه،
والصلاة والسلام على قدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه الميامين.

إخوة الإيمان:

قيدوا نعم الله بذكرها، واستزيدوا منها بشكرها، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، (سورة إبراهيم: 07)، فشكروا النعم أماناً لها من الزوال.. وقيدوا لها من الفرار.. كما أن كفران النعم سبب في زوالها! ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، (سورة إبراهيم: 07).

أيها المتقون:

احتسبوا أجر عنائكم عند الله لما كابدتموه مع أولادكم للحصول العلمي في غضون السنة الدراسية عند الله، وادعوا الله أن يتقبل منكم المتابعة المستمرة لأوقات نومهم واستيقاظهم، ولحظات دخولهم إلى البيت وخروجهم منه، وأن يثيبكم بالحسنى على جهودكم المضنية في تحضير أبنائكم للامتحانات وحل فروضهم المنزلية، وجددوا نيتكم لله بكل إخلاص وتجرد، حتى لا تضعف جهودكم وتحسروا عناءكم، فحقاً لقد ثابرتم واجتهدتم أيما اجتهداد، وبخاصة الأمهات الطيبات، فلا تجعلوا حظكم من عنائكم السهر والتعب، والمشقة والأرق دون أن تنووا ذلك عبادةً لله، وقربة له ترجون بها ودّه وتدفعون بها الهلاك يوم القيامة.

وأوصيكم إخواني في الله أن تجعلوا طلب العلم ديدنكم في كل مراحل حياتكم، ولا تتوقفوا عن التحصيل والثقافة مادام لديكم بقية في العمر، لأن العلم لا يتوقف بمجرد الخروج من المدرسة، ولا يطوى بعد استكمال مرحلة معينة من الدراسة، لذلك ينبغي حضور الحلقات التعليمية، والمشاركة بفعالية في مختلف الدورات التدريبية التي تنظمها الجمعيات الفاعلة في البلدة حفظها الله ورعاها وتقبل منها أحسن الأعمال؛ سواء كانت دورات في

حفظ كلام الله وفهمه، أو للتفقه في دين الله، أو لتصحيح الصلاة، أو لتصحيح التلاوة وغيرها.. وينبغي على المثقفين الغيورين استحداث مراكز تعليمية في البلدة لتدريس اللغات المختلفة بداية باللغة العربية ثم اللغات الأجنبية، والتدريب على الإعلام الآلي، والتأهيل الاقتصادي، والتسيير الإداري والقيادي وغيرها مما فتح الله على خلقه من علمه الذي لا ينضب، ولنا في سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام القدوة الحسنة في ذلك، حيث تحمل سيدنا موسى عليه السلام مع سمو قدره ورفعة مكانته عناء السفر ومشقته في رحلة طويلة ليتعلم من أستاذه، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾، (سورة الكهف: 60)، فما بالنا نحن الضعفاء المحاويج نُفِرط في طلب العلم، ولا نسلك السبل الموصلة إليه بعد انقطاع أحدنا عن الدراسة لسبب أو لآخر.

فيا أيتها الأمة الواعدة.. وأيتها الشاب الرائد..

هكذا يطلب العلم، وهذا طريقه الصحيح، فلا تتوقف عن الاستزادة منه، ولا تبخل على نفسك بالمطالعات الفردية والجماعية، وبحضور الحلقات العلمية والمنتديات التدريبية، وخصص جزء من وقتك الثمين لهذا، ولا تبخل على نفسك وعقلك بمالك في سبيل بلوغ مراتب العلماء، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، (سورة فاطر: 28).

اللهم ارزقنا الشكر على الطاعات، والصدق في الدعوات، وأعنا على الخير وقضاء الحاجات.

يا واهب النعم، هب لنا ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، واهد شبابنا لأن يلتزموا شرعك، ويستغنوا بحلالك عن حرامك، ووفقهم إلى جنتك ورضوانك.

اللهم نجح طلبتنا وطالباتنا في دراستهم، ووفقهم للعلم النافع، والعمل المتقبل، والطاعة

الخالصة لوجهك الكريم.

اللهم إنّنا نعوذ بجلالك وقدرتك أن تكشف ضرّنا، وتستتر عيينا، وتوحّد شملنا، وتتوب علينا إنّك أنت التواب الرحيم.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، وأعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشرك والمشركين، ودمّر أعداء الدين، وأدّم علينا نعمة الأمن والإيمان، والسلامة والإسلام.

والسلام عليكم

قوموا إلى الصلاة يرحمكم الله

13 جوان 2013

النجاح في البكالوريا، واستقبال الجامعة

الحمد لله رب العالمين، من لا يعجزه كثرة سؤال السائلين، سبحانه إذا سئل أعطى وأجاب، وإذا طلب أجزل بغير حساب. والحمد لله الذي هدى قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وألزم قلوب الخائفين الوجل والإشفاق. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد: أيها المؤمنون:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله في السر والعلن، وأدعوكم أن نلح في الدعاء لطلب المغفرة من ذنوبنا، وإبعاد الشيطان عن أنفسنا. وأسأله تعالى أن يوفقنا إلى امتثال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، (سورة آل عمران: 102)، وقوله أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، (سورة الأحزاب: 70-71).

أيها الناس:

كلُّ منا يصبو إلى النجاح ويسعى إلى الفلاح، والكل يبتغي التوفيق ويسعى إلى الريح، ومعظمنا يرجو تحقيق آماله وبلوغ أمانيه، فما هي صور النجاح وما أشكاله؟ ومتى نرتقي ونبلغ علاه؟

يتفق كثير من الحكماء على أن النجاح الذي تشتاق إليه النفوس، والفوز الذي تشرب له القلوب، هو الإخلاص لله سبحانه وتعالى واتقاء غضبه، فلا نجاح ولا فوز يعدله ويضاهيه، وفي هذا الشأن يقول رب العزة: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، (سورة النور: 52).

فالنجاح الحقيقي للإنسان يظهر بعد أن يفارق العبد هذه الحياة الدنيا فيجد نفسه وقد

ثَبَّتَهُ اللهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، وَخَتَمَ لَهُ بِخَاتَمَةِ حَسَنَةٍ، وَ أَمَاتَهُ عَلَى كَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَوْلًا وَفِعْلًا، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾، (سورة إبراهيم: 27).

أبيها الناجحون:

ليس بالضرورة أن يرتبط النجاح بالشهرة وذيوع الصيت، ولا بكثرة المال والأتباع، وإنما النجاح ثقة الإنسان بنفسه وربه، والرضا بما آتاه الله تعالى، والفوز في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، (سورة يونس: 14)، ومن هنا يظهر أن للنجاح صوراً متعددة ومتشعبة؛ منها استغلال المرء لمواهبه، واستفادته من الفرص المتاحة له، وتغلبه على ما يصادفه من متاعب وعقبات، ومن النجاح كذلك أن يتعلم المرء مشاورة أهله وأقربائه، وإرجاع إخوانه وزملائه فيستفيد من آرائهم ويأخذ من تجاربهم، ومن أشكال النجاح أيضاً تمكن الإنسان من اختراع كل مفيد، وابتكار كل جديد، وأداء الأعمال في وقتها على الوجه الصحيح.

إخوتي في الإيمان:

إن النجاح نتيجة محتومة لجهود محمودة، وهدية مرتقبة لتضحيات مشهودة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا. وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، (سورة التوبة: 72)، وبداية النجاح الإيمان الصحيح برب النجاح، والاستقامة الصادقة في القول والفعل، والحصول على المراتب العالية، مما يرفع قدر صاحبه بين الناس، ويصحح نظرته للحياة، يقول رب العزة: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، (سورة المجادلة: 11). وبهذا الشأن يجمل بنا أن نقدم تهنئة مفعمة بالسرور والحبور لكل أبنائنا الناجحين في مختلف أطوار

التعليم، ونخص بالذكر الفائزين في الشهادات التعليمية؛ الابتدائي، والمتوسط، والبكالوريا، فنبارك لهم ولوالديهم النجاح، والعاقبة لمزيد من التألق والتفوق بإذن الله في مختلف مراحل الحياة إلى غاية أن يلقوا ربهم وهو راض عنهم يوم القيامة.

أيها المصلون:

لا بد أن نحمد الله كثيرا على نجاح عدد معتبر من أبنائنا في شهادة البكالوريا، هذه المسابقة التي كادت أن تُجهض فعاليتها وتطمس، إلا أنه لا يزال لها هيبه في الأوساط التربوية والعائلية؛ فهي تعتبر لدى الطلبة العقبة الكؤود لبلوغ عرش الجامعة، وتعد عند العقلاء مؤشرا للمستقبل المضيء.. إذ كلما ارتفع عدد الناجحين ارتفع مستوى العلم، وغاب الجهل، وسادت العقلانية، واضمحت الارتجالية وسوء التسيير. فندعو الله أن يديم نعمه علينا، ونأمل من طلبتنا الفائزين أن يقيدوا نعم الله بذكرها، ويستزيدوا منها بشكرها، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، (سورة إبراهيم: 07).

أيها الآباء والمسؤولون:

من المهم أن نسأل الأسئلة التالية: ما مصير من لم يسعفه الظرف للفوز في هذا الموسم رغم المثابرة والحرص على النجاح؟ وهل النجاح متعلق بمن تحصل على معدل دراسي يفوق العشرة؟ وهل الفشل لصيق بمن لم يشاهد اسمه في قائمة الفائزين وخسر الانتقال إلى المرحلة الموالية كالجامة مثلا؟

إن صياغة جواب مقنع للأسئلة السابقة يتطلب الاستعانة بما أورده بعض المهتمين بهذا الموضوع، حيث يعرفون النجاح بأنه القدرة على تحقيق الأهداف المرسومة في الذهن، ويشرحونه بأنه إدارة المخططات المسطرة، وعليه فالناجح من الأفراد أو المجتمعات هو الذي يرسم طريق مساره، ويفكر في مخطط عمله ثم يسأل نفسه بعد مدة زمنية، هل حققت بغيتي

عن طريق جهودي ومؤسساتي؟ وهل وصلت إلى النتيجة المتوقعة بعد الجهد والمثابرة في العمل والأداء؟ وبالمقابل فإنه لا يُعد ناجحا من تحصل على نتيجة دون أن يخطط لها ويجتهد في رسم معالمها، ولا يدخل ضمن زمرة الفائزين من حقق نتيجةً بسيطة في حين أن له قدراتٍ ووسائلَ تؤهله لتبوء المراتب المرموقة والنتائج الباهرة.. مثله كمثل بعض التجار الذين يديرون محلا واحدا ووحيداً، في حين يفترض منهم حسب إمكاناتهم المادية والتسييرية أن يفتحوا محلات عديدة، وينوعوا مصادر عملهم بين التجزئة والجملة والاستيراد، بينما نجدهم في الواقع لا يفكرون في الارتقاء بحركاتهم، ولا يسعون إلى فتح فروع متعددة لنشاطهم، ولا يخططون لاستقطاب أكبر عدد ممكن من اليد العاملة، ولا يعملون لأجل تقديم مساعدات بليغة إلى مؤسساتهم الاجتماعية عن طريق التبرعات والهبات. ونفس الأمر يقال بالنسبة للطلبة الفائزين في مسابقة ما، ويتمتعون بقدرات عقلية فائقة بشهادة أساتذتهم لكنهم كانوا مستهترين وغير حريصين على التحصيل الدراسي الكافي، وكانوا يقتنعون بالمعدلات البسيطة عوض الفوز بالدرجات المشرفة والمعدلات الراقية. فنقول لهؤلاء جميعاً، إن النجاح هو الاستغلال الأمثل لقدراتكم، وإن النجاح هو تحقيق مخططاتكم المرسومة في أجل معين وليس مجرد نيل درجة لا تعكس نعمة الله عليكم، ولا تتناسب مع مؤهلاتكم وقدراتكم.

ونهيّب بشبابنا الذين آثروا عدم خوض غمار البكالوريا مرة أخرى أن يبحثوا بإلحاح عن مقعد بيداغوجي في مراكز التكوين المهني أو يكملوا دراستهم في بعض المؤسسات الخاصة، ليتحصلوا على شهادة التقني السامي في تخصصهم وغيرها، ويكتسبوا معارف تؤهلهم لخوض معترك الحياة بكل ثقة ونجاح إن شاء الله.

أيها الصالحون:

أرى من الضروري أن نبين أن الكل يمكن أن يبلغ النجاح إذا اتكلوا على الله،

وصدّقت نيّتهم، واتخذوا الأسباب المؤدية للفوز دون توان ولا كسل، وصاروا يفكرون كالناجحين، ويؤمنون بقدراتهم على مواجهة المعوقات والمشباط، ويتجنبون كل وسوسة من التفكير الإنسان الفاشل الذي لا يثق في نفسه ولا في قدراته، والذي تكسره أول عقبة صغيرة تقف في طريقه، وإنما على المؤمن أن يُغير تفكيره، ويعتقد أنه قادر على تحقيق أهدافه، وعليه أن يجعل تفكيره وإيمانه يعملان لصالحه ولا يدعمهما يعملان ضده، ولا ينبغي أن يستسلم للخوف والتردد، ولا يترك الهواجس النفسية تطغى على تصوراته، ولذلك عليك أيها المسلم أن تتخلى نهائياً عن بعض المقولات السلبية، مثل: عمري أصبح لا يسمح لي بالمنافسة، أو ليس عندي الحظ للفوز، أو لا أملك إمكانيات المغامرة، أو الجو العام لا يساعدني على العمل، أو ظروف صعبة وإمكانياتي محدودة، فكل هذا تشاؤم مقيت، وتخوف عارض.. فحاول أخي الكريم الحاذق أن تقاومه بثقتك في الله، وتتخلى عنه باصطحابك للتفاؤل الدائم، وتتجنبه بإصرارك على الفوز في كل حين، وعدم تأجيل عمل اليوم إلى الغد.. وبهذه المفاهيم الإيمانية، والسلوكات الإيجابية سيأتي يوم بإذن الله تبلغ فيه مراتب النجاح، ويفتح الله عليك من طرق الفلاح، وأليس هو القائل: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، (سورة فاطر: 02).

وأختم كلامي بهذه الحكمة الظريفة: جلس اثنان في غرفة الضيافة، فسأل أحدهم زميله، ما هي أسباب النجاح؟ فقال له الثاني إن الجواب موجود داخل هذه الغرفة:

السقف يقول: الطموح العالي

النافذة تقول: التأمل في الغد

الساعة تقول: الوقت الثمين

المرايا تقول: ابدأ بنفسك

الباب يقول: ادفع بقوة

أما الأرض فتقول: ضع أمنيته في السجود، فإن الله لن يردك خائباً.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وفقهاً في دينك يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم افتح لنا من خزائن رحمتك وتوفيقك يا خير الفاتحين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي لا تَنقُضي نعمه، ولا تُحصى على مر الدهور آلاؤه. نحمده تبارك وتعالى حمدَ القانع الشكور. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، رفع الناس بعضهم فوق بعض درجات ليلوهم أيهم أحسن عملاً.

أما بعد، أيها الأولياء الصالحون:

من اللائق أن نلج في خطبتنا هذه إلى أغوار الجامعة، وننقل بعض ما يهم الطالب الجامعي الجديد بالخصوص عن هذه الحياة، ونعرّف الأولياء بهذا الوسط لتسهيل عليهم متابعة فلذات أكبادهم، ويسايروا تطلعات أبنائهم، ويدعون لهم بالهداية والصلاح.

أيها الطالب الذكي:

- 1- تعتبر الحياة الجامعية من أمتع مراحل حياة المرء، فلا تجعلها تذهب من بين يديك دون أن تستغلها لتحقيق أكبر قدر من المكاسب والعلاقات الإيجابية، والتجارب الناجحة.
- 2- يعد الانتقال من المرحلة الثانوية إلى الجامعية عملية شاقة ومخيفة في الوقت ذاته، ذلك أن الدراسة الثانوية تعتمد على الاتكالية على الأستاذ في تقديم المعلومة الجاهزة، بينما التعليم الجامعي يقوم على البحث الذاتي عن المعلومة، والزيارة الدائمة للمكتبات، والمراجعة المستمرة للمقالات الجديدة، ولذلك فإن الجامعة أساسها العمق والمنهجية، ومعتمدها التحليل الجيد للأفكار، وميزتها اكتساب مهارة تفكيك النصوص ثم تركيبها، وهذا يتناسب كلياً مع مفهوم البحث الذي يعني العمق، وهذا ما أورده الله تعالى في سورة المائدة عن كلمة البحث فقال في قصة قاييل وهابيل: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾، (سورة المائدة: 31)، فالبحث هنا بمعنى الحفر، والبحث في العلم يعني سبر أغوار أمهات المصادر والمراجع، وإجراء التجارب دون كل ولا ملل.

- 3- لا بد أيها الأخ الكريم من المصارحة مع النفس، وطرح مثل هذا التساؤل: ما هو

هديني من دخولي إلى الجامعة؟

- أهو حبُّ البحث والاختراع والاكتشاف والتأليف بكل جرأة وتمكن؟
- أم هو الدراسة بغية الحصول على الشهادة بأقل الجهود وأبسط النتائج، رجاء الحصول على وظيف قار؟

- أم هي الرغبة في التحرر من القيود المفروضة، والدخول في عالم حر يسمح بالاختلاط بالفتيات وإقامة علاقات معهن؟ ورغم أن الأخيرة لا زالت نادرة والحمد لله، إلا أنه لا بد من التنبيه إلى المنزقات والمستهترات التي يمكن أن تُدمر ما بناه المرء عبر سنين طويلة، وتُضيّع آمال الأمة فيه. يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا، يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا، أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾، (سورة النساء: 119-121).

4- من المسائل الجوهرية في الجامعة حسنُ إدارة الوقت وبخاصة في النظام الجديد lmd، ذلك أن بعض التخصصات تقل فيها الدراسة النظامية، فضلاً عن الاستغلال السيء لقانون عدم إلزامية الحضور في المحاضرات فينتج عن ذلك وفرة في الوقت، وفراغ رهيب لدى الطالب، يؤدي إلى التسويف في أداء الواجبات، وقد يكون سبباً لضياع الطالب وهلاكه.. ولذلك نهي بك أيها الطالب النجيب أن تستغل أوقات فراغك لعقد تكوينات متعددة مكتملة لتخصصك، أو متممة لمعارفك اللغوية والشرعية، وأن تنشط بفعالية في جمعيتك "جمعية الجامعيين اليسجنيين"، كما يحسن بك أن تنضم إلى أقسام حفظ القرآن الكريم، أو تسهم في إثراء المجتمع بالتدريس المسائي في المؤسسات الحرة، أو تتولى مسؤوليات تسييرية في مختلف المشاريع الخيرية.

5- حاول أن تكتسب ملكةً فكرية مستقلة، تُنميها بالمطالعة الفكرية المكثفة، وتثريها

بالنقاش العلمي المثمر، وتبلورها بحضور الندوات العلمية ومناقشات التخرج، فتتجنب بذلك أخي الطالب الوقوع في الاستيلاّب الفكري، والسعي وراء السراب من مختلف التيارات الداعية إلى استقطاب الشباب.

6- احترز من الاغترار بالواقع العام للجامعة المتسم بالفوضى في التنظيم مقارنة بالتعليم الثانوي، فتسجل على نفسك الغيابات المتكررة والتي قد تسبب لك الإقصاء عن الدراسة لسنة كاملة، وتضيع فرص مواصلة الدراسة فيما بعد التدرج.

وفي الأخير ندعو الله لك بالتوفيق والنجاح في مشوارك الجامعي، ونسأل الله أن يتقبل من والديك اللذين أنشأك على الطهر والعفاف، ونرجو من الله العليّ القدير أن يحفظك من كل سوء ويرفع شأنك في العالين، وندعوه بإخلاص أن يُفرحك بالتحاق ببقية إخوانك بالجامعة في الموسم القادم إن شاء الله ممن كنتم تتسامرون معا وتراجعون سويا في البكالوريا، وإن غدا لنظيره قريب.

اللهم نسألك أن تهدي شبابنا للخير والرضوان، وتأخذ بأيدهم إلى الخير والصلاح، وتملأ قلوبهم نوراً وهدى. اللهم اجعلهم قادة صالحين، ورجالا مسؤولين يتحملون أعباء أمتهم بعد حين.

ربنا آتهم من لدنك رحمة وهيء لهم من أمرهم رشداً، واجعلهم للمتقين إماما.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعِفَافَ وَالْغِنَى، اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ صُفُوفَهُمْ، واجمع كلمتهم على الحق، واكسر شوكة الظالمين، واكتب السَّلامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللهم أمن في أوطاننا وباعد عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن يا أرحم الراحمين.

ملاحظة: إخواني أصحاب السيارات: رجاء لا تنسوا أن تحملوا معكم الراجلين، وتجنبوهم حر الشمس، سواء كانوا من أهل بلدتنا أو من الأفارقة، لعله يكون وقاية لنا من حر يوم القيامة، والسلام عليكم.

المحور السابع

العقيدة، والمعاملات

الجنة والنار

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه على ما أنعم علينا من نعمة الإسلام، وأن هدانا للإيمان وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الدارين، وجعل أولاهما للعمل والإعداد، والثانية للجزاء والمكافأة، فقال: في محكم تنزيله: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، (سورة آل عمران: 185).

وأشهد أن حبيبنا محمداً عبداً لله ورسوله، الناصح الأمين لأمره، ومبشر المتقين بدار الخلد والنعيم المقيم، ومنذر الكافرين بالعذاب الشديد والنار الحميم، وعلى آله وأصحابه وعلى سائر من اقتفى أثره واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.. أيها المؤمنون:

إن الله أعد للمؤمنين الصالحين الجنة فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ، وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾، (سورة الحجر: 45-48). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، اقرأوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»، (سورة السجدة: 17) «⁽¹⁾.

عباد الله:

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، رقم: 4779.

قد يظن البعض أن الحديث عن الجنة أمرٌ تقليدي مكرر، لا فائدة فيه كبيرة، وتسأله النفوس، جراء ما يعيشه المستمع لنعيم الجنة من تفاؤل مفرط، وأحلام وردية، وقد تكون مضحكة، وغير متصورة في الذهن. ولأجل ما يشهده الحديث عن النار من الخوف والتشاؤم في النفس، ويجعل الإنسان كئيها حزينا، لكن الله عليم بما يصلح للإنسان في الدنيا والآخرة فمأ كتابه الكريم بآيات بينات عن الجنة والنار، واستفاض رسوله ﷺ في وصف نعيم الجنة، وأهوال نار الجحيم في أحاديث كثيرة لأجل تحفيز النفس على الشوق إلى النعيم الخالد، وتبسيطها عن الشهوات واتباع الهوى والشیطان، فبذلك يعيش الإنسان بين الخوف والرجاء، وبين الأمل والألم، فتكون حياته متوازنة، ومليئة بالخيرات، ومجتنباً للمعاصي والآثام.

فيا أيها الأحبة المؤمنون:

ورد في وصف الجنة عن أبا سعيد الخدري ض أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يُنَادِي مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا»⁽¹⁾.

فأهل الجنة يدخلونها بوجوه تتألاً نورا وضياء، ويلبسونها جماعات حسب درجاتهم، فعن أبي هريرة ض أن رسول الله ﷺ قال: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً»⁽²⁾. ويقول جل وعلا في محكم تنزيله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾، (سورة الزمر: 73).

ونعيم الجنة يفوق الوصف، ويقصُر دونه الخيال، فهل عرفت أخي المسلم الجنة؟! وهل

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة، رقم: 2837.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم: 3327.

سعت أن تستذكر سعادة دار المقامة، وتتلذذ أوصاف الفردوس، وتحلم بعيش رغد في جنات النعيم، فيطاف عليك بصحاف من ذهب، وأنت جالس في أرائك من سندس، أمام مناظر طبيعية خلابة، تتنعم فيها بلا بأس ولا شقاء، ولا أحزان ولا بكاء.. لا تنقضي لذاتها ولا تنتهي مسراتها.. كل ما فيها يُذهل العقل، ويسحر الفكر.. ويسكر الرشد.. ويصرخ القلب..

وجاء في وصفها أيضا: أن أنس بن مالك ض قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ، وَاقْرَأُوا إِنَّ شِئْتُمْ ﴿وَوَظِلٌّ مِّمْدُودٌ﴾»، (سورة الواقعة: 30)»⁽¹⁾.

وفي حديث أبي هريرة ض أن النبي ﷺ قَالَ: «الْجَنَّةُ بِنَاوُهَا لَبَنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَلَبَنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَلَأُهَا [الطين بين لبنتين، السيماء] الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ [ذو الرائحة القوية]، وَحَصَبَاؤُهَا اللَّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَثَرْبَتُهَا الرَّعْفَرَانُ، مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ»⁽²⁾.

وللجنة أبواب يدخلها الملائكة والمؤمنون، يقول تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَتِحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ، مُتَكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ، وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ، هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾، (سورة ص: 50-53).

إن الله يريد منا أن نتأمل هذا الخير العظيم، ونعيش فرحة تذكرها في الدنيا، فنتخيل الفضل الكبير، والغرفات الآمنة التي تنال بالإيمان والعمل الصالح، والفاكهة والنخل والرومان، والعيون المتدفقة من الشلالات، ونتصور حياة بلا تعب ولا إرهاق، وبدون مرض

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: 3252.

(2) الترمذي، السنن، كتاب صفة الجنة، باب صفة الجنة ونعيمها، رقم: 2526.

و لا ألم، إنها حياة اللذة جزاء بما صبرتم، وحياة المتعة لأجل ما منعتم أنفسكم من الحرام، وهي ثواب الإيمان بالغيب، وجزاء الاعتراف بعظمة رب الجلال والإكرام، والاستجابة لأوامره ونواهيته، واليقين بحسابه وجزائه يوم العرض الأكبر.

عباد الله:

من أسباب دخول الجنة المسارعة في الخيرات والمسابقة في الطاعات طمعاً في دخول جنات الرحمن، يقول تعالى: ﴿سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، (سورة آل عمران: 133)، فالمؤمن مطالب بأن يسارع في الخير ويعمل الصالحات بكل ما أوتي من عزم وطاقة وحيوية.. لذلك لا تتوانى أخي المسلم في أي خير تراه أمامك، مهما عظم أو صغر، وفي أي إطار كان، فردياً أو جماعياً، ومنظماً من قبل جمعية رسمية أو هيئة عرفية، كان ذلك بين أفراد عائلتك وذويك، أو مع المسلمين والناس أجمعين. فالجنة **أخي الكيس** لا تُنال بغير القيام بالخيرات والمبرات، وإصلاح ذات البين، وكفالة اليتيم يقول ﷺ: «من كفل يتيماً كنت أنا وهو في الجنة كهاتين»⁽¹⁾، والسعي على الأرملة والمسكين، والإنفاق في سبيل الله سرا وعلانية، والتسبيح لله العظيم، والتمكين لدين الله في الأرض، وإعلاء كلمة الله بشتى الطرق والوسائل، وتشجيع العلم وأهله، وتأسيس المخابر العلمية التي تكتشف الجديد بمقصد التأمل في آلاء الله، وشهود الجمعات، والسجود الطويل لرب العزة باكياً عن ذنوبك، وراجياً المغفرة والرحمة من اللطيف السميع، وذكر الله أثناء الليل وأطراف النهار، وتلاوة كتابه الكريم، وإقامة الصلوات في المساجد، وبخاصة في الصلوات التي عزف عنها الناس لأجل مشاغلهم وأمور دنياهم، من مثل صلاة الظهر والعصر التي زهد فيها الكثيرون، فتراهم يمرون على المسجد والمسجدين رجالاً وركباناً في

(1) الطبراني، المعجم الكبير، باب العين، أحاديث عبد الله بن العباس، رقم: 11816.

دراجاتهم وسياراتهم، وبيوت الرحمن شبه فارغة ممن يطلب ما في يد ملك الملوك، يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾، (سورة فاطر: 32-35).

فاستذكر أخي المسلم الجنة في كل حين، فإنها خلقت لأمثالك من الطيبين، واسأل الله تعالى الفردوس الأعلى ولا تبغى غير ذلك سبيلا، وادعوه أن يحشروني وإياك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وسبحانه الذي يؤتي ملكه من يشاء، وينزعه عمن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين.

إخوة الإيمان:

رغم ما في الجنة من فضل عظيم، وخير كثير، وما فيها من رحمة ونعيم فإنه يُمنع عنها أقوام كثيرون بالكلية فلا يدخلونها أبداً، وهؤلاء والعياذ بالله هم أهل الكفر والإشراك قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾، (سورة المائدة: 72)، وهم العصاة المتمادين في غيهم، الراغبين عن التوبة، والندم عن جرمهم، يقول الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، (سورة الصافات: 35)، وإنهم الذين أخبرنا عنهم نبينا محمد ﷺ فقال: «لا يدخل الجنة عاقٌّ لوالديه»⁽¹⁾، وقال: «لا يدخل الجنة مدمنٌ خمر»⁽²⁾، وقال أيضاً: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»⁽³⁾، وقال كذلك: «لا يدخل الجنة قاطعٌ رحم»⁽⁴⁾... فأهل النار هم الذين يتسوفون عن التوبة، وهم الذين لا يوفقون إلى مقاومة نفسيتهم والتخلي عن وسوسة الشيطان، ووصلوا إلى درجة لا يقدرّون عن الفك عن المعصية مطلقاً، ولا يستطيعون الإقلاع عن شهواتهم، ويأتون معصيتهم في كل حين، وفي كل ناد، ويشجعهم على تماديهم وعصيانهم إغراء الشيطان لهم بأنهم مسلمون يؤدون بعض الطاعات الرتيبة، من مثل الصلاة التي لا يخشعون فيها إلا قليلاً، أو

(1) النسائي، السنن، كتاب العتق، باب ما ذكر في ولد الزنا، رقم: 4894.

(2) المصدر نفسه.

(3) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار، رقم: 46.

(4) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم: 2556.

لكفهم عن الأكل والشرب في نهار رمضان، ثم هم يعتقدون أن الله سينجيهم لأنه غفور رحيم، ويتصورون أن الله سيحاييهم يوم القيامة لأنهم قدموا بعض ما لهم في الخير، وفي هؤلاء يقول جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ. وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ، أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، (سورة آل عمران: 135-136)، فشرط قبول الأعمال مقرون بعدم الإصرار على المعصية، وبالكف عن الذنب المتكرر، والتحكم في النفس، وضبط الغريزة، وبعدم الاستخفاف بغضب الله وسخطه.

أيها المؤمنون الأعزاء: إن مصير الشقي موصوف في العشرات من الآيات بما يدخل الرعب في قلوب المجرمين، وبما يخيف كل متكبر جبار أثيم ليرتدع عما هو فيه، ويتوقف عن عصيانه وغفلته، ويعلم أن الأمر غير هين، وليس بالهزل، فقد ذكر الله وقود النار فقال: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، (سورة البقرة: 24)، وقال عن نيرانها المتأججة التي لا تشبع: ﴿يَوْمَ يَقُولُ لِحَبَّئِهِمْ هَلْ أَمْتَلَأْتُ وَقُودًا هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾، (سورة ق: 30)، وحين ترى المجرمين أو يلقي فيها الكفار والعصاة من بعيد تغيط وتفور: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾، (سورة الفرقان: 12).

أما طعامهم والعياذ بالله فإن له شبه بالجير، فهو يغلي في البطون غليان الماء، فقال: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ، طَعَامُ الْآثِمِ، كَالْمُهْلِ تَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾، (سورة الدخان: 43-46)، وفي حديث عن عبد الله بن عباس ض، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟»⁽¹⁾.

(1) الترمذي، السنن، كتاب صفة جهنم، باب صفة شراب أهل النار، رقم: 2585.

أما شرايهم فهو ماء ثخن حار كأنه النحاس المذاب بحيث إذا أدناه أحدهم من فمه ليشر به شوت حرارته جلد وجهه، ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِيسَ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾، (سورة الكهف: 29)، وقال أيضا: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ، يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾، (سورة الحج: 19-20)، وقال: ﴿سُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾، (سورة محمد: 15).

وأشار الله إلى وسائل التعذيب حيث يضربون بسياط من حديد، فيودوا أهل النار الخروج، لكن خزنة جهنم يردونهم إليها بعنف، فقال: ﴿وَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، (سورة الحج: 21-22).

ولنتيقن إخوة المصلين أن هذا العذاب يقيني، ومحقق في وجه الكفار والمشركين دون أي ريبة، وأنه مكتوب على كل عاص ربه بمعصية كبيرة، أو بأي ذنب تهادى عليه، وألفه، واعتاد عليه، ولا يجد أي فضاة ونكران في قلبه، ولنستذكر أيها الصالحون أن هذا العذاب أبدي لا ينفك عن أهله أبدا، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ، وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ، وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُتِبْتُمْ﴾، (سورة الزخرف: 74-77)، ويقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾، (سورة الجن: 23).

فيا أيها المؤمنون:

لنرحم أنفسنا مما قال الله وقوله الحق، ونبتعد عن إغواء الشيطان الذي يخذل متبعيه في الدنيا، وسيضحك عليهم في الآخرة ويقول لهم كما أعلمنا ربنا عنه: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، (سورة إبراهيم: 22)، وعلينا أن

نتأمل ونفرق بين النعيم الدائم في الجنة واللذة العاجلة في الحياة الدنيا، وأن نتفكر في المصير الشديد عقب كل استمتاع بمعصية مهما صغرت وكبرت، ولنتيقن أننا لن نقدر على نار الدنيا، فكيف بنار محيطة من كل جانب أعدها الله عذابا ونكالا للكفار والمجرمين والفساق والمنافقين، ولنراجع أنفسنا ونقوب إلى الله خاشعين باكين قبل يوم الحسرة: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، (سورة مريم: 39)، وندعو الله بكل حزم وصدق حتى لا يتحقق فينا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ نُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، (سورة النساء: 14).

اللهم إِنَّا نعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له السماوات وأشرقت له الظلمات أن نكون في عداد الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

اللهم إِنَّا نسألك أن تجعلنا من عبادك الخائفين في الدنيا الآمنين في الآخرة، ونسألك السلامة من كل إثم، والغنيمة من كل برٍّ، يا برُّ يا رحيم.

رَبَّنَا إِنَّا عِبَادُكَ لَيْسَ لَنَا إِلَّا جَوَارُكَ، فاغفر لنا وارحمنا بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ وَعَفْوِكَ يَا عَزِيزَ يَا غَفَّارَ. اللهم إِنَّا نسألك الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل، اللهم كما جمعتنا في هذا المسجد العامر فاجمعنا برحمتك في دار الخلد يا ذا الجلال والإكرام.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90)، ﴿وَلَذِكُرِ اللَّهَ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (سورة العنكبوت: 45). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

اشكروا الله يفتنا

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه،
الحمد لله على نعمه الكثيرة، وعطائه الجزيل، وفضله العميم،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الشكور الحليم.
وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله، خير من شكر الله تعالى على نعمه، القائل: «أفلا
أكون عبداً شكوراً»⁽¹⁾.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واشكروه على وافر نعمه يزدكم، فمن سواه تشكرون، ومن سواه
تذكرون، ومن سواه تتوبون إليه وتستغفرون، حتى يرسل السماء عليكم مدراراً، ويزدكم قوة
إلى قوتكم، ويمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى، يقول الله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ﴾، (سورة آل عمران: 144)، ويقول أيضاً: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾، (سورة الزمر:
07).

أيها المتقون:

لقد كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أكثر الناس شكراً لله عز وجل، وهم
القدوة الحسنة في الطاعة، فهذا نوح ﷺ قد مدحه الله فقال فيه: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، (سورة الإسراء: 03).

وأثنى على مناقب خليله إبراهيم ﷺ، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ
يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِرًا لِنِعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَعَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، رقم: 6471.

حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾، (سورة النحل: 120-122).

وتفطن لهذا الصفة نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام حينما مكثه الله على مملكة سبأ وقومها الذين يسجدون للشمس من دون الله: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ، وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾، (سورة النمل: 40).
وقد أمر الله عز وجل لقمان أن يشكر الله تعالى على ما آتاه من نعمة، وعلى ما وهبه من حكمة، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾، (سورة لقمان: 12).

عباد الله:

قيدوا نعم الله بذكرها، واستزيدوا منها بشكرها، فربكم يوصيكم قائلا: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، (سورة إبراهيم: 07)، أي؛ لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي، فشكر النعم أمان لها من الزوال.. وقيد لها من الفرار.. كما أن كفران النعم سبب في زوالها! ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، (سورة إبراهيم: 07).

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مَنْ ضَيَّعَ شُكْرَ النَّعْمِ حَلَّتْ بِهِ النَّقْمُ.

ويقول الحسن البصري أن بعضهم يسمي الشكر الحافظ، لأنه يحفظ النعم الموجودة، والجالب لأنه يجلب النعم المفقودة، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «التَّحَدُّثُ بِنِعَمِ اللَّهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَمَنْ لَا يَشْكُرُ الْقَلِيلَ لَا يَشْكُرُ الْكَثِيرَ»⁽¹⁾.

إخوة الإيمان: تحدثوا بنعم الله، وتعرفوا عليها بذكرها كثيرا كما قال عز وجل: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، (سورة الضحى: 11)، وذكروا أنفسكم بنعم الله عليكم بين الحين والآخر، حتى يعظم الله تعالى في نفوسكم، وتعرفوه على حقيقته.. واحمدوا الواهب على آلائه وإنعامه، واشكروه تجددوه غفورا رحيمًا، يقول جل وعلا موجهًا عباده لشكره: ﴿وَاللَّهُ

(1) البيهقي، شعب الإيمان، تعديد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها، رقم: 4105.

أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾، (سورة النحل: 78).

أيها الشاكرون: تمنعوا في عظمة خلق الله من حولكم في الليل والنهار، صيفا وشتاء، وتذكروا عظمتة فيما حولكم من سماء وأراضين شاسعة وواسعة، وفيما تعرفون من خلق الله الكثير في كل البلدان والقرى، وتوقفوا متأملين كثيرا في عظمة مياه بحاره وطراوة لحم حيتانه، التي يقول عنهما عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، (سورة النحل: 14).

اعلموا أيها الحامدون بلسانكم، والشاكرون بجوارحكم، أن الله يريد منكم أن تتأملوا بديع صنعه في مخلوقاته، وتفكروا في عجائب مخلوقاته، حتى لا تجعلوا الغفلة تنسيكم الله، والتعود على نعمه يطغيكم، وطول إلفها يرخص قيمتها لديكم، ويجربكم عن الخضوع للمنع، والتودد إليه أناء الليل وأطراف النهار، حتى لربما تصلوا في مستوى عن الإعراض عن الله، إلى طريق أهل الكفران بالنعمة والعياذ بالله!

فلنحاسب أنفسنا إخوتي في الله أين نحن من مرتبة الشكر؟! وما هو حظنا من هذه البضاعة الغالية؟!

وكم من نعمة مسبوغة علينا في صباحنا ومساءنا؟! وكأنها تناديننا: هل أدبتم شكري؟! ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، (سورة البقرة: 172). اللهم إنا نحمدك ونشكرك، على ما أنزلت علينا من نعمك، اللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك،

اللهم ارزقنا شكرا يزيدنا في الإحسان، ويوفقنا إلى مزيد الامتنان، يا ذا الجلال والإكرام.

الخطبة الثانية

الحمد لله على فضله وإحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه،

والصلاة والسلام على محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الميامين الأطهار.

أيها المسلمون، لقد أنعم الله تعالى علينا في شهر رمضان بأصناف كثيرة من النعم؛ منها: شرف زمانه وشرف ليلة القدر فيه، وشرف مضاعفة العمل والثواب فيه، وتنوع الأعمال الصالحة وتيسرها فيه، ومن شرفه أيضا إقبال عباد الله تعالى على العمل الصالح وتنافسهم فيه، واستباق جليل القربات لنيل الغرف العاليات في الجنات، والتي أعدها الله تعالى لمن أفشى السلام، وألان الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام.

وما دام **أيها الطيبون** أن حقيقة الشكر اعترافُ العبد بربه، وإقراره بعظيم فضل المنعم وعظيم آلائه، فمن واجبنا أن نشكر الله على ما فتح علينا بالأمس من زخات المطر، وما أنعم به علينا صبيحة اليوم من مياه طيبة، أنعشت الزرع، وطيبت الهواء، وما أحوجنا إلى مزيد شكر وتودد إلى الله بقلوب متضرعة، وأفئدة خاشعة راجية رها، أن يغيثنا بغيث نافع يملأ به آبارنا، ويجري ودياننا ماء سلسبيلا، وينعش نخيلنا، وينبت الكأ والعشب في الوديان، ويسكن الأتربة والغبار، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾، (سورة الشورى: 28).

ومن مقتضيات الشكر الاستقامة على أمر الله بأداء الفرائض وكثرة النوافل، واجتناب المعاصي والموبقات، والتخلي عن السوء والمنكرات، فننال بذلك أجر المستغفرين، ونحصل على وعد الله بإرسال السماء علينا مدرارا، يقول تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾، (سورة نوح: 10-12)، فالسماء أيها الكرام ملبدة بالسحاب، ورحمة الله قاب قوسين

أو أدنى من الفرج، فلنعجل إحسان الله علينا بأداء حقيقة الشكر له، والإذعان إليه، ونأتي بما يرض ربنا، ونقدم إليه تائبين، راجين رحمته، وعازمين على اقتلاع كل واحد منا عن ذنب تعوذ عليه، فيعاهد ربه بجزم وحزم ألا يعود إلى معصيته التي ألفها واعتاد عليها. فالمتراحي عن أداء الصلاة في وقتها يعزم مع ربه أن يرفع عنه الكسل ويجعل قلبه متعلق بربه حين التقرب إليه.

والغائب عن المسجد خارج رمضان يشكر ربه ويعاهده أن يديم عليه حضوره إلى المساجد في رمضان، وينشطه على حضور صلاة الفجر في كامل أيام السنة. والمتعوذ على التفرج على التلفزة بمسلسلاتها المائعة، أو مباراتها الفارغة، أو حصصها المستحمة للعقول، أن يدعو الله بصدق وإخلاص أن يفرج عنه السوء، ويعينه على ذكر الله وتسبيحه، وعلى خدمة أمر المسلمين ومصالحهم، وينير درب أمتة بالأعمال الخيرية التي قال الله عنها: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيَّنَّ النَّاسَ وَمَنْ يَّقَعْلَ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، (سورة النساء: 114). أيها الجالس في المقاهي صباحا لارتشاف كأس القهوة بسيجارة لعينة من الدخان، وأيها المتوجه كل مساء إلى هذه الأمكنة السوء لأجل تسويد رئتيك بالنيكوتين والأدخنة السوداء، أدعو الله في هذا الشهر، وإزاء طلب الغيث، وتحقيقا لنعمة الشكر لله، أن تقطع حبل الوصال مع أخلائك، وتتجنب إتيان المنكرات جماعيا مع العصاة المذنبين، من باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، (سورة المائدة: 02).

أيها المرابي والمشهر السلاح ضد ربه، وأيها الزاني المهتك لستر ربه، وأيها المستمع إلى الأغاني الخادجة للحياء، وأيها المنفق في الأعراس على حفلات الرقص والطرب بعازفين

خمارين وتاركي للصلاة، أدعو ربكم جميعاً أن يزيل عنكم الفحشاء، وينعم عليكم بشكره وذكر فضله عليكم، فتخلوا عن منكراتكم، وتوبوا إلى بارئكم، حتى يفتح الله علينا من آلائه ومائه المرفوع في السماء.

أمة الإسلام، اتقوا الله، واشكروا نعمة الله، واستعملوها في طاعة الله، واعرفوا قدر رمضان، وزنوا أنفسكم بالقرآن، وتحلوا بالجود والإحسان، وكفوا عن المحرمات، وتوبوا إلى الله من السيئات، واستعدوا للموت فإنه لا بد آت، ومن لزم عملاً مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، (سورة الجمعة: 08).

أيها المسلمون كان رسولكم محمد ﷺ يدعو عقب كل صلاة فيقول: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»⁽¹⁾، ويقول: «اللهم ما أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَלَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ»⁽²⁾.
فاللهم إنا نسألك شكر نعمتك، وحسن طاعتك.

اللهم ارزقنا الشكر على الطاعات، والصدق في الدعوات، وأعنا على الخير وقضاء الحاجات.

يا واهب النعم أرسل علينا السماء مدرار، ويا ولي النعم افتح على العصاة المصرين أن يقتلعوا عن أفعالهم ومنكراتهم، ويا فاتح الخير على الإنس والجن هب لنا ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، وفق أبناءنا إلى النجاح في امتحانات البكالوريا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، واخز الظالمين المعتدين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك

(1) النسائي، السنن، كتاب عمل اليوم والليلة، باب الحُتُّ عَلَى قَوْل: رَبِّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، رقم: 9857.

(2) النسائي، السنن، كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر، رقم: 9750.

والمشركين، ودمّر أعداء الدين، وأدِم علينا نعمة الأمن والإيمان، والسلامة والإسلام.
اللهم إنا نسألك بقلوب مطمئة أن تتقبل منا صيامنا وقيامنا، وتعيننا على القربات في
العشر الأواخر من رمضان، فتعتق رقابنا من النار، وتزيل عنا المعاصي ما ظهر منها وما
بطن، وتجعلنا من الشاكرين.

والسلام عليكم. قوموا إلى الصلاة يرحمكم الله

التوحيد دين الله الذي لا نزاع ولا صراع فيه

الحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وكره أحياءه في الشقاق والفراق، وألزم قلوب الخائفين الوجل والإشفاق، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً صلوات ربي وسلامه عليه، سيد الخلق أجمعين، المرسل رحمة للعالمين، وأقر أن أصحابه أهل الطهر والعفاف، رحماء بينهم، رباهم نبيهم متعاونين على الخير والرضوان.

أما بعد: فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، وأحثكم على طاعته ولزوم دينه كما شرعه هو، دون فهم بهوى ولا عزة نفس، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، (سورة آل عمران: 102).

أيها المؤمنون:

إن توحيد الله هو دين الرسل، من أولهم إلى خاتمهم محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾، (سورة الأنبياء: 25)، فمضمون رسالة الأنبياء جميعاً، وفحوى دعوة الرسل كلهم، وخلاصة كل الدعوات إلى الله عز وجل لا تخرج عن قوله تعالى: ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، (سورة المؤمنون: 32).

فكلمة "لا إله إلا الله" هي ركن الدين وأساسه، وأصل الأمر ورأسه، وهي أفضل الحسنات وأجل القربات، وهي العروة الوثقى، وكلمة التقوى.. ولو وُزنت كلمة "لا إله إلا الله" بالسموات والأرض لرجحت بهن عند الله.

أخي المؤمن:

هل عرفنا الله؟ وهل عظمنا الله؟ وهل استصغرنّا أنفسنا واحتقرناها أمام جلال الله

وقدره؟، وهل تذكرنا الله بقلوبنا قبل أن نذكره بألسنتنا؟

فالله هو الذي لا إله إلا هو.. المتوحد بالجلال بكمال الجمال.. وهو المتفرد بتصريف الأمور على التفصيل والإجمال.

وهو الله العليم الذي أحاط علمه بجميع المعلومات.. ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، (سورة الأنعام: 59)، عالم الغيب والشهادة، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ، وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، (سورة فاطر: 11).

إنه العزيز الذي لا غالب له، القهار الذي يقصم كل الظالمين، المتكبر الذي لا ينبغي الكبرياء إلا له.

إنه الغفار الذي يغفر جميع ذنوب عباده لو أخلصوا في توبتهم، وأنابوا إليه حقاً.
إنه الله الكريم، الذي لو أن أول الخلق وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد واحد فسألوه، لأعطى كل واحد منهم مسأله ما نقص ذلك مما عنده شيئاً.

إنه الله المجيب لدعوة الداعي إذا دعاه، في أي مكان وفي أي زمان، لا يشغله سمع عن سمع، ولا صوت عن صوت، يكشف الغم، ويذهب الهم، ويفرج الكرب، ويستتر العيب.
عباد الله:

من حقق التوحيد كان الله تعالى أعظم شيء في قلبه، وكل شيء دون الله هباء، فلا ثروته سطوة قوي، ولا تخدعه ثروته غني.. لأنه يعتقد أن الله هو الفعال لما يريد، وهو الرزاق ذو القوة المتين، وأنه هو المعز وهو المذل، وهو المعطي والمانع، وهو القابض والباسط، وهو المسعد لخلقه وهو الذي يُشقي من يشاء، وهو من يُضحك ويُبكي، وهو الذي يرفع

ويخفض، لأنه وحده لا شريك له في عزه وسلطانه، وهو القائل: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، (سورة هود: 123).

وها هو رسول الله ﷺ عندما لجأ هو وصاحبه إلى الغار، واقترب الأعداء منهم حتى كانوا قاب قوسين أو أدنى، قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا، فردّ عليه رسول الله ﷺ بكل ثقة وإيمان: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين، الله ثالثهما»⁽¹⁾.

ومن قبله يقف سيدنا موسى ﷺ وجنوده عند شاطئ البحر فيقول قوم موسى: إن فرعون من ورائنا، والبحر من أمامنا، فأين الخلاص؟! ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾، (سورة الشعراء: 61)، فيردّ نبي الله موسى ﷺ باستشعار لعظمة الله وثقة كاملة بوعد الله: ﴿كَلَّا، إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، (سورة الشعراء: 62)، فكان بعدها النصر والتمكين.

ومن قبلهما كذلك أبو الأنبياء ﷺ حينما أراد قومه أن يلقوه في النار، لم يبال سيدنا إبراهيم ﷺ بكيدهم، ليقيه بربه تعالى فنجاه ربّه جل وعلا قائلا في سورة الأنبياء: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾، (سورة الأنبياء: 70)، ولما نجاه ذكر موقف خليله في سورة الصافات: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، (سورة الصافات: 69).

ف ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب بابُ قولِه تعالى: ﴿ثَانِيَانِ﴾ إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا، رقم: 4663.

الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾، (سورة البقرة: 255).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وبسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وجعلنا الله وإياكم ممن حقق التوحيد، إنه على كل شيء شهيد.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وأظهر الحق بالحق وأخزى الأحزاب، وأتمَّ نوره، وجعل كيد الكافرين في تباب، والصلوات والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد: فأيتها المؤمنون:

إن تحقيق التوحيد يحتاج إلى يقظة قلبية دائمة، وإلى مراجعة فكرية دائمة، ودعاء مستمر أن يؤتينا من أمره رشدا، حتى ننفي عن أنفسنا كلَّ خاطرة تقدح في عبودية ربِّنا سبحانه وتعالى، وتدفع كلَّ خالجة شيطانية في تصرفاتنا وسلوكاتنا اليومية مع الناس، وبهذا يكون ديننا بإذن الله خالصا لله وحده دون سواه، ونحقق قوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، (سورة غافر: 14).

هذا وإن معرفة الله بجلاله وعظمته تُرغم الإنسان أن يتواضع لله ولا يترفع على الخلق، ويُجبره أن يعرف قدرَ الله ولا يستكبر على غيره فيُطلقَ عليهم أحكام الكفر والضلال، ويوصمهم بالفسق والمروق، وينعتهم بالاتباع والابتداع.

وإن كلمة التوحيد "لا إله إلا الله وحده لا شريك له"، تعني أن الله وحده له حق التصرف في عبادته، وله وحده حق الحكم على عبادة مسلم ما بأنها الضلال المطلق، أو الحق البين، وتعني أن كل من حكم على أخيه المسلم بالكفر والضلال، أو بالابتداع والمروق فقد نازع الله في خصائص وحدانيته تعالى، لأن أحكام العباد على بعضهم بعضا لا تعدوا أن تكون اجتهادا بشريا، سواء أكانت في تفسير قضية عقدية، أو فقهية، أو تاريخية، وأن كلَّ أعمالهم في الدنيا تدور بين مجتهد مصيب أو مجتهد مخطئ، وبين رأي راجح أو رأي مرجوح، والله أعلم.

أيها العابدون المتقون:

إن عبادة الله عز وجل هي علة وجود الخلق على هذه الأرض، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، (سورة الذاريات: 56)، فإذا عبده مؤمن يتحرى دينه على هدي الله ورسوله ﷺ لا يحق لأحد أن يخرج من الملة، ولا يصح بتاتا أن يبدعه أو يُفسّقه، ولا يجوز مطلقا أن يشدد عليه النكير، ويعلن ضده الصراع، ثم الحرب والقتال، والإبادة الجماعية وكل ذلك باسم نصرة دين الله، وإعلاء كلمة لا إله إلا الله، وإعلان الجهاد، والصراخ باسم الله أكبر... وما الأمر كذلك عند الله، لأن الله لم يأمر المسلمين أن يقتتلوا، ولا أن يعلنوا الجهاد لأجل اختلافاتهم الشرعية، وإنما شرع الجهاد للكافرين المحاربين فيقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، (سورة الممتحنة: 08-09).

وبالتالي فإن أغلب الحروب -إن لم نقل كلها- التي كانت ولا زالت بين المسلمين -إنما هي من إملاء الشيطان وجنده، يملونها على الناس لنصرة أنفسهم ومناصبهم السياسية باسم الدين، ويُسَوِّلون لهم خدمة مصالحهم الاقتصادية والدينية تحت ستار الله، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، (سورة البقرة: 09).

إخوة الإيمان

لقد كانت كلمة التوحيد ثقيلة على مشركي العرب، لأنها تأمر بترك المنكرات والإعراض عن اتباع النفس الأمارة بالسوء، وتؤدي إلى فناء الزعامة القبلية الجائرة، وتقضي بانحيار صرح الولاء إلى الساسة الظلمة.

وهذه الكلمة لا زالت أيضا ثقيلة على أهل الكتاب ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾، (سورة مريم: 88)، ومقصدهم أن يسندوا إلى ابن الله - كما يزعمون، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- تكفير جرائمهم ضد البشرية، ويرجوا منه بعد ذلك -أي المسيح دائما- أن يغفر لهم ذنوب قتل الشعوب واستعمار أراضيها، ويغض الطرف عن تضليلهم على الناس في المجال الإعلامي والسياسي.

وكلمة التوحيد ثقيلة أيضا على اليهود الذين يرغبوا أن يعزز الله سلطان الدنيا لهم وحدهم، ويخصصهم بالنجاة في الآخرة دون غيرهم، ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، (سورة البقرة: 111).

وهذه الكلمة لا زالت بعيدة على كثير من المسلمين الذين يرون أن الله أوكّل إليهم حفظ دينه، مع أنه هو الذي سمى نفسه الحافظ وحده، وأنه القائل بالصريح: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، (سورة الحجر: 09)، ويعتقدون أن رسوله محمدا ﷺ نعتهم بالفرقة الناجية دون غيرهم، مع أن النجاة يوم القيامة بالتقوى والإيمان والعمل الصالح وليس بالانتماء لفلان أو علان، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، (سورة آل عمران: 102).

ولا زالت الكلمة بعيدة على من يعتقد أن دين الله في هلاك ما لم يظهر مُنقذ يعيد المسلمين إلى الجادة والصواب، ويملا الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا، مع أن الله سمى نفسه الهادي وجعل أمر هداية خلقه له وحده، وهو الذي يعلن بالصريح: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، (سورة البقرة: 213).

ولا زالت كلمة التوحيد بعيدة أيضا على الذين يعتقدون بأحقيتهم في تبوء منصب

قيادة أمة الإسلام لأجل جنسهم وعرقهم، مع أن رب العزة يقول: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، (سورة الحجرات: 13).

أيها المسلمون المتقون لربهم:

ما أحوجنا في هذه الظروف العصيبة التي تمر عليها المعمورة بأسرها، ويكتوي بلظاها المسلمون بالخصوص، أن نتبنى ما علمنا إياه ربنا تبارك وتعالى في محكم كلامه الذي لا لبس فيه ولا يحتاج إلى تأويل وتفسير، حينما قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، (سورة الحجرات: 10)، وما أحوجنا أن نعيش مع بعضنا على منهج الذي سطره الله في آيات عظيمة من سورة آل عمران مبتدئا بقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، (سورة آل عمران: 103).

وما أحلم المسلمون لو عادوا إلى رشدهم، وتخلوا عن كل ما يُييد صرح حضارتهم، وتركوا نبش خلافاتهم باسم نصره الدين، وتخلوا عن المنازعات حول صحابة رسول الله ﷺ، وادعاء انتمائهم إلى بعض هؤلاء الصحابة وترك الآخرين وربما نبذهم أو إلحاق لهم أسوء الأفعال والأقوال التي تناقلها الرواء والإخباريون ودونوها بعد مائتي سنة على الأقل من وفاتهم رضوان الله تعالى عليهم، متناسين جميعا -أقول جميعا ولا أستثني أي مذهب من مذاهب المسلمين وأي فرقة من فرقها- قوله تعالى عنهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، (سورة الفتح: 29).

ألا توافقوني الرأي إخوة الإيمان أننا بلغنا إلى حال يندا له الجبين، وأنا صرنا أضحوكة العالمين، وأن الغرب صار يعلق بنا كل سفاهة وسوء، سواء اقترفها أبناء المسلمين المغرور بهم، أم افتعلها المشركون ثم يلصقونها زورا وبهتنا بالإسلام. وأنه صار يغيب عن أداء فريضة

الحج حوالي مليون مسلم لأجل ترهات وخلافات ما أنزل الله بها من سلطان، وأنه تحولت بعض أيام الله -مثل عاشوراء- إلى فرصة تشحين الأنفس واستذكار الماضي بغل وزفرات ووعود بالانتقام لباقي المسلمين، وأن الحكام صاروا يقصفون أبرياء عزل، ويقتلون أطفالاً رضعا لدعوى أنهم من مذاهب الغلاة..

أليست هذه بركم مهازل ينبغي تصحيحها، وترهات استخفنا فيها الشيطان فجرنا إلى الهاوية، من باب قوله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾، (سورة الزخرف: 54).

أيها السادة العقلاء:

هل من استفاقة جماعية لهذه المناكر باسم الدين؟
وهل من استنكار صريح في شتى المجالات لهذا الحال؟
وهل منا من يعلن جهارا وبصوت مسموع كفانا حروبا، كفانا اقتتالا، كفانا إبادات جماعية، كفانا تشويها لصورة الإسلام والمسلمين عبر التاريخ القديم والمعاصر وإلى حاضرتنا هذا، كفانا تعديات سياسية باسم نصرته دين الله؟
وإلى متى يبقى هذا الشرك طافيا فينا ولا نحرك ساكنا لإزالته؟
وإلى متى نغلق أعيننا عن النور الساطع لكلمة "لا إله إلا الله وحده لا شريك له" أمداً من الزمن ولا نشعر بالوحشة والظلمة والهوان؟
وإلى متى تبقى المسميات المذهبية ذريعةً لنقض عرى الدين؟
وإلى متى تبقى المنابر تشحن المسلمين ضد بعضهم، عوض أن تنشر الرحمة والألفة بين أبناء أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟

أيها الصالحون:

أُدعو الله معي دعاء الراجين من الله السلامة، دعاء من كره هذا الواقع الأليم، دعاء من يُشهد الله حين يلقاه أنه غير راض عن حال أمتة الجريحة، التي يتلاعب بها ساسة الشرق والغرب، ومن وراءهم من أهل العداوة كاليهود، والصهاينة منهم بالخصوص.

أيها الطيبون:

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وصلوا ما بينكم وبين ربكم تسعدوا، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا.. والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَيَا مَنْ خَلَقَ فَسَوَّى وَقَدَّرَ فَهَدَى، شمر عنا وباء البغضاء والشحناء، وباعد عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم إنا نسألك مسألة المساكين، ونخضع لك خضوع الضعفاء، ونبتهل إليك ابتهاًل الأذلاء، وندعوك دعاء المنيبين؛ دعاء من كثرت ذنوبه، وقلَّتْ حيلته، وتاه في الظلمات، أن تغفر لنا ذنوبنا ولا تعذبنا وأنت علينا قدير، وأن تغير حالنا إلى حال أفضل وأهناً يا رب العزة والإنعام.

يا ربُّ ليس لنا ربُّ سواك، وإننا ندعوك ربنا دعاء المتضررين، دعاء من انقطعت عنه أسباب الرجاء إلا منك فلا تردنا خائبين.. وإننا أتيناك ربَّنَا منكسرين، ودعوناك متذللين لا نرجو غير رضاك ورحمتك، ولا نبتغي غير حفظك ورعايتك لنا ولدينك.

يا ربَّ المستضعفين ارحم ضعفنا، واجبر نقصنا، وخذ بأيدينا إلى الحق وإلى الصراط والمستقيم.

يا ربُّ ارحمنا في الأرض ويوم العرض، وأنزل على عبادك المسلمين رحمة من عندك، وأفض علينا وعليهم من لطفك ومودتك ما تطمئن به القلوب، وتنشرح له الصدور، لتعاون

على البر والتقوى.

اللهم حسن أحوالنا، وألف بين قلوبنا، ووحد كلمتنا على الحق، اللهم اجعل بلادنا
وسائر بلاد المسلمين آمنة مطمئنة، يا أرحم الرحمين.
اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، وأدم علينا
نعمة الأمن والإيمان، والسلامة والإسلام يا أرحم الرحمين، والسلام عليكم.

13 محرم 1438هـ / 14 أكتوبر 2016

أثر الغفلة وحب الدنيا على حياتنا المعاصرة

الحمد لله ربِّ الْعَالَمِينَ، مُخْرِجِ أَوْلِيَاءِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَمُنْزِلِ كِتَابِهِ شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَصَلَاحًا لِّجَمِيعِ الْأُمُورِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَطِيبُ الْقُلُوبِ وَمُطَهِّرُ الْمَذْنِبِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْمَيَامِينَ الَّذِينَ تَخَلَّوْا عَنْ سَيِّئِ الْعَادَاتِ، وَتَخَلَّقُوا بِخَيْرِ الْمَعَامَلَاتِ، صَلَاةً وَتَسْلِيمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، (سورة الحشر: 18). وَقَالَ تَعَالَى فِي مُسْتَهَلِّ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ، مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتَوْنَ السَّحَرَ وَانْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، (سورة الأنبياء: 03).

أَيُّهَا النَّاسُ:

إِنْ بَعْضُنَا تَأْتِيهِمْ سَاعَتُهُمْ وَهُمْ فِي نَسْيَانٍ وَتَنَاسِيٍّ، وَيَأْتِيهِمُ الْمَوْتُ وَهُمْ فِي جَهْلِ وَظَلَامٍ، وَتَأْتِيهِمْ قِيَامَتُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ، مَعَ أَنَّ رَحِمَ غَيْرُ غَافِلٍ عَنْهُمْ: ﴿وَمَا رُبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، (سورة هود: 123).

وَالْغَفْلَةُ أَيُّهَا الْحَاقِقُونَ هِيَ صِفَةٌ بَشَرِيَّةٌ يَجِبُ الْإِحْتِرَازُ مِنْهَا وَاجْتِنَابُهَا، وَيَجِبُ الْإِنْتِبَاهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي شِرَاكِهَا، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ نَهَانَا عَنْ اتِّبَاعِ مَنْ أَنْسَتَهُمُ الدُّنْيَا يَوْمَ التَّلَاقِ وَالْحِسَابِ، فَغَفَلَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْعِقَابِ، يَقُولُ رَبُّ الْعِزَّةِ: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ

هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾ (سورة الكهف: 28)، وحذرنا من التردّي كالأنعام بسبب الغفلة فقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ، لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا، أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾، (سورة الأعراف: 179).

أيها المسلمون:

إن التفريط في جنب الله هو حال أبناء الأمة الإسلامية في عصرنا، حيث أصبحوا لا يفكرون إلا في الدنيا وشهواتها، وأمسوا مفتونين بزخارف الحياة وملهياتها، فسنوا الله ونسوا ذكره، وهذه الحالة الخطيرة قد تنبأ بها رسول الله ﷺ قبيل الوداع الأخير فقال ناصحا لمن حوله: «فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا قَبْلَكُمْ، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»⁽¹⁾.

أيها العقلاء المستبصرون بعواقب الأمور: إن من أعظم أسباب الغفلة التي نحن

فيها:

- 1 - الانشغال التام بالدنيا، وكثرة الأشغال الدنيوية والتوسع في المباحات على حساب الواجبات الأخروية، وهجران القرآن صباحا ومساء ليلا ونهارا.
- 2- عدم إدراك قيمة النعم التي بين أيدينا، والنعمة تحتاج إلى شكر المنعم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، (سورة إبراهيم: 07).

- 3 - ومن أسبابها أيضا إرجاء الأعمال إلى آجال غير محددة، وتأجيل التوبة دون مبرر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، رقم: 6425.

عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ، حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٦﴾، (سورة الزخرف: 36-38).

أيها المؤمنون:

إن للغفلة مظاهر شتى، وإن لها أشكالاً متنوعة في الحياة، تسيء إلى الناس وتنقص عليهم حياتهم، وهذه بعضها:

- من الغفلة أن بعض الناس يفعل الخير ويؤدي العبادات المفروضة، لكنه لا يتورع في كسب المال؛ عن طريق الربا أو المعاملات المشبوهة، ولا يراعي حرمة الله تعالى في معاصي الجوارح؛ سواء أكان من النظر إلى العورات، أو من السمع إلى الحرام، يقول تعالى: ﴿حَتَّى آ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، (سورة فصلت: 20).

- ومن الغفلة ترك القول بالمعروف، من قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، (سورة النساء: 114)، والتفنى في جرح مشاعر الناس مع أن جرح أحاسيسهم أشد من جرح أجسامهم، فجرحها يختمر في أعماق النفس، ويتأجج في سويداء القلب، مما يولد تأثيراً على كامل الأعضاء، ولذلك قيل: "رُب كلام كالحسام" و"رُب كلام أنفذ من سهام"، و"رُب زلة اللسان أشد من جرح السنان".

- ومن الغفلة أيضاً التفريط في حقوق العباد، وإيذاء الناس في أعراضهم وأموالهم وحریاتهم الخاصة، لأن الظالم لا ينفك أن تصييه دعوة مظلوم فيهلك، قال الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل ض حينما بعثه إلى اليمن: «اتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»⁽¹⁾.

1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المظالم والغصب، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، رقم: 2448.

- ومن الغفلة عن الله مضايقة الناس في الطرقات، واختيار البداوة والقساوة بديلاً عن الوعي والتحضر، فينجر عن هذه الغفلة عدم احترام قوانين المرور، والسير في الطريق المعاكس، وتعطيل حركة سير السيارات، وتأخير الناس عن قضاء حوائجهم، وبخاصة ونحن نشاهد هذه الأيام زحاما في الطريق من الحجة إلى مومو وخروقات نحن في غنى عنها، وما تولد منها.

- ومن الغفلة رمي القاذورات في غير وقتها، وإن وضعت في غير موضعها فتلك الطامة الكبرى، يقول تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، (سورة الشعراء: 227)، ونسأل الله أن يهيا قلوبنا لتصفية مجاري المياه من الردم والأوساخ، وأن يقنعا برفعهما مباشرة بعد انتهاء الأشغال الضرورية في بيوتنا أو بساتيننا، وإلا حقت فينا الغفلة والإفلاس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا»⁽¹⁾، نسأل الله السلامة والعافية.

- ومن الغفلة الإساءة في التركات والمماطلة في قسمتها كأنها مال خاص، والاستئثار بالتصرف دون بقية الورثة والوكلاء، والقسمة دون إشراك النسوة في الحوار والاختيار، ولذلك ختم الله تعالى آيات الموارث بمدح من عدل في قسمته ونشر المودة والرحمة بين الورثة، وذم من ظلم فنشر النزاع بين الأرحام على متاع قليل وأطماع، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ نُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، (سورة النساء: 13-14).

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم: 2581.

- ومن الغفلة التباهي بدخول عالم القضاء والمحاكم، والتخلي عن عالم الصلح والوساطة. واستثناء دفع الرشاوى والأموال الوسخة لفاقدي الذمة والأمانة، عوض التوجه إلى أهل الحل والعقد والاستنجاد بأعرافنا وهياكلنا التي نتباهى بها ظاهرياً، ولا نجد لها وجوداً في النفوس حينما تتأزم الفلوس، يقول تعالى عن حال من لا يرتدع إلا بالكذب والأيمان الفاجرة، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ، حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، (سورة النساء: 65). وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ض أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا»⁽¹⁾.

اللهم ألهمنا أن نتخلى عن هم الدنيا والحرص عليها، ونعوذ بك أن نكون من المفلسين.

اللهم حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، واجعلنا من الراشدين.

اللهم طهر قلوبنا تجاه أقاربنا وجيراننا وإخواننا المسلمين، اللهم ارزقنا المحبة والألفة والتعاون على البر والتقوى.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، يا أرحم الراحمين.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين، رقم: 2680.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق فسوّى، وأمره عباده بالتقوى، وجعل بعضهم لبعض فتنة وبلوى. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الداعي إلى تركية النفس، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، (سورة الشمس: 9-10)، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، طبيب النفوس، ومرشدها إلى محاسبتها قبل اليوم العَبَس.

أما بعد: أيها المسلمون

جاء في حديث عظيم من أحاديث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ»⁽¹⁾.

فالعبد سيُسأل عن كل شيء، لأن كل أعماله وأقواله وحركاته وسكناته وجميع أفعاله قد سُطرت في كتاب مبین ﴿لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾، (سورة الكهف: 49)، وفي هذا الشأن يقول تعالى: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾، (سورة الصافات: 24)، ويقول أيضاً: ﴿فَوَرَّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، (سورة الحجر: 92)، ويقول عز من قائل: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، (سورة الإسراء: 36).

فسيُسأل الشاب عن عمره الطري فيما أبلاه، وقد أكد ذلك رسول الله ﷺ في رواية أخرى حين قال: «وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ»⁽²⁾، لأن الرسول ﷺ يدرك أن المراهق قد يغتر بشبابه، فيظن أن الموت بعيد، والعمر ما زال فيه بقيّة، فيُسوّف التوبة والاستقامة، ويتمادى في العصيان واصطحاب الأشرار، حتى يباغته أجله.. وما درى هذا المسكين أن الموت إذا

(1) الترمذي، السنن، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، رقم: 2417.

(2) الطبراني، المعجم الكبير، باب الميم، معاذ بن جبل الأنصاري عقي بدرى، رقم: 111.

أتى لا يفرق بين كبير وصغير، ولا بين شاب وشيخ، ولا بين صحيح وسقيم.

وكل عبد سيسأل عن عمره فيما أبلاه؟

- هل أبلاه في الطاعة، أم في المعصية؟ وهل أبلاه في الإقبال على الله عز وجل، أم في

التسويف؟

- هل أبلاه في حضور المساجد وحلق الذكر وتلاوة القرآن، أم أبلاه في التفرج على

اليوتيات، والحديث في الفايسبوك مع الفتيات والمراهقات، وفي اللعب بالتابلت والهواتف

النقالة؟

وكلنا سنسأل يوما ما، لم هجرنا قراءة القرآن في بيوتنا؟ ولم نبذنا حضور مجالس القرآن

في مساجدنا، حتى لا نكاد نجد فيها إلا رجلا أو اثنين؟ فأين البقية؟

- هل كلهم في الاجتماعات والأعمال الخاصة؟ أم هم مع التلفاز، والجلوس على

أبواب المساجد يحكون ويتسامرون؟

- وسنسأل لم بتنا نشكو قساوة قلوبنا، وجفاء معاملتنا وتصحر ألسنتنا عن الكلمة

الطيبة؟ أفلم يقل ربنا تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ

تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، (سورة الرعد: 28).

- وسنسأل هل وجَّهنا أبناءنا وبناتنا لمصاحبة الأخيار وأهل الاستقامة، أم تركناهم

وحريتهم في الاختيار، واستسلمنا لمصاحبتهم الفجار وأهل المعاصي؟

أخي المؤمن البصير الموقن بيوم المصير:

ورد في الأثر عن أحد الصالحين أنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا

أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واستعدوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ

خَافِيَةٌ﴾، (سورة الحاقة: 18).

وإني أعظك أحيي المؤمن أن تتخذَ خلال مسار حياتك وقفاتٍ دوريةً تخلو فيها بنفسك، وتصدق العزم أن تكون صريحاً معها وأنت تستعرض واجباتك في الحياة نحو الله رب العالمين، ونحو عباده الأقربين منك والأبعدين... وتُقارَن بين حالتك بُجاه مختلف العلاقات، ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ. وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾، (سورة القيامة: 14-15)، فإن وجدتَ علاقاتك تتميز بالوفاء والإحسان فاشكر الوهاب الديان، واسأله الثبات على سبيله مهما تقلبت ظروف الزمان. أما إن بدا لك في ذلك تقصيرٌ وتفريطٌ -وهذا ما لا يكاد يخلو منه إنسانٌ- فاحذر من تبرير موقفك، واستحضر موقفك بين يدي الله تعالى الذي لا تخفى عنه خافية، وهو يسألك عن كلِّ صغير وكبير؛ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، (سورة الزلزلة: 07-08)، وتيقن أن السبيل الوحيد للنجاة هو الاعتراف بالخطأ والندم على ما فات، والعزم على الإقلاع عن جميع الذنوب والآفات، والمبادرة إلى التوبة إلى الله ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾، (سورة غافر: 03).

فلتكن لنا هذه موعظة، ولنتيقن أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا فيأتينا.. فلنتخذ حذرنا، والكيس منا من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً، وَرِزْقاً وَاسِعاً، وَعَمَلاً صَالِحاً مُتَقَبَّلاً.
وَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ عَيْشَ السُّعْدَاءِ، وَمَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَالشُّكْرَ عَلَى النِّعَمَاءِ، وَالصَّبْرَ عَلَى
الْبَلَاءِ، وَالنَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ.

اللَّهُمَّ يَسِّرْ أُمُورَنَا، وَاشْرَحْ صُدُورَنَا، وَاخْتِمِ بِالْبَقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا يَا ذَا الْجَلال
وَالْإِكْرام.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وانصر إخواننا المستضعفين في

مشارك الأرض ومغربها. اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً يعز فيه أهل الطاعة، ويذل فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر. اللهم تقبل طاعة العاملين في الخير، واهد الضالين الغافلين عن ذكر الله وعن هديه المستقيم. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، برحمتك يا عزيز يا غفار.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90)، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (سورة العنكبوت: 45). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

تجنب الغضب

الحمد لله رب العالمين، الحمد الذي أمر عباده بالتخلق بخلق الحلم، والعيش في ظلال الأمن والسلام، والحمد لله الذي حثنا على حسن الأقوال والأفعال، ونهانا عن الغضب وسرعة الانفعال.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبداً لله ورَسُولُهُ، أكثر الناس صبراً وأوسعهم صدراً، وأغزرهم علماً وأعظمهم حِلْماً، -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه، وعلى كل من اهتدى بهديه، إلى يوم الدين.

أما بعد: فأوصيكم عباد الله ونفسي المقصرة بتقوى الله وطاعته، كما أمرنا بذلك الله جل وعلا في كتابه العزيز فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، (سورة التوبة: 119)، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، (سورة الحشر: 18).

أيها الأحبة في الله:

إن الإسلام يُحِبُّ مِنَ الْأَخْلَاقِ أَعَدَهَا، وَمِنَ الصِّفَاتِ أَجْمَلَهَا، وَخُلُقُ الْحِلْمِ، خُلُقٌ وَسْطٌ بَيْنَ عَدَمِ الْغَضَبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَبَيْنَ الْإِفْرَاطِ فِيهِ.

والغضب عاطفة شعورية، تبدأ حدثها من الاستثارة الخفيفة انتهاء إلى الثورة الحادة؛ فإن افتقده الإنسان بالمرّة هانت عليه نفسه، وخدشت كرامته، واعتدي عليه في نفسه وماله. وإن زاد الانفعال عن حد الاعتدال والتحكم فيه صار نقمةً لصاحبه، وهواناً وخزياً لفاعله.

إخوتي في الله:

ترجع استجابة الغضب الزائد إلى ردود أفعال الإنسان على الأحداث التي تقع خارج نطاق سيطرته، فمن الممكن أن يكون السبب تصرف زميل، أو نتيجة خارجية كتعثر حركة

المرور، أو إلغاء رحلة، أو استهزاء بمواعيد متعددة يبرمجها الرجل ولا يفني بها.. فتسبب هذه الحالات لدى الإنسان أعراضاً مثل: ارتفاع ضغط الدم، الحركة مع التوتر، القلق مع الاكتئاب وغيرها.. ثم تلزمه هذه الأعراض أن يكون تحت تأثير تصرفات لا يملك إيقافها أو تغييرها إلا بالغضب، فيثور هذه الإنسان ويصدر أفعالا مَشِينَةً، وقرارات خاطئة بسبب وضعه المتأزم.

أيها العقلاء الفطنون:

إن كثيراً من الناس يدّعي قوة الشخصية، وصلابة المراس، واكتمال الرجولة، ولكنه ينهار عند أول موقف يستفز أعصابه، ولذلك قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»⁽¹⁾.

والإنسان إذا أَفْرَطَ فِي الْغَضَبِ ولم يدرّب نفسه على تحكم أعصابه وَقَعَ فِي مَهَالِكٍ ومهاوي كثيرة، لأن الغضب مَدْخَلٌ مِنْ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ الْكُبْرَى، وَمَكِيدَةٌ مِنْ مَكَائِدِهِ الْعُظْمَى، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، (سورة فاطر: 06). وَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ زَرْعِ بُذُورِ الْغَضَبِ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ يَظْلُ يُذَكِّي هَذَا الْبَذْرَ وَيُرْوِيهَا، وَيُمْدِدُهَا وَيُعَدِّيْهَا، وَيَتَعَهَّدُهَا وَيُنَمِّيْهَا، فَإِذَا فَتَرَ الْإِنْسَانُ لَحْظَةً مِنَ الْغَضَبِ أَهَاجَهُ الشَّيْطَانُ مَرَّةً أُخْرَى وَأَثَارُهُ، فَرَادَ نَارَ الْغَضَبِ اشْتِعَالاً وَحَرَارَةً، وَرُبَّمَا خَرَجَ الْغَضَبَانُ تَحْتَ تَأْثِيرِ غَضَبِهِ الشَّدِيدِ عَنْ هَدْيِ الْإِسْلَامِ وَطَرِيقِهِ الرَّشِيدِ.

أيها الأحبة:

كم من مسلم مقرّر بوحداية الله تعالى، يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويصرح بأن الله أكبر من كل جبار، وأنه القاهر فوق عباده، لكن هذا المدعي بمجرد أن تعثره

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم: 6114.

مضيقة، وتسَلِّط عليه منغصة، أو تظهر له إهانة من صديق أو شريك في العمل، استهزاء به، أو أخذ ماله، فإذا كتب الله أن يلتقيا في الطريق أو غيره فإنك ستسمع صراخا وهولا، وترى سُخْطا وفُحْشا، ويقرع أذانك سبا لقسام الأرزاق، ولعنا لرب الأرباب - لا حول ولا قوة إلا بالله - وتوعدا بالزنا بأم خصمه، وبكذا وكذا مما ننزه منها ألسنتنا ومنابرنا من بذيء القول وأسوئه...

فيا ترى ما السبب الجوهرى في الغضب الهائج؟ وما الداعي إلى الصراخ بالكلام الفاحش البذيء؟ غير انحطاط قيمة الله تعالى -العلي العظيم- في نفس هذا الغضوب اللجوج، وغير أن انتماءه للإسلام وادعاءه حبَّ النبي محمد ﷺ محضُ توهم، وغير أنه لا يفرق بينه وبين من قال عنهم رب العزة في كتابه الكريم: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، (سورة التوبة: 67).

يا أحباب رسول الله:

لِمَ يُطْلَق الرجل منا العنانَ للسانه بالسب والشتم لأجل ترهات ساقطة فيغضب ربّه، ويحرق آخرته، ويرتمي في مهاوي نزغات الشيطان ومكائده، ولا يستفيق إلا بعد أن هلك نفسه دنيا وأخرى.

ولم ينفعل أحدنا أمام أهله فتجده يرمي ما بيده، أو يصب جم غضبه على أحد أبنائه بالضرب واللعن والشتم، فيوقع نفسه في الانفعالات الشديدة، والضغط النفسى التي تكلفه عنتا صحيا، وقلقا عصبيا، ولا يراجع نفسه إلا وهو طريح الفراش، وأمامه كومة من أدوية الضغط الدموي والسكري نسأل الله السلامة والعافية.

ولم يصل الأمر بالشريكين في العمل، أو بالصاحبين المتعاونين على ابتلاءات الدنيا أن

يتواعدا بالشكايات لدى مصالح الأمن، ولا يجدا سبيلا لحل منازعتيهما غير المدافعة والمرافعة أمام المحاكم، ولا يهناً بال أحدهما إلا أقام دعوى قضائية ضد خصمه، فنجدهما يصرفان المبالغ الضخمة لخصومتهم، ويزيدان توترا في علاقتهما، وتشنجا لأعصابهما، ولا أحد منهما يخرج سالما من هذا السبيل الوعر.

إخوتي في الله:

اتَّقُوا اللَّهَ، وَاَعْلَمُوا أَنَّ ذَا اللَّبِّ السَّوِيَّ، وَالْحَزْمَ الْقَوِيَّ مَنْ يَتَلَقَّى قُوَّةَ الْغَضَبِ بِالْحِلْمِ فَيَصُدُّهَا، وَشِدَّةَ انْفِعَالِ نَفْسِهِ بِالْحَزْمِ فَيَمْلِكُهَا. وَاَعْلَمُوا أَنَّ الْقَوِيَّ حَقًّا مَنْ قَاوَمَ الْغَضَبَ وَدَفَعَهُ.

فاللهم ألهمنا رشدنا، وسكن روعنا، وهدي أعصابنا، وجمّل بالحلم والصفح أفعالنا، وباعد عنا الشيطان، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، واجعلنا من عبادك الصالحين. يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق فسوّى وأمره عباده بالتقوى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، زكّى الأنفس بالمحاسبة الذاتية، ودعا إلى رفع الرؤوس قبل اليوم العَبّوس، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ لِلْغَضَبِ أَضْرَاراً دِينِيَّةً وَأَخْلَاقِيَّةً، واجْتِمَاعِيَّةً وَصِحِّيَّةً، فَهُوَ يُدَمِّرُ مَا بَيْنَ النَّاسِ مِنْ عِلَاقَاتٍ، وَيَقْطَعُ مَا بَيْنَهُمْ مِنْ صِلَاتٍ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، (سورة الأنفال: 46)، وهو يترك العلاقة الحميمة الهادئة بَيْنَ الزَّوْجِ وَزَوْجِهِ مَا دَامَا بَعِيدَيْنِ عَنِ الْغَضَبِ، فَإِذَا دَنَا الْغَضَبُ وَاقْتَرَبَ، أُصِيبَتِ الْعِلَاقَةُ الزَّوْجِيَّةُ بِضَرَرٍ وَعَطَبٍ، وَفِرَاقٍ وَطَلَاقٍ، ثُمَّ نَدِمَ وَتَعَبَ، وَأَلِمَ وَنَصَبَ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ؛ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»⁽¹⁾. ووعد الله تعالى الْكَاطِمِينَ بِالْحَسَنِ فقال: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، (سورة آل عمران: 134)، ووعد الرسول ﷺ كَاطِمَ الْغَيْظِ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، فَقَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْخُورِ مَا شَاءَ»⁽²⁾.

أخي المؤمن:

لا تقل أنا غضوب، ولا أستطيع أن أقلع عن هذا الخلق، فكما أن العلم بالتعلم، فإن الحلم بالتحلم. ويمكن لك أن تدرب نفسك على كبت شرارة الغضب قبل أن تكون ناراً،

(1) أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، رقم: 4786.

(2) أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً، رقم: 4779.

وَأَنْ تَسْتَعِينَ عَلَى دَائِهَا بِدَوَاءِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، (سورة يونس: 28)، وَأَنْ تَسْتَعِيدَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَثْنَاءَ الشَّدَةِ وَالْغَضَبِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾، (سورة الأعراف: 200-201)، ذَلِكَ لِأَنَّ الْغَضَبَ جَمَاعٌ كُلُّ شَرٍّ، وَإِنَّ التَّحَرُّزَ مِنْهُ جَمَاعٌ كُلُّ خَيْرٍ..

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَوْصِنِي؟ قَالَ: «لَا تَغْضَبَ»، فَرَدَّدَ الرَّجُلُ طَلَبَ الْوَصِيَّةِ مِرَارًا، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَغْضَبَ»⁽¹⁾، وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ: ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ ﷺ: «لَا تَغْضَبَ، وَلَكَ الْجَنَّةُ»⁽²⁾.

أَيُّهَا الصَّالِحُونَ:

مَا أَحْوَجُنَا إِلَى أَنْ نَتَدَرَّبَ عَلَى كِبَتِ الْغَضَبِ، وَأَنْ نَتَعَلَّمَ الْاسْتِغْفَارَ عِنْدَ الشَّدَةِ، وَأَنْ نَذْكُرَ اللَّهَ حَالَ التَّوَتُّرِ عَوَاضَ السَّبِّ وَالشَّتْمِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ لَا تَسِيئُوا﴾، (سورة الكهف: 24)، وَمَدَحَ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ إِذَا غَضِبُوا دَعَا اللَّهَ وَاسْتَرْجَعُوا وَطَلَبُوا مِنْهُ الْمَغْفِرَةَ: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، (سورة الشورى: 37).

وَيَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَتَحَكَّمَ فِي غَضَبِنَا قَبْلَ يَصْلَ بِنَا الْأَمْرَ إِلَى الْقِيَامِ بِأَعْمَالٍ إِجْرَامِيَّةٍ، وَإِلَى سَفْكِ الدَّمَاءِ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ فِي مَجْتَمَعِنَا.

وَلَا سَبِيلَ لِلْمُسْلِمِ إِلَّا بِأَنْ يَعُودَ إِلَى اللَّهِ، وَيَتَحَلَّى بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، (سورة الشورى: 40). وَهَلْ هُنَاكَ أَعْظَمُ مِنَ الْفُوزِ بِالْأَجْرِ عِنْدَ اللَّهِ! وَمَاذَا سَيَسْتَفِيدُ الْغَضُوبُ غَيْرَ

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم: 6116.

(2) الطبراني، المعجم الأوسط، باب الألف، باب من اسمه إبراهيم، رقم: 2353.

التوتر والقلق والاكتئاب، وزيادة الوزن، والأمراض النفسية والجسدية.

ولا طريق لنا للعلاج من داء العصر غير تحويل السلبيات إلى إيجابيات، وتحويل الشر إلى خير، والنظر إلى الأشياء بمنظار إيجابي، يقول تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، (سورة البقرة: 216).

أيها الفطنون المستبصرون بعواقب الأمور:

ليكن يقيننا بالله كبيرا، ولنعتقد أن لكل مشكلة مهما عظمت حلا ميسورا، فما علينا إلا أن نبحث عنه، وندع الغضب والإحباط والخوف من المستقبل الذي ضمنه رب الناس للناس جميعا، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَيَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾، (سورة يوسف: 87). ومن تفاقت مشكلة الغضب لديه فلا يتواني في عقد زيارة للطبيب النفسي للمعالجة وطلب حلول واقعية، والقيام بتمارين استرخائية تعين على ضبط الأعصاب، وتجنب الإثارة بالمنبهات والمثيرات العصبية كالدخان وغيره.

اللهم يا رحمان إليك المشتكى وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، (سورة الأعراف: 23).

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت يا أرحم الراحمين.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وألستنا من الآفات، وأصلح أعمالنا، وتقبل منا وتب

علينا إنك أنت التواب الرحيم.

اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَشُرِّ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. ونعوذ بك من شرِّ الفتنِ ما
ظهرَ منها وما بطنَ.

رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مَطمئنًا وسائرَ بلادِ المسلمين، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، (سورة الحشر:
10)، يا أرحم الراحمين.

رسولنا محمد صلى الله عليه يعيش معنا

الحمد لله رب العالمين، بعث في الأميين رسولا منهم، أرسله للعالمين رحمة، وجعله سراجا منيرا، وأسوة ومنقذا. عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. والصلاة والسلام على من عظم بالقرآن وشرح صدره، ورفع بالذكر ووضع وزره، أحبه القاصي قبل الداني، والغائب قبل الحاضر، ومن سمع عنه أكثر ممن رآه وصاحبه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: عباد الله:

فإني أوصيكم ونفسي بتقوى الله العليّ العظيم القائل في كتابه في الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، (سورة آل عمران: 31-32)، وأدعوكم إلى استذكار الله في حياتكم لكل صغيرة وكبيرة، وجعله مؤنسكم وملاذكُم كي تفلحوا مثلما فلاح نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة المؤمنون:

إننا على مقربة ذكرى جليّة، وأيّ ذكرى.. إنها ذكرى رجل مجتبي غير التاريخ، أخرج الناس من الظلمات إلى النور، وحرر الإنسانية من الخضوع للأوثان، إلى توحيد الواحد الديان، وفك أسرهم من عبودية الخلق إلى حرية الإيمان، ذكرى تمر كل سنة، لعل في سنّها توجيهُ الناس إلى استذكار علاقتهم برهم ورسوله، تنبيهها للغافلين، وتذكيرا للناسين، وإيقاظا للنائمين..

ذكرى تستوقفك أيّها الشاب لاستذكار حقيقة القدوة، ومن هو أحق بالافتداء؟ وتستوقفك أيّها الظالم الغافل، لمراجعة نفسك كيف حارب هذا النبي العظيم الظلم وبذّده..

ذكرى تُذكر الغافلين كيف لفحت الشمس وجه نبيهم، وأحرقت رمضاء مكة جسده، وكيف تضرّ جوعاً في الشعاب ليلال ذوات العدد، وكيف جُرحت مشاعره وأوذى قلبه وضيق صدره في فناء الكعبة بين طغاة قريش، وكيف شُجت رأسه وأدميت قدماه في الطائف، وكيف كُسرت رباعيته وأدمي خدّه في الغزوات والمعارك، فستستذكر كلّ هذه المعاناة الجسدية والنفسية، وتسترجع ما قيل في أهليته، بأنه سَاحِرٌ كَذَّابٌ أو مجنون، وشاعر أو كاهن، ثم تنظر إلى جنبيك وإلى من حولك من العالمين كيف هم يعبدون الأبقار وأنفس الحيوانات، وكيف هم عبدةٌ للهوى والمال والشهوات، وأنت تستنير بنور الله، وتفرّج بآلائه، وينشرح صدرك للتقوى، ويطمئن فؤادك لذكر الله تعالى ووعدّه بالجنة والنعيم، وتذكر أن كل هذا الخير وصلك عن طريق رسولك محمد صلواتُ ربي وسلامه عليه كلّما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، (سورة الأحزاب: 56).

أيها الذاكر فضل نبيك محمد ﷺ:

إن الحبيب المرتضى حظي بقرب الله ومحبته، اجتباه ربه فأدبه وأحسن تأديبه، ونصره وهزم الأحزاب وحده، حظي بكل هذا لأنه عاش أحاسيس اليتيم دون أن تؤثر في نفسيته وتكوينه، وعلمنا أفعالا قبل أن نعلمنا أقوالا، وآمن بربه إيمانا يقينيا لا يخالجه أيّ غفلة ونسيان، ولم يرجو الجنة بالتمني بل خاض كلّ دروبها وتحمل جميع تكاليفها، ودعى ربه رغباً ورهباً، وقام ليله يرجو ويناجي ويكي ويتودد إلى ربه، حتى قال عنه ربه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نُحْصِيَهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾، (سورة المزمل: 20)، وعمل في نهاره مكداً ومجداً لأنه يعرف أن سنن الله لا تحابي أحداً، وما أمر بفعل إلا وسبق إليه وتميز فيه، واستوى لديه

سرّه وعلا نيته، وعظّم ثقل مسؤوليته وتحسر على كل من يُعرض عن الله، حتى واساه رثّه جابراً خاطره: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَانَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾، (سورة الكهف: 06)، ثم وعده بالحياة الطيبة والرضا عنه قائلا: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾، (سورة الضحى: 05)، وأكرمه تعالى بأنه رحمةٌ للخلق أجمعين، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، (سورة الأنبياء: 107).

عباد الله:

تُعد سيرة نبينا محمد ﷺ وما تحملها من مواقف ووقائع فضاءً للتأمل والتدبر؛ تأملاً يُحرّك القلوب، ويثيرُ الهمم، ويقودُ إلى العمل. وتدبراً يزيدُ في الإيمان، ويركّي القلوب، ويقوّم المسير، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾، (سورة الأحزاب: 21).

لكن السؤال الذي يحتاج إلى إجابة صريحة ودقيقة.. هل فعلاً اتخذنا الرسول ﷺ قدوتنا، وهل علّمنا أبناءنا حسن الاقتداء به؟ وهل تجلت سيرته في سلوكنا؟ وهل سأل كل ولي، وعم، وأخ، وأستاذ الشباب الناشئ هذا السؤال، من هو قدوتك في الحياة؟ هل قدوتك ومثلك، ومحل إعجابك وتأسيك هو رسول الله ﷺ؟ أم أن قدوتك هو الرياضي الفلاني، أو المطرب الفلاني، أو الممثل الفلاني؟ وهل أنتم تعرفون عن رسولكم محمد ﷺ جزء ما تعرفون عن قيمة شراء اللاعب الفلاني، والأندية التي شارك فيها، وقيمة تسريحة شعره؟ وهل بناتنا يحفظن أحاديث رسولهن محمد ﷺ مثلما يستوعبن نصوص أغاني المائعات، ويعرفن عن أحوالهن، وأثمان فساتيهن، وغير ذلك من الترهات؟

إخوتي الأولياء:

أنا متأكد أن الإجابات ستكون فطيعةً، والمقارنة بين القدوتين ستطلعنا على نتائج منكرة، مما يستدعي إعادة النظر في علاقتنا بأبنائنا، وضرورة مصاحبتنا لهم، حتى ننقل لهم القيم التي حرص آباؤنا على نقلها إلينا، وننقل لهم تعاليم ديننا الإسلامي السمح التي جاهد من أجلها الرسول ﷺ وأصحابه بالنفس والمال لأجل أن ينقلوها إلينا، ونعيش الحياة الطيبة بنفحاتها.

فاللهم ارزقنا اتباع سيرة نبينا محمد ﷺ، والتأسي به، وألهم أبناءنا. حسن الاقتداء به.
اللهم إنا نشهد بأننا نحبك، ونحب نبيك محمد صلى الله عليه وسلم.
اللهم لا تحرمنا أجره، واجعلنا من زمّرتة، ومن أنصار دينه، الداعين إلى هديه،
والمتمسكين بشرعه، يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربُّنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس إن حياة الرسول ﷺ كتابٌ مفتوح لجميع الخلق، وقدوةٌ لسائر العالمين، وهذه له خالصة دون سائر البشر، لهذا احتفالنا بذكرى ميلاده تذكيرٌ لأنفسنا، وتحميلٌ لها على حبه واتباع نهجه وسنته، وتحفيز لقلوبنا للتعلق بكلام الله تعالى.. وبالتالي فإنه ليس من الحكمة بتاتا، وليس من المنطق في شيء أن نتذكر رسولنا بأشد ما كان يكره، وهو الإسراف، والتبذير، والترويع، والظلم، والاعتداء، والفتنة.. كأن أفعالنا نكالا له في يوم مولده، فهلا ذكرنا أنفسنا وأبناءنا بذلك أيها الأحبة، لأنه يحزُّ في النفس أن تجتمع هذه الخصال السيئة في يوم ميلاد صاحب الخلق العظيم والقيم السامية.

أيها المحتفلون تكريما لنيكم وحبا له:

اجعلوا من المناسبة وقفة تسألون الله فيها قبسا من نور نبيكم؛ فيكم وفي أبنائكم.. واربؤوا بأنفسكم في ذكرى ميلاده أن تكونوا كطغاة قريش استهزاء به وبدعوته وبمن اتبعه من المؤمنين.

واربؤوا بأنفسكم وأبنائكم أن تكونوا صورة لأهل الطائف لما أهانوه وأدموه وآذوه.. واحذروا أن تقعوا في منزلة المنافقين الذين يستأذنون الرسول ﷺ ويطالبونه باستثناءات تخصُّهم، ثم يفضُّهم الله بقوله: ﴿لَا يَسْتَاذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ، إِنَّمَا يَسْتَاذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾، (سورة التوبة: 44-45).

أيها الأخوة الطيبون:

هلا جعلنا من المولد وقفة نحاوّر فيها أنفسنا، ما حظُّها من أخلاق النبي ﷺ؟ وما موقفها منه لو كان بيننا؟ وإن افترضنا وجوده بيننا حالياً، هل سنكون مثل المشركين فنعاديهِ: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يَوْمٌ بِاللَّهِ وَيَوْمٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، (سورة التوبة: 61)، أم سنكون مثل المنافقين الذين عاملوا رسولهم معاملة سيئة، واعتذروا عن المشاركة معهم في الملمات، ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾، (سورة التوبة: 86-87)، أم سنكون مثل صحابته الكرام الذين وصفهم ربهم قائلاً: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، (سورة الفتح: 29).

إخوتي في الله:

إن الإجابة الطوعية عن الأسئلة الثلاثة ستكون كلّها نحن من الصنف الثالث، نسأل الله أن يرحمنا مثل رحمتهم، وينعم علينا بما أنعموا به من الإيمان والطمأنينة، لكن إذا رجعنا إلى تصرفاتنا وسلوكنا، سنجد أن إيذاء الرسول ﷺ موجودٌ فينا مثل إيذاء المشركين، وأن التخلي عن نصرته حبيبنا ماثلاً عند بعضنا، وإليك أخي الحب لرسوله ﷺ بعض المؤشرات التي تقيس بها موقفك من حب الرسول ﷺ أو معاداته والعياذ بالله، أو الإعراض عنه.

- يا عبد الله الذي قطعت رحمك شهوراً وسنوات لأجل حطام الدنيا، وبسب الميراث والخلافات المادية، احذر ألا تكون من أحبائه، وتُحشّر مع الطائفتين المتبقيتين، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي

الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» (سورة الرعد: 25)، ولتكن لك فرصة الذكرى سببا للمسامحة والعفو عمن أساء إليك، اقتداء بالرسول ﷺ حينما قال لألد أعدائه من قريش: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»⁽¹⁾، وقال لأهل الطائف: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»⁽²⁾.

- يا آكل أموال اليتامى ظلما وبغيا، ويا معرقل التركات عن التصفية بخلا وشحا وطمعا وتعتنا، انظر إلى نبيك نبي الرحمة كيف علمه ربه أن يهتز لظلم اليتيم، وكيف يُصوّر ماله المنهوب جمرا وحما في البطون تُقطّع الأمعاء.

- أيها الساعي وراء المال بشتى أصنافه، هلا تذكرت نبيك وطهره وعفته وصبره على ملذات الدنيا المحرمة، وقد عُرض عليه الملك مرارا وتكرارا، فرفض أن يساوم في دينه.. وهلا تخلّيت عن محاربة ربك، وتركت مساعدة المرابين، وتجنبت كل المعاملات المشبوهة اقتداء بحبيبك الذي آمن أن ربه هو الرزاق ذو القوة المتين.

- أيها الشباب التائه في الشهوات، واللاهث وراء العورات، والغارق في أحوال النزوات، إن نبيك استمتع بكل الطيبات من المأكّل والملبس والنساء، من باب قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، (سورة الأعراف: 32)، ولكنه منع نفسه مطلقا من تشهي الحرام، واتباع نزوات الهوى، لأن ربه حرّمها عليه، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رِبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، (سورة الأعراف: 33)، وفي هذا السبيل لا يجوز لك أن تتفرج على العري والمجون، أو تصاحب الفتيات وتتواصل معهن عبر العالم الافتراضي، أو تجالس الخمارين، أو ترتاح إلى جماعة الدخان أو الشيشة في المقاهي

(1) البيهقي، السنن، جماع أبواب السير، باب فتح مكة، رقم: 18275.

(2) البيهقي، شعب الإيمان، حب النبي ﷺ، فصل في بيان النبي ﷺ وفصاحته، رقم: 1375.

والبساتين، أو تتجمع في الطرقات للتفرج على المواقع من خلال الجوال أو قرصنة الأنترنت من بيوت المسلمين، أو تفجر المفرقات، وكيف بإتيان هذه المنكرات في ليلة الاحتفال بالقدوة.. فهذا حقا هو النفاق الصريح، والخداع البين، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾، (سورة النساء: 142).

- أيتها النسوة الطاهرات: هلا تذكرن الرسول ﷺ ووفاء زوجاته له، وكيف حباهن الله بالرجل الصالح لحيائهن وتقواهن وسترنهن وحكمتهن وورعهن حتى نلن شرف جواره في الدنيا والآخرة، وعلمي نفسك أيتها الأخت المسلمة إن كنت متشنجة مع زوجك أو كان لديك مشكل مع أبنائك أو محيط أسرتك، أن تراجع التجربة الناجحة والقدوة المثالية للرسول ﷺ في التصرف مع هذه المنغصات، وتستذكري حديث أم سلمة رضي الله عنها حينما قالت: قال رسول الله ﷺ: «أما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»⁽¹⁾.

- أيها المصلي، هل أنت معاهد لصلاة الجماعة كنيك الذي لم يتخلف عنها مع شدة مرض موته ﷺ؟ حيث كان يصلي بالناس جميع صلواته حتى ذلك اليوم، يوم الخميس قبل وفاته بأربعة أيام، صلى المغرب، وفي العشاء، زاد ثقل المرض، فقال لزوجته عائشة: «أصلي الناس»؟ قالت: لا يا رسول الله، وهم ينتظرونك، قال: «ضعوا لي الماء في المخضب» (الكَرْوَنَت)، ففعلنا، فاغتسل، فذهب لينوء، فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «أصلي الناس»؟.. ووقع ثانيا وثالثا ما وقع في المرة الأولى من الاغتسال والإغماء، ثم أرسل إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فصلى أبو بكر ض تلك الأيام⁽²⁾.

فهل نحرص نحن على صلاة الفجر من ليلة المولد حينما نسهر ونرهب حتى يقرب موعد

(1) الترمذي، السنن، كتاب الرضاع، باب حق الزوج على المرأة، رقم: 1161.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به، رقم: 687.

الصلاة فننام قليلا ثم لا نقدر أن نستيقظ إلا بعد شروق الشمس، بعد أن أحيينا ليلة الاحتفال بمولد حبيبنا المعاهد للصلاة.

- أيها المصلي ما بالك تفر بحبك لرسولك محمد ﷺ، وتتركه كما تركه من كان قبلك، فعاتبهم وشدد عليهم، فتابوا.. فمتى تعود أنت إلى رشدك، وتترك أوهام التاريخ البالي، وتتخلى عن الاستمتاع بعرس ابنك وقريبك، وتتخلى عن الاستمتاع بهواء بستانك في فترة نداء ربك لصلاة الجمعة، وإلا ما الفارق بربكم بين هؤلاء الذين لا يصلون الجمعة وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، (سورة الجمعة: 11).

أيها المؤمنون:

من دلائل محبة النبي صلى الله عليه وسلم: ابتاغ هديه، ونصرته والذب عنه وعن شريعته، ورفض أعدائه والمعاندين لشريعته، يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، (سورة الفتح: 08-09).

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، (سورة الأحزاب: 56).

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب.

اللهم أصلح أحوالنا في الأمور كلها، وبلغ بما يرضيك أماننا، واختم اللهم بالصالحات أعمالنا، وبالسعادة أجالنا، وتوفنا يا رب وأنت راض عنا.

ربنا لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا مريضا إلا شفيته وخففت عنه شدته، وأزلت عنه عسره، ولا ميتا إلا رحمته، ولا طالبا أمرا من أمور الخير إلا سهلته ويسرته.

اللهم وحد كلمة المسلمين واجمع شملهم واجعلهم يدا واحدة على من سواهم، وانصر
اللهم المسلمين واخذل الكفرة المشركين.

اللهم إنا نسألك لبلدنا هذا أن تغيثه غيث رحمة، وتحيي لشبابه أمرا رشدا، وتبعد عنهم
الفتن ما ظهر منها وما بطن.

واغفر اللهم لنا ولوالدينا وإخواننا وأشياخنا ولجميع من سبقنا بالإيمان، واتنا من لدنك
رحمة.

ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، سبحان ربك رب العزة
عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

9 ديسمبر 2016

المحور الثامن

نظافة المحيط

النظافة مسؤولية شرعية

الحمد لله المستحق للحمد، نحمده حمد الطائعين المقرين بأنه جميل يحب الجمال، ونشكره شكر المعترفين بإحسان الله عليهم في الحياة الدنيا والآخرة، المعترفين بأنه فطر الخلق على ما تستحسنه العقول السليمة، فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، (سورة البقرة: 222).

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله جاء بالشرعية السمحة، ورفع عنا الآصال والأغلال، وأدبنا فأحسن تأدينا، صلى الله عليه وسلم، وبارك عليه وعلى آله وصحبه الأطهار، وعلى من تبعهم بإحسان في الأقوال والأفعال إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم إخواني بتقوى الله عز وجل في السر والعلن؛ لأن السعيد من تدبر أمره، وأخذ حذره واستعد ليوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون، إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، وتقدم إلى الله بأعماله الطاهرة النقية راجياً بها مرضاته ونفع عياله.

أيها المسلمون:

إن الإسلام دينُ الفطرة، دينٌ يجمع البشاشة في حياء، وحسن الخلق في ابتسامة. دينٌ يعترف بما للبشر من أشواق قلبية، وحظوظ نفسية، وطبائع إنسانية.

وتأتي متطلبات الفطرة في دين الإسلام مصاحبةً للعناية بإصلاح المعتقد وسلامة الباطن، في ارتباط وثيق، وملازمة أكيدة، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، (سورة المدثر: 01-05).

فتطهير العقيدة وتنقيتها من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، مقرون بتطهير الظاهر في بدن الإنسان وثوبه وبقعته، ليجمع المسلم بين النظافتين، ويحافظ على الطهارتين.

والإسلام حريص على أخذ أبنائه بنظافة النفس مع نظافة الحس، وصفاء القلب مع نقاء البدن، وسلامة الصدر مع سلامة الجسد، فالله يحب المطهرين ويحب المتطهرين، وبهذا امتن الله على بني آدم كلهم بجمالين: اللباس والزينة لتجميل ظواهرهم، والتقوى لتجميل بواطنهم، فقال عز شأنه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾، (سورة الأعراف: 26)، ثم قال عن أهل الجنة: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا، وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾، (سورة الإنسان: 11-12)، فجعل وجوههم بالنضرة، وبواطنهم بالسرور، وأبدانهم بالحرير.

فالنظافة في الإسلام ليست على هامش تشريعاته، فالله جميل يحب الجمال، والنظافة جمالٌ بحد ذاتها. وقد استطاع الإسلام منذ بزوغ فجره، أن يصير المجتمع البدوي البسيط، مجتمعاً يعتبر النظافة جزءاً أساسياً من تكوين شخصيته الإيمانية، ويجعل النظافة أمراً تعبدياً للفرد والمجتمع.

أيها الإخوة المؤمنون:

هذا ما يريده ديننا العظيم منا، فهو يريد أن نكون نظيفين في كل شيء؛ في الجسد والملبس والبيت والشارع والبيئة والمحيط، فعن سعيد بن المسيب ض قال: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ»⁽¹⁾.

أيُّها المؤمنون:

هل واقعنا في شوارعنا وأزقتنا وأحيائنا وطرقاتنا ومجاري المياه لدينا على ما يريده الله ورسوله ﷺ منا، أم لا؟
كيف هي حال مساجدنا؟

1) الترمذي، السنن، كتاب الأدب، باب النظافة، رقم: 2799.

وكيف هي صورة المسلمين في الحج؟ لماذا يشتكي كل الناس من الأوساخ في كل موسم، بعد أن ينفقوا عشرات الملايين لأداء فريضة الله، وقصد بيته الحرام، يعودون متأسفين من واقع المسلمين.

أليس الحج إخوة الإيمان مرآة عاكسة لواقعنا اليومي، ألم يجعل الله الحجّ معياراً لقياس مدى اهتمامنا بالنظافة في حياتنا اليومية، فإذا أصلح كلُّ مسلم واقعه، فإن الصورة السيئة بإذن الله ستتغير، وسيحسنُ الله حالنا إلى الأفضل والأمثل، ونكونُ على سيرة سيدنا إبراهيم عليه السلام حينما قال: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، (سورة الحج: 26).

أيها المسلمون: لماذا تخلينا عن أداء الواجب؟ وتركنا العمل بسنة نبينا محمد ﷺ، مع ادعائنا جميعاً أننا نحب رسول الله ﷺ وسنته، فواقع المسلمين بداية من المظاهر التي تشاهد أمام بيوتهم ومنازلهم تخالف تماماً ما يقره نبيهم محمد ﷺ، وذلك حينما يؤكد في أكثر من حديث: «الإيمانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»⁽¹⁾. فالدين كما يقره الرسول ﷺ كله متكامل، فلا يحق أن نتخلى عن الكلمة الباقية، والكلمة الطيبة التي هي: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، كما لا يحق لنا البتة أن نتغاضى عن أدنى واجبات الإيمان، فنترك العمل بإماطة الأذى عن الطريق، الذي يندرج ضمن مستكمالات الإيمان بالله تعالى، وليس خارجاً عنه البتة، بدليل: الإيمان درجات، فيها الأعلى والأدنى، وإماطة الأذى جزء من الكل، ويؤكد حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي يصف المسلم، فيقول عنه النبي ﷺ: «يُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صدقة»⁽²⁾.

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، رقم: 35.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه، رقم: 2989.

أيها الأحبة: لماذا اكتفى الواحد منا بتنظيف مظهره الخاص، ولباسه وجسده، واهتمت زوجته بتنظيف البيت مرة أو مرتين في اليوم، ولم يستطيع هو أن ينظف محيطه، مرة في الشهر، أو مرتين في السنة، أليس هذا عيبٌ فينا، وقلَّةٌ للشهامة والحرقة على أوامر الله تعالى المستفيضة في الموضوع، وابتعادٌ عن الفطرة السليمة النقية، ألم يرعُبنا رسولنا محمد ﷺ في النظافة وصحة الأجسام، واعتنى بها عناية فائقة، واعتبرها من صميم رسالته، فشرَّع الغسل لكل صلاة، وكلَّف المسلم أن يغسل جسمه كلَّه غسلاً جيداً في أحيان كثيرة كغسل الجنابة، وغسل الجمعة، وغسل فمه بالسواك، وإصلاح شعره، وحلق عانته، وتقليم أظفاره، وقص شاربه، ونتف إبطه.

ألم يُشدَّ نبينا محمد ﷺ بتنظيف حدائقنا الموالية لبيوتنا فقال: «نَظَّفُوا أَفْئِتَكُمْ»⁽¹⁾، وقد يقول قائل أن هذا الحديث ضعيف السند، وهو كذلك، إلا أن معناه العام صحيح، ويتناسب مع كليات الدين، ومع نصوص أخرى أكثر وثوقاً، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، (سورة البقرة: 222)، وفي سورة التوبة أشار الله إلى العناية بالمساجد فذكر لنا صفات هؤلاء الرجال فقال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾، (سورة التوبة: 108).

إخوة الإيمان: أكيد أن وضعنا الحالي يؤرِّثنا ويقلِّبنا؟ وأنه وإن اعتدنا عليه وألفناه واستسغنناه طوعاً وكرهاً فإن ضمائرنا الحية، تؤنِّبنا بين الحين والآخر، وإن مشاهدة الجمال الطبيعي دون معكرات لصفوه هدفٌ كلِّ واحدٍ منا، وأن معتقدنا لا يقر بالاستسلام للأمر المحتوم، أو الاستكانة إلى الركود، واعتبار ذلك من قضاء الله وقدره لكل بلاد المسلمين.

أيها الأحبة، فلنحوِّل النَّظَافَةَ إلى سلوكٍ مجتمعيٍّ، ولنُترجم إمطة الأذى عن الطريق إلى

(1) الترمذي، السنن، كتاب الأدب، باب النظافة، رقم: 2799.

عملٍ جماعيٍّ حضاريٍّ، تتكاتف من أجله الجهود عبر الوسائل الحديثة، وعبر تنظيم برامج النظافة وحملات التوعية الإعلامية، وعبر تفعيل دور الدولة والبلديات في القيام بمسؤوليتهما في المتابعة والمحاسبة.

ولنبداً إخوة الإيمان بتحريك الأشجان، وإيقاظ الضمائر الحية، ولنبدأ الطريق الطويل الشاق بخطوة والخطوتين، ولنعزم بحزم أن نغير واقعنا وأنفسنا، حتى يغير الله ما بنا من أمراض وأوساخ وتخلف ومشاهد منتنة يندى لها الجبين، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، (سورة الرعد: 11).

فاللهم أعنا يا ربنا للوصول إلى الخير كله.

واللهم ثبت قلوبنا على الصبر الجميل لبلوغ المرمى النهائي بتفعيل كل الناس لنظافة أحيائهم، وإقناع كل أعضاء المجتمع بقيمة الجمال، وبفضاعة الأوساخ والأردام في غير موضوعها.

واللهم أعن السائرين في طريق مرضاتك وإظهار جمال صنعك في الكون للثبات على اليقين، والعمل الجاد المتواصل؛ إقناعاً للأجيال، وتربية لنشء، وتهذيباً للنفوس، وقرعاً للظالمين.

اللهم إننا لا نرضى بواقعنا المر، ولا نقبل بحالتنا التي نعيشها في الفوضى ولا مبالاة، ونتوجه إليك يا ربنا مقربين بضعفنا لترحمنا، ونسألك اللطف في الأمور كلها فتأخذنا إلى جعل دنيانا مطية لآخرائنا، ومظهرنا الذي نبتغيه صورة طبق الأصل لسرائرنا يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أمرنا بالنظافة وأحب المتطهرين، والحمد لله أن
رغب إلينا الطهارة ورتب شرائع ديننا على الطهارة والالتزام بها.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة السامعين الطائعين، وشهادة
العاملين بشرعه المتين، والمستجيبين لكل مستكملت الإيمان، وأشهد أن سيدنا وحبينا
محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين وسيد الأبرار.
أما بعد:

فإن الله تبارك وتعالى خلق خلقه برحمته ومنَّ على عباده بفضله وكرمه، ورزقهم من
العقل ما يقدرُون به على إصلاح معاشهم في الدنيا، ويدركون به استنقاذ أرواحهم في
الآخرة، وصار كل واحد منا يطرح أسئلة كثيرة، وإشكالات متعددة، مثل:
كيف الحل إلى جعل بلاد المسلمين نظيفة؟ ولماذا تردت بلدتُنا في نظافة محيطها؟ وإلى
متى نبقي نهبًا بشوارع الغرب ولا نسعى أن نفتدي بهم، أو نكون أحسن منهم؟
فهذه الأسئلة محيرة حقًا، ويصعب الإجابة عنها جميعًا مرة واحدة، إلا أننا لو استطعنا
أن نجتمع هذه الأسئلة في سؤال محوري واحد نطرحه على أنفسنا، فإنه سيسهل الإجابة عنه
بيسر، وسنتمكن من إيجاد الحل سريعًا لواقعنا بإذن الله، ويبدو أن السؤال المحوري والأساس
في الموضوع، هو:

- هل يشعر كل فرد منا بأنَّ النَّظافة مسؤولية شرعية؟
- وهل يعتبر كل فرد منا أن النظافة واجبة كما هي بقية الواجبات، وأنها فريضة كبقية
الفرائض؟

- وهل نحمل أنفسنا مسؤولية السؤال عنها يوم القيامة أمام الله تعالى يوم لا ينفع مالا
ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وبجي نظيف؟

- وهل نحن مستعدون لإيجاد جواب مقنع أمام نصوص رسول الله ﷺ التي تأمرنا بالنظافة والطهارة للفرد والمجتمع؟
أيُّها الأحبة:

إن الإجابة الصريحة عن هذه الأسئلة هي التي ستوجد لنا الحلَّ لواقعنا المزري، ذلك أن الشعور بالمسؤولية الشرعية هو الذي سيوقف من يريد أن يتخلص من نفاياته وهو في سيارته، ويوقف الوليَ والطفلَ من إخراج القمامة في غير أوقاتها المعلومة والمحفوظة لدى الخاص والعام، ويوقف من يرمي أدرأته في غير أيام عمل عمال النظافة.

أيُّها المسلمون: إنَّ رمنا أن نُغيِّر واقعنا الذي نأمل أن يكون خيراً، فأرجو أن تصغوا بتفان وإخلاص إلى بعض المقترحات التي استقيتها ممن لهم باع في العمل الشاق، والدراية بالواقع المرير، نسأل الله تعالى لهم القبول، وبركة العمر، وصلاح الذرية والأهل، إنه سميع مجيب، فإن وجدتموها صالحةً فاعملوا بها، وإن رأيتم هناك بدائل أفضل فلا مناص من اختيارها والسير عليها، وفي كل خير، مادام المقصد واحد، وهو تحقيق الشعار: "النظافة من الإيمان، ونحن مؤمنون ونظيفون"، فلنبداً بعد أن نستعين بالله من الشيطان الرجيم.

1- لا تخرج النفايات المنزلية قبل أذان الفجر مطلقاً، ولا تخرجها في أيام العطل والأعياد.

2- على كل بيت أن يلتزم بوضع نفاياته في دلو "بيدون من الفنيل مثلاً" عوض أكياس النيلون ويعلق هذا البيدون بمعلق في جدار البيت بمحاذاة مدخل الدار، أو يتفق أهل حي على صنع حديدة مشتركة وفيها معالق "لكروشي" على عدد منازل الزقاق، ويثبت في حائط إحدى الدور، ويتعهدون على عدم ترك سلة المهملات بعد ذهاب عمال النظافة، وفائدة هذا الإجراء **أيُّها الإخوة المسلمون** هو الاحتياط من تلاعب القطط

والكلاب بأكياس النيلون، فتنتشر الأوساخ والأوراق في الشوارع.

وتفاديا أيضا لوضع ركام الأوساخ في موضع واحد، فتصير أرضيته متعفنة، وموطنا للحشرات الضارة صيفا. بخلاف وضع النفايات في أوعية خاصة معلقة، فإننا لن نشاهد أي ورقة أو وسخ ولو قليل في الأرض التي تعلق فيها تلك السلات، فضلا عن إمكانية إرجاع كل عائلة لنفاياتها إلى بيتها في حالة وقوع اضطراب -لا قدر الله- في النظافة.

3- غلق الأكياس الخاصة بأوراق المراحيض بإحكام ووضعها داخل السلة وفي أسفله.

4- وضع فضلات الأكل مستقلة إلى جانب سلة القمامة ليأخذها العمال ويسلموها

إلى مربى المواشي.

5- على التجار الالتزام بإخراج نفايات محلاتهم صباحا لا ليلا، مع إمكانية اتفاقهم على موضع يضعونها فيها، وحبذا لو تحملوا مسؤوليتهم كاملة بضغط علب الكارتون حتى يتقلص حجمها، وتقل بقعة النفايات في الشارع.

وعلى تجارنا -بارك الله فيهم- التكفل بحمل النفايات إلى المفرزة "الزوية" أثناء عطل عمال النظافة والأعياد.

6- عدم رمي الأوساخ وبخاصة بقايا السمك وعظام رؤوس المواشي -خارج أسوار المدينة "أزرب"، أو في مجرى الوادي، لأن هذا فعل شنيع، وصاحبه قليل المروءة وسفيه نسأل الله أن يشفيه ويطهر قلبه وعلايته.

7- التكفل بحمل الردم ومواد البناء سريعا بعد وضعها في الطريق، وعدم إبداء المارة من المسلمين، مشاة أو ركباناً. وحبذا لو يوضع الردم في أكياس خاصة إن كان قليلا، على ألا يُترك في الطريق بعد يومين. أما إن كان الردم كثيرا فحبذا لو فكر المقاولون مثلا في وضعه ضمن حاويات صغيرة، وبخاصة "الردم لخلا" تجنبنا لبقاء الوسخ في الطريق، وبهدف إضفاء

رونق على أزقتنا العتيقة. وفي كلتا الحالتين يشترط تنظيف الأرضية جيدا لمن نوكل إليه نزع الردم - كأصحاب الدانير مثلا-.

8- تحميل الوعيد الشديد لمن يرمي أوساخه وردمه فوق ردم الآخرين، دون أن يستشير صاحبه أو يستأذنه، فهذا تعدي على الحرمات، وسرقة لأموال الآخرين، وإلحاق الضرر بممتلكاتهم.

9- على من اضطر لرمي الردم في مواطن الأودية والسواقي من حملها سريعا، وعدم تركها بدعوى ترصيص الطريق، وملء الحفر، فهذا كفر بالنعمة التي تركها أجدادنا، وتعدي على جميع المسلمين.

10- على من اضطر لرمي أغصان الأشجار في الوادي من حرقها مباشرة، وإن كانت طرية أو غضة فلا يخرجها حتى تجف الفروع وجذوع النخل فيسهل التتهام النيران لها. مع أن الأفضل لصاحب البستان أن يقوم بحرق مخلفات تقليم الأشجار في بستانه فهي أنفع للنبات وأسلم للبيئة.

11- اتفاق كل أهل حي في البلدة أو في الأجنة على تنظيم حملات تطوع خاصة بجمعهم، وهي تدريب للنفس على التواضع، وتطهير لها من الغرور، وفرصة لاجتماع قلوب الجيران على عمل الخير، وتحريك العضلات من الركود والخمول، وتربية للأولاد على حب البيئة والمحافظة عليها، وإيقاظ للهمة في أهل الحي للحراسة ورقابة محيطهم من المستهترين بالسلوكات الحضارية.

12- وضع النفايات المنزلية للسكان في البساتين في القمامات الحديثة التي تفنن المبدعون الغيورون على بلدتهم في تصميمها وتجسيدها واقعا والتي نأمل أن تكون فاتحة خير لبقية المبادرات الطيبة والفاعلة. وعلى العائلات الزائرة لبساتينها يوم الجمعة من احترام هذه

الأماكن وتخصيصها بوضع نفاياتهم، وفي حالة عدم توفرها أمام حيهم عليهم أن يطالبوا بها الهيئات الرسمية المسؤولة، فستلبي طلبهم سريعا إن شاء الله.

13- تتمين المجهودات التي تبذلها بعض جمعيات الأحياء في تنظيم حملات تطوع ونظافة للمحيط، وندعو الله أن يوفقهم للمشاركة مع باقي الجمعيات الشبانية لتنظيف بعض الأحياء التي لا زالت تعاني من الركود ومن تشويه حيها برمي النفايات قرب منازلها، وفي مناطق تعد واجهة لبلدتنا، وقبلة للسياح.

14- تنظيم توعية إرشادية مستمرة لفائدة أبنائنا في المدارس الرسمية والحرّة والخاصة لضمان نشر الحس المدني لدى الناشئة، والوعي الحضاري بالجمال العام، وتثقيفهم بعدم رمي فضلات الأكل في الطرقات وتحت جذوع النخيل.

15- المشاركة الجماعية لهل البلدة في حملات التطوع التي تنظم لأجل تنظيف أحياء المدينة أو الواحة، سواء كنت أيها المؤمن: من المسؤولين الرسميين أو العرفيين، ومن الموظفين أو الأساتذة، ومن المديرين أو العمال، ومن المقاولين أو التجار، ومن العاملين في الشركات أو الإدارات، ومن العاملين في البلدة أو في التل، وبهذا التلاحم العام دون استثناء لأحد مهما كبر سنه أو صغر، ومعها علت مرتبته أو قصرت، ومهما أغناه الله من المال أو ابتلاه بقلته، لأننا جميعا مسؤولون أمام الله عن نظافة بلدتنا، ولا نُعذر حتى نقيم شرع الله ونظهر أرضنا من الخُبث والخبائث.

16- احترام الهيئات الرسمية المسؤولة عن النظافة، وتقديم كلمة شكر للنبلاء الذين اختاروا حرفة حساسة تُنبئ عن نبل نفوسهم، ودقة حسهم، وتعبر عن وعيهم الحضاري، وتفانوا في إعطاء صورة مشرقة لحياتنا، وصبروا على أداء مهمتهم في عزيمة صادقة ونية طيبة، بارك الله فيهم، وأثابهم بالفردوس والجنة، وأزال عنهم كل سوء ومشقة، وأعانهم على طاعة

الله ومرضاته.

17- وأخيرا أنفت في ذهن كل من أوتي حظا من المال، ولكل وكيل يتكفل بتسيير تركة ميت رحمه الله رحمة واسعة أن يخصص وقفا في سبيل يتمثل في تعيين أعوان دائمين لنظافة أحيائنا وبساتيننا تدعيما للعمال الرسميين، حتى نضمن نظافة دائمة ومستمرة لأحيائنا وواحاتنا، وهذه الأوقاف أيها المسلمون لن تقل أهمية عن وقف ماء السبيل الصالح للشرب، فكل هذا مما يحتاجه المسلمون ليعيشوا سعداء، وتهدأ عقولهم، وتسر أعينهم بالنظر إلى جمال صنع الله في الأرض، ويفرح الزائرون بالأنموذج المثالي الواقعي في النظافة، بهذا نكون إن شاء الله أيُّها الأحبة بحق خير أمة أخرجت للناس، وقدوة للعالم في الخير والجهاد والتقوى والسلوك، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا تقصيرنا في إقامة شرعك على ما يرضيك.
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَيَا مَنْ خَلَقَ فَسَوَّى وَقَدَّرَ فَهَدَى، وَيَا مَنْ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى، وَيَا مَنْ أَنْارَ الْأَبْصَارَ، وَأَحْيَا الضَّمَائِرَ وَالْأَفْكَارَ، اشرح صدور أمتنا أن يهتموا بمحيطهم وبيئتهم، ويخصصوا مجالا واسعا من تفكيرهم في تنظيم شؤون مجتمعهم، ويخرجوا أموالا مباركة لأجل النفع العام، وينفقوا أوقاتا طيبة في سبيل إقامة بلد نظيف وجميل.

اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا نَافِعًا وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْآيسِينَ.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً ورخاءً وسائر بلاد المسلمين، وباعد عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وخذ الظالمين الذين عتوا في أرضنا فساداً أخذ عزيز مقتدر فإنهم لا يعجزونك، وأرنا فيهم عجائب قدرتك يا رب العالمين.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90)، ﴿وَلَذِكُرِ اللَّهَ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (سورة العنكبوت: 45). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

نعمة الجمال، والدعوة إلى تزيين المحيط

الحمد لله الذي عَمَّنَا نِعَمًا وَإِنْعَامًا، وَمَنَحَنَا عَقُولًا وَأَفْهَامًا، وَسَبَّحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَأَدَبَهُ بِالْحَسَنِ وَالْجَمَالِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؛ أَكْمَلُ النَّاسِ خَلْقَةً وَأَكْرَمُهُمْ خُلُقًا، -صلى الله عليه وسلم- وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ، وَاسْتَنَّى بِسُنَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم، فاتقوا الله حقَّ تقاته، واتقوا يومًا تُرجعون فيه إلى الله؛ يوم يبعث من في القبور، ويُحصِّل ما في الصدور، وَيَنْظُرُ الْمَرْءَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ، وَيَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ أَسْفًا عَلَى مَا اقْتَرَفَهُ وَجَنَاهُ، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، (سورة الحشر: 18).

معاشر المسلمين:

إن الله خلق الجمال يستهوي النفوس والمشاعر، ويُريح الأذهان والقلوب، ويمنح السباحة والابتسامة، ويُعين على الهدوء والاستقرار، ويرشد إلى الإبداع والتفكير، وتقرُّ به الأعين، وتلذُّ به الأذواق.

والجمال هو القدرة على تذوق حلاوة الأشياء، والاستمتاع بعذوبتها، وهو تمييزٌ للأمور برهافة الحسِّ وصفاء الطوية، وابتهاجٌ بالمصنوعات المتقنة والدقائق البديعة.

إخوة الإيمان:

إن الجمال نعمةٌ من أتمَّ نعم الله على خلقه، ولا يرى الجمال إلا الجميل. فكُن جميلًا ترى الوجود جميلًا، وكُن جميلًا ترى نساء الجمال تهبُّ رقاقةً من حولك؛ شهدًا في عروقتك وأنفاسك، وحلاوةً في لسانك ومنطقتك، وطيبًا في أنفك وذوقك، يقول الرسول ﷺ عنه:

«إن الله جميلٌ يحبُّ الجمال»⁽¹⁾. فجمال الله يعني أن الله يأتي بأحسن الأفعال ويوصف بأكمل الصفات، وحبُّ الله للجمال يعني حُبُّه للحسن والكمال والتناسق والانسجام. ويتجلى جمال الله تعالى في بديع كونه وإتقانه، ويظهر في تناسق ألوان الوجود وتشاكلها، فبالجمال تنشط القرائح، ويتنعم الفكر، ويُجدد الإيمان وتُحسُّ العبادة. وبالنظر إلى الطبيعة في سهولها وجبالها، وبحارها وأنهارها، وغاباتها وصحرائها، وأطياريها وأزهارها تمتلئ الأعين والآذان والقلوب والنفوس بهجةً وسرورًا.

ولما خلق الله الوجود نثر مباحج الزينة في الكون كله وصبغه بصبغة جميلة؛ فخلق الإنسان مثلاً في زينة حسنة فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، (سورة التين: 04)، ورتب الطبيعة في شكل بديع ومزركش، فقال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾، (سورة الملك: 05)، ودعانا تعالى أن نتدبر ملكوته المنظم، وننظر إليه بنظرة فاحصة متذوقة تدعو إلى تعظيم الخالق، والافتداء بذلك الحسن في الحياة؛ حتى يغدو المرء محبا للجمال والزينة، ويهفو إلى صنع الأشكال البديعة كما أتقن الله صنع خلقته بإحكام ورونق بديع، ويصير شغله وعمله دائما متقنا دقيقا استنادا إلى الدقة المبوثة في الكون، وفي هذا يقول أعظم المبدعين دقة ورونقا، ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾، (سورة الحجر: 16)، وقال عزَّ شأنه في سورة النمل: ﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾، (سورة النمل: 60).

أيها المحبون للجمال:

ما أحوجنا إلى أن نُنمي في أنفسنا الذوق الرفيع، ونستأنس بما حولنا من فنون بديعة،

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيان، رقم: 91.

ومناظر خلابة ونربي أنفسنا على التأمل في ملكوت الله، وننشئ أولادنا على تذوق الجمال والجلال، فنرى منهم مستقبلا -إن شاء الله- خطاطين بارعين، ورسامين نبلاء، ومُنشدين متألقين، ومرتلين للقرآن ترتيلا، وناطقين فصحاء، للسان العربي المبين واللسان الأعجمي، ونستمتع بمنجزين للأعمال المهنية بدقة وتفصيل متفان، ذلك أن الإنسان إذا طبع نفسه بالذوق الرفيع، والحسّ المرهف فسيستجلى ذلك في أعماله الحسنة، وفي أقواله الموزونة، وفي منجزاته الحضارية.

إخوة الإيمان:

إن الجمال نعمة إلهية لا ينبغي أن نستيهن به في حياتنا وأمورنا، ذلك أنه مناط الاحتكام في عاداتنا اليومية، والضابط لمستورداتنا الحضارية من الألبسة والأقمشة والأنماط المعيشية المتعددة، فقد يتساءل المرء مثلا عن ضابط الجمال في الزينة، وعن الألبسة المسموح باقتنائها والمحظورة علينا، فإننا سنعثر على الجواب في الاحتكام إلى قيمة الجمال لدى الإنسان السليم الفطرة، النقي السريرة، العابد لربه الجميل بحسن وصفاء، يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا، وَلِبَاسَ التَّقْوَى، ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، (سورة الأعراف: 26)، فالله شرع لنا أن نلبس ألبسة تُزين ظواهرنا، ونُجمل بواطننا، وتستر عوراتنا، وكلُّ لباس خرج عن هذه الضوابط، فقد أخل بالجمال والزينة، وصارت له مقاصد أخرى.. فمن لبس لباسا للاعب كرة القدم إعجابا به، أو سرح شعره بتسريحة مقتديا فيها بماجن أو ديوث أو ملعون، فإنه في هذه الحالة خرج عن مقتضى الجمال، ولبس لباسا غير لباس التقوى الجميل عند الله خالق الجمال، ذلك لأن اللباس الذي اختاره هذا الشاب فيه الفحش والشهرة، وفيه الفتنة والميوعة، وهذا يتنافى تماما مع الجمال الحسي والمعنوي الذي أودعه الله في كامل كونه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال

رسول الله ﷺ: «من لبس ثوب شهرة في الدنيا، ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، ثم أَلْهَبَ فيه نارا»⁽¹⁾. ومن هذا الباب أيضا **أيها الطيبون** نقيس لباس بناتنا في المدارس وفي أزقة شوارعنا.. فمن لبست خمارا مزركشا كثير الألوان، واقتنت معطفاً أنثوي اللون جذاب المنظر، فقد خرجت عن مقتضى الجمال الذي يقره رب الجمال لخلقها، وأبدلت بالجمال الإلهي المتناسق البديع في الكون جمالاً فاسداً يُفضي إلى المجون والفتنة في الأنفس، ويؤدي إلى الفحش والمنكر، ويتناقض مع إقراره تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، (سورة النور: 31)، فحكمة الله الجميل تقتضي أن يُضبط الجمال في الدنيا بنظرة شمولية وكونية يتناسق فيها الحسي مع المعنوي من غير تعارض ولا تناقض، بينما يُطلق العنان لأهل الجنة في اختيار الجمال الحسي الأخاذ بكل أطيافه وأنساقه بدون قيد ولا اعتبار، فيقول تعالى عن أهل الجنة: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا، مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا، وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَيْدِيهِمْ فَطُوفُوا فِيهَا تَذَلُّلاً، وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَنَاتٍ مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَافٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا، قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا، وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا، عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا، وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا، وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعٌ أُسَاوِرٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا، إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا﴾، (سورة الإنسان: 12-22).

أيها المسلمون:

من حكمة الله تعالى في الجمال أن جعله قرينا بالمنفعة، فلا يُطلب الجمال لذاته، أو يبحث عنه لأجل إشباع الغرائز فقط، أو لأجل اللهو والعبث، وإنما الجمال قيمة ذوقية يُقرن

(1) ابن ماجه، السنن، كتاب اللباس، باب من لبس شهرة من الثياب، رقم: 3607.

بالمنفعة التي ترتبط به، ولذلك لا يصح أن تُربى الخيول مثلاً لأجل التباهي بجمالها ومنظرها دون الانتفاع بها عملياً في الحرث أو الحرب أو السفر، ومن هنا لا نستغرب ما فعله سيدنا سليمان عليه السلام -حسب بعض التفاسير- من أنه ذبح عدداً هائلاً من الخيول التي مرت أمامه مجرد أنها أخرت عليه الصلاة وأنسته ذكر الله قبل الغروب، فكيف ينبغي أن يفعل من ألهمته هذه الخيول عن تسخيرها فيما يعود بالنفع على الناس أو أتى بها فحشاً وقماراً كما هو مبسوط في بعض القنوات الفاسدة التي تختص بالخيول، يقول تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ، إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ، فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ، رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾، (سورة ص: 30-33).

وفي القرآن دليل آخر عن ضرورة حصول المنفعة من الجمال، وهو اقتران ذكر الله تعالى للجمال اللطيف في الأنعام بتلذذنا بأكلها، وانتفاعنا بلباسها الكاسي (الجلود)، وبرفعها لأثقالنا، يقول تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ، وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، (سورة النحل: 05-08).

جملنا الله أجمعين بالإيمان، وزيننا بزينة الإسلام، وأصلح شؤوننا كلها، وهدانا إلى صراط مستقيم.

اللهم وفقنا أن نتدبر ملكوتك، ونقتفي جميل خلقك وبديع صنعك في أعمالنا وأقوالنا. اللهم انفعنا بما علمتنا وزدنا علماً يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الغني الماجد، الفرد الصمد الواحد، الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبداً لله ورسوله، أفضل الخلائق وأعلامهم جمالا، وأحسنهم خلقا وخلقا وكمالا، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الأطهار، وصحابته الأخيار، وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: إخوتي في الله:

إن تأمل الجمال -ليس كما يظن الكثير منا- أمرًا ثانويا وشكليا، بل هو عادة حميدة ينبغي تعلمها وتعليمها للناشئة بطرق منهجية مضبوطة، ففي بعض الدول يحرص المربون على غرس بذور هذه العادة الجميلة في سنّ الطفولة المبكرة، وتعليم الأطفال مهارة التأمل والتذوق الجمالي منذ الصغر، حتى يرتقي حسّهم الفني، وتُصقل معارفهم بمهارات الحسن الرفيع، فيجنون ثمار هذه التربية الحسنة في دقة الصنع والإنتاج، ويستفيدون منها في منجزاتهم وأعمالهم، وهو ما نعاني من نقصه بشدة في شتى مناحي حياتنا نحن المسلمين.

ولا ريب أيها الطيبون أن الجمال ليس مقصدا بذاته، وإنما وسيلة لحب الأخلاق والصفات الحميدة، وطريق لحب الجميل من الأقوال والكلمات، والجميل من المفاهيم والتصورات. والجمال أيضا مطية لبلوغ العيش الكريم في جو عذب طاهر خال من معكرات الصفو والشوائب، ولذلك فلا ريب من أن الإنسان الذي يخرج من بيته فيشاهد زكاما من الأوساخ والقمامات هنا وهناك يصعب عليه أن يكتسب الحسّ الرقيق، والتذوق اللطيف، ومن ثم لا ننتظر منه الكثير في التغيير الإيجابي في الحياة، سواء كان مواطنا بسيطا أو مسؤولا كبيرا.

أيها المتقون:

هل من استفاقة صريحة على واقعنا، وهل من مشفق من؟؟ الأردام والأوساخ

والقاذورات التي تغطي على الأزقة وجبل الشيخ بالحاج وطريق الوادي ومجاري المياه والسواقي، فلقد غدت طرقاتنا تبكي من تحول الزمان عليها.. فبعد أن ألفت أناسا مجدين يحملون المياه النظيفة إلى بيوتهم عبر كواهلهم المذلة، ثم يحملونها مرة أخرى بعد توظيفها في غسيل المطبخ أو الحمام، ليفرغوها في "الشبارات"، وكانوا أيضا يتولون رمي القاذورات في المفرزات "الزوية" بأنفسهم في الغالب، وإذا بجيل يخلفهم قد وفرت لهم كل سبل الرقي الحضاري، فصار الماء يصل إلى منازلهم عبر الحنفيات، ويُسخَّن آليا عبر المدفآت المائية، وبات عمال النظافة يتولون رفع القمامات من أمام منازلهم يوميا ما عدا أيام العطل، إلا أنه مع كل هذه التسهيلات صار الواحد منا لا يقدر على تحسين حيه، أو تنظيف مدخل منزله، أو معاهدة الساقية وطريق الوادي بالمراقبة والنظافة، أو إيجاد حل لتعليق الإعلانات في الجدر، إلى غيرها من مظاهر التخلف المستفحلة في محيطنا.

إخوة الكرام:

إذا استرسلنا في المقارنة بين الإنسان الماضي والحاضر فسنعثر على العجائب والغرائب... فيا ترى ما الذي ألمات القلوب، وأرقد الضمائر، وما الذي حرك الأولين، وألمات الآخرين.. ولما الإهمال والأنانية وحب الذات.. وما السبب أن يتنا نمر على الوضع السيئ والمحيط الوسخ ببدلاتنا الأنيقة وسياراتنا الفخمة ولا نبالي بالأجواء المعكّرة، ولا نُحسُّ بالخدش في نفوسنا، ولا بالوخز في ضمائرنا، إلا من رحم ربك.

أيها الصالحون: لنُشَبِّع أنفسنا بحب الجمال والاستمتاع به، حتى نستطيع أن نُنفق من وقتنا وأموالنا وتفكيرنا في سبيل تحسين حالنا، ونسعى أن نربي الوسخين الغافلين الذين يفسدون ولا يصلحون، ويعتدون على الناس برمي الردم والأوساخ في الأماكن العامة ولا يبالون من نزعها سريعا.

أيها الكرام:

إن فائدة حملات التطوع لا تقتصر على حمل الأدران والأوساخ من الطرقات والأودية، وإنما هي وسيلةٌ للم شمل أهل الحي وربط المشاعر ببعضها، وطريقةٌ مبتكرةٌ لاجتماع الآباء مع أولادهم في جو تطوعي تحفه الملائكة ويرعاهم رب العرش الكريم، فضلا عن أن هذه الحملات المستمرة هي اكتساب للتواضع في شكله العملي، ذلك لأن مجتمعا في حاجة ماسة إليه، كي يتكتل حسيا ومعنويا، فيرتقي اقتصادنا الضعيف أو شبه الضعيف، وتتقوى العلاقات الاجتماعية بيننا، فنصبر على بعضنا في أعمالنا وتجارتنا وصناعتنا، ولا مناص إخواني أن نعقد مقارنة مع بعض قرى وادي مزاب التي فتح الله عليهم من خزائنه بالمال الوفير، فنجد أن السبب الأول راجع إلى اتساع قلوبهم بالإيمان، وتواضعهم لرب الأرباب في نفوسهم، وتضامنهم في الأشغال الجماعية دون أي تمييز بينهم؛ الراعي مع الدكتور، الأجير مع المهندس، الفلاح مع المستورد، الفقير إلى جانب الغني، الشاب مع الكهل، المسؤول الاجتماعي في العزابة أو الأعيان أو العشائر مع الموظف والتاجر، فالكُل يعمل في صمت وانتظام وتناسق دائم، وهذا عين الجمال الذي ننشده أيها الكرام الطيبون، وهو السر الذي نبتغيه لتشتد شوكتنا، ويصوب تخطيطنا واستشرافنا، فنعمل سويا يدا واحدة، فلا يقدر أن يدخل الوسخ بيننا، ليعكر الصفو، أو ينشر الرذيلة في مجتمعنا، مهما علا شأنه، ومهما تمسك بمن يملئ عليه الإجماع، فإن الأبواب بإذن الله سيلفها موصدة، مادامت القلوب واعية، والبواطن صافية، والظواهر جميلة نقية.

وفي الأخير أدعوك أخي المؤمن أن نتخذ عطلة الربيع القادمة مرتعا للنظافة العامة في البلدة، فيتجند الشباب والفتيان، ويجتمع الكهول والشيخوخ، ويحضر تلاميذ المدارس والجمعيات من كل حدب وصوب، سواء كانوا من: (المدرسة الجابرية ذكور، أو المدارس

الرسمية والخاصة، أو طلبة مشروع مرافقة الطلبة الثانويين، أو المنخرطين في الجمعيات الرياضية والشبانية، أو طلبة الجامعات)، كما تنظم حملات للتلميذات لتنظيف الأماكن العامة كالمساجد والعشائر ودور العلم، وهي فرصة لهم لزيارتها والوقوف على معلمها، سواء كن من: (المدرسة الجابرية إناث، أو المدارس القرآنية للبنات، أو المدارس الخاصة، أو طالبات مشروع مرافقة الطلبة، أو طالبات الجامعة، أو الجمعيات النسوية، أو التلميذات القاديات من التل)، وأدعو الجميع بدون استثناء بالتبع للمشاركة بفعالية لأجل أن نبحت عن الجمال من حولنا، وننعم به في وقفات قصيرة، وننثره على محيطنا، فبذلك نزرع بسمه الرضا والأمل في النفس المتعبة، ونروح عنها لبعض الوقت، ونذكرها بأن الحياة ليست - كما نتوهم أحياناً - صحراء جامدة قاحلة، فهي ملى بالكثير والكثير من ينابيع السعادة وواحات الأمل، ولا يهتدي إليها إلا من تعلم فن التأمل، واستمع إلى همسات الزهور، ونظف محيطه لأجل أن يريح الناظرين بالجمال الذي أودعه الله في كونه البديع.

يا رب أجب دعاءنا، وسهل أمورنا، يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا تَقْصِيرَنَا فِي إِقَامَةِ شَرَعِكَ عَلَى مَا يَرْضِيكَ.
اللَّهُمَّ يَأْمَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَيَأْمَنْ خَلَقَ فَسَوَّى وَقَدَّرَ فَهَدَى، وَيَا مَنْ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى، وَيَا مَنْ أَنْارَ الْأَبْصَارَ، وَأَحْيَا الضَّمَائِرَ وَالْأَفْكَارَ، اشرح صدور أمتنا أن يهتموا بمحيطهم وبيئتهم، ويخصصوا مجالا واسعا من تفكيرهم في تنظيم شؤون مجتمعهم، ويخرجوا أموالا مباركة لأجل النفع العام، وينفقوا أوقاتا طيبة في سبيل إقامة بلد نظيف وجميل.

اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسِنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللهم يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، أنزل علينا غيثا نافعا ولا تجعلنا من الآيسين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً ورخاءً وسائر بلاد المسلمين، وباعد عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وخذ الظالمين الذين عتوا في أرضنا فساداً أخذ عزيز مقتدر فإنهم لا يعجزونك، وأرنا فيهم عجائب قدرتك يا رب العالمين.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90)، ﴿وَلَذِكُرِ اللَّهَ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (سورة العنكبوت: 45). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

الجوهرة الضائعة من أزقة يسجن وبساتينها

الحمد لله المستحق للحمد، نحمده حمد الطائعين المقرين بأنه جميل يحب الجمال، ونشكره شكر المعترفين بإحسان الله عليهم في الحياة الدنيا والآخرة، المعترفين بأنه فطر الخلق على ما تستحسنه العقول السليمة، فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، (سورة البقرة: 222).

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله جاء بالشرعية السمحة، ورفع عنا الآصال والأغلال، وأدبنا فأحسن تأديبنا، صلى الله عليه وسلم، وبارك عليه وعلى آله وصحبه الأطهار، وعلى من تبعهم بإحسان في الأقوال والأفعال إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم إخواني بتقوى الله عز وجل في السر والعلن؛ لأن السعيد من تدبر أمره، وأخذ حذرَه واستعد ليوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وتقدم إلى الله بأعماله الطاهرة النقية راجياً بها مرضاته ونفع عياله.

أيها المسلمون:

إن الإسلام دينُ الفطرة، دينٌ يجمع البشاشة في حياء، وحسن الخلق في ابتسامة. دينٌ يعترف بما للبشر من أشواق قلبية، وحظوظ نفسية، وطبائع إنسانية.

وديننا يأمرنا بتطهير العقيدة وتنقيتها من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، ويأمرنا بتطهير الظاهر من بدن الإنسان وثوبه وبقعته، ليجمع المسلم بين النظافتين، ويحافظ على الطهارتين.

والإسلام حريص على أخذ أبنائه بنظافة النفس مع نظافة الحس، وصفاء القلب مع نقاء البدن، وسلامة الصدر مع سلامة الجسد، وبهذا امتن الله على بني آدم كلهم بجمالين:

جمال اللباس والزينة لتجميل ظواهرهم، و جمال التقوى لتجميل بواطنهم، فقال عز شأنه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَتَكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾، (سورة الأعراف: 26)، ثم قال عن أهل الجنة: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا، وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَخَرِيرًا﴾، (سورة الإنسان: 11-12)، فجمل وجوههم بالنضرة، وبواطنهم بالسرور، وأبدانهم بالحرير.

فليست النظافة على هامش التشريعات في الإسلام، فالله جميل يحب الجمال، والنظافة جمالٌ بحد ذاتها. وقد استطاع الإسلام منذ بزوغ فجره، أن يصير المجتمع البدوي البسيط، مجتمعاً يعتبر النظافة جزءاً أساسياً من تكوين شخصيته الإيمانية، وأن يجعل النظافة أمراً تعبدياً للفرد والمجتمع.

أيها الإخوة المؤمنون:

هذا ما يريده ديننا العظيم منا، فهو يريد أن نكون نظيفين في كل شيء؛ في الجسد واللباس والبيت والشارع والبيئة والمحيط، فعن سعيد بن المسيب ض قال: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ»⁽¹⁾. ونبينا محمد ﷺ يشيد بتنظيف حدائقنا المولية لبيوتنا ويقول: «نَظُّفُوا أَفْنِيَّتَكُمْ»⁽²⁾، وهو حديث وإن كان ضعيفاً من حيث السند، إلا أن معناه العام صحيح، ويتناسب مع كليات الدين، ومع نصوص أخرى أكثر وثوقاً، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، (سورة البقرة: 222)، وفي سورة التوبة أشار الله إلى العناية بالمساجد فذكر لنا صفات هؤلاء الرجال فقال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾، (سورة التوبة: 108).

(1) الترمذي، السنن، كتاب الأدب، باب النظافة، رقم: 2799.

(2) المصدر نفسه.

أيها المسلمون:

لما تخلينا عن أداء الواجب؟ وتركنا العمل بسنة نبينا محمد ﷺ، مع ادعائنا جميعاً أننا نحب رسول الله ﷺ وسنته، فواقع المسلمين بداية من المظاهر التي تشاهد أمام بيوتهم ومنازلهم تخالف تماماً ما يقره نبيهم محمد ﷺ، وذلك حينما يؤكد في أكثر من حديث: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحيا شعبة من الإيمان»⁽¹⁾. فالدين كما يقره الرسول ﷺ كل متكامل، فلا يحق أن نتخلى عن الكلمة الباقية، والكلمة الطيبة التي هي: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، كما لا يحق لنا البتة أن نتغاضى عن أدنى واجبات الإيمان، فنترك العمل بإماطة الأذى عن الطريق، الذي يندرج ضمن مستكملات الإيمان بالله تعالى، وليس خارجاً عنه البتة، بدليل: الإيمان درجات، فيها الأعلى والأدنى، وإماطة الأذى جزء من الكل، وهو ما يؤكد حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي يصف المسلم، فيقول عنه النبي ﷺ: «يُمِيط الأذى عن الطريق صدقة»⁽²⁾.

أيها الأحبة:

لماذا اكتفى الواحد منا بترتيب مظهره الخاص، وتنظيف لباسه وجسده، واهتمت زوجته بتنظيف بيتها مرة أو مرتين في اليوم، ولم يستطع هو أن ينظف محيطة، مرة في الشهر، أو مرتين في السنة، أليس هذا عيباً فينا، وقلةً للشهامة والحرقة على أوامر الله تعالى المستفيضة في الموضوع، وابتعاداً عن الفطرة السليمة النقية، ألم يرغبنا رسولنا محمد ﷺ في النظافة وصحة الأجسام، واعتنى بها عناية فائقة، واعتبرها من صميم رسالته، فشرع الغسل لكل

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، رقم: 35.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه، رقم: 2989.

صلاة، وكلّف المسلم أن يغسل جسمه كلّ غسلاً جيّداً في أحيان كثيرة كغسل الجنابة، وغسل الجمعة، وذلك فمه بالسواك، وإصلاح شعره، وحلق عانته، وتقليم أظفاره، وقص شاربه، ونتف إبطه، فلماذا عملنا بهذه، وتركنا ما هو من حق الأمة والصالح العام.

اللهم أعنا يا ربنا للوصول إلى الخير كله.

واللهم ثبت قلوبنا على الصبر الجميل لبلوغ مقصد تفعيل كل الناس لنظافة أحيائهم، وإقناع كل أعضاء المجتمع بقيمة الجمال، وبفظاعة وضع الأوساخ والأردام في غير موضوعها.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أمرنا بالنظافة وأحب المتطهرين، والحمد لله أن
رغب إلينا الطهارة ورتب شرائع ديننا على الطهارة والالتزام بها.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة السامعين الطائعين، وشهادة
العاملين بشرعه المتين، والمستجيبين لكل مستكملت الإيمان، وأشهد أن سيدنا وحبينا
محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين وسيد الأبرار.

أما بعد: إخوة الإيمان:

من الأكيد أنه إذا استوقفنا أنفسنا برهة من الزمن للنظر في أزقتنا وبساتيننا فسيؤرّفنا
وضعها الحالي وسيقلّقنا ما آلت إليه أنفسنا؟ وإذا استمرينا في الغفلة واللامبالاة لأعوام
أخرى فإننا سنألّف الوضع وسنستسيغه طوعاً وكرهاً.. مما يحتم علينا أن نحوّل النظافة إلى
سلوك مجتمعي، ونجعل من إمطة الأذى عن الطريق عملاً جماعياً حضارياً، تتكاتف من
أجله الجهود باستغلال الوسائل الحديثة، وتنظيم برامج النظافة وحملات التوعية الإعلامية،
وعبر تفعيل دور الدولة والبلدية في القيام بمسؤوليتهما في المتابعة والمحاسبة.

لنبدأ إخواني في الله بتحريك الأشجان، وإيقاظ الضمائر الحية، ولنبدأ الطريق الطويل
الشاق بالخطوة والخطوتين، ولنعزم بحزم أن نغير واقعنا وأنفسنا، حتى يغير الله ما بنا من
أمراض وأوساخ وتخلف ومشاهد منتنة يندى لها الجبين، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ
مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، (سورة الرعد: 11)، وفي هذا السبيل أضع بين أيديكم هذه
النقاط لتكون سبباً لمعالجة وضعنا إن شاء الله.

أولاً: نسأل أنفسنا بجرأة وحزم، هل يشعر كل فرد منا بأنّ النظافة مسؤولية شرعية؟

- وهل يعتبر كل فرد منا أن النظافة واجبة كبقية الواجبات، وأنها فريضة كبقية

الفرائض؟

- وهل نعتقد أننا سنتحمل تبعيتها يوم القيامة أمام الله تعالى، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وحي نظيف؟

فلنعلم أنه ما لم تُرقَّ إيماننا ليُجعل الواحد منا نظافةً حيه من تمام دينه، والإخلال بها مثل الإخلال بشعائر الله المنصوص عليها في القرآن والسنة، فإننا سنبقى وسخين، وسنعيش أمام كومات من الزبالة والقمامات أمام بيوتنا وبساتيننا دون حرج، فيصدق علينا قولُ رسولنا محمد ﷺ، «إذا لم تستح فافعل ما شئت»⁽¹⁾.

ثانياً: لا بد من تغيير تفكيرنا أن اجتهاد الغرب في تنظيف أحيائهم ومدنهم إنما ينبع من حبهم للعالم، وركوبهم إلى زخارفها، في حين أن العناية بالنظافة لا يعني حبَّ الدنيا والاعتزاز بها، ولا ترك العناية بها يُفضي أن المرء متعلق بالله مهموم بالآخرة، كلا.. فلا شيء من ذلك حقيقة، وإلا لما شرع الله تنظيف أجسادنا حين الاستنجاء والوضوء والغسل من الجنابة أو الحيض أو النفاس ولما اعتبرها جل وعلا مفتاح العبادات، بل إنه جعل تلك الأفعال من جنس العبادة نفسها، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾، (سورة المائدة: 06).

ثالثاً: تشوهت صورة الإسلام كثيراً جراء التخلف الحضاري، ونشر الوسخ في كل أرجاء مدن المسلمين، ولمز الخاص والعام الإسلام من خلال تصرفات سفهاء المسلمين، مع أن الله عز شأنه أمر عباده المؤمنين أن يعمرُوا أرضه بالخير فقال: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، (سورة هود: 61)، ودعاهم أن يصونها من كل شر، ويحفظوها من التدمير، فقال في سورة الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، (سورة الأعراف: 56)، ثم

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم: 3484.

أتبع كلامه في نفس الموضع قائلاً: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، (سورة الأعراف: 74)، ثم نهى عن تلويث البيئة وتخريب الزرع فقال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾، (سورة البقرة: 205)، أفبعد كل هذه النصوص القوارع نجدك أيها المؤمن بالله تستهتر بمحيطك، وترمي قاذوراتك أمام بستانك يوم الجمعة والعطل، فوالله إنَّ استمرارنا على هذا الوضع من موت القلوب، وفناء الضمائر، وانعدام الحس.. عسى الله أن يأتي بقوم يحبهم ويحبونه، فيحفظوا لجمال الطبيعة حقها، ويعملوا على الاستمتاع بكون الله كما أبدعه جميلاً خلاباً.

رابعاً: أدعو الله بتفان وإخلاص أن يقنعنا بالعودة إلى صنيع من قبلنا، من الذين وهبهم الله نظراً ثاقباً، وبصيرة نافذة، وحكمة رشيدة رغم قلة ذات اليد، وضعف تكوينهم، فكان الواحد منهم يخرج قمامته في وقتها ويضعها أمام بيته في بيدون من نيلون أو الفينيل، وهذا كفيل إخوة الإيمان بالقضاء النهائي على مشكلة القمامة، وتجمّعها في حاويات تتلاعب بها القطط والكلاب طوال الليل، فتنشأ مزابل مصغرة في الأحياء، وكأني بالناس في حاجة إلى أمكنة مفتوحة أربعة وعشرين ساعة على أربعة وعشرين ساعة لوضع نفاياتهم، وهذا عين الحماقة والسفاهة، لكن ما الحيلة والغرب فعلوا فلا بد أن نفعل، وهم إن أقاموها بأمر فلديهم وعي وحسّ الجمال، ونحن أقمنها بأذواق بليدة، ونفوس غير منضبطة بالأوقات.

خامساً: ليتنا أيها الصالحون ندرك حقيقة الله الجميل، ونحبّه لحبه الحسن والكمال والتناسق والانسجام، ويا ليتنا نستفيق من غفوتنا فنكف عن تلويث مجاري المياه وضفاف الوادي بالقمامات، ويا ليتنا نفقه أن الترويح عن النفس يوم الجمعة يكتمل بحمل القمامة في سيارتنا إلى دارنا لنخرجها في صباح يوم الغد، أو نضعها في الأماكن الجديدة المخصصة لها

لمن ليست له راحلة، وبهذا نستغني عن تربية العقارب والشعابين والحشرات الضارة أمام بساتيننا لأجل سوء تديرنا وغفلتنا.

وأخيرا لا أرى أي ضرورة أن أدعو إلى المشاركة في حملات التطوع لأجل تنظيف أحياء المدينة أو الواحة الباهتة والوسخة، ما دام الكثير منا وللأسف مستكبرا ومستعليا عن مثل هذه الأفعال، ويرى نفسه مسؤولا عن مؤسسات عرفية أو إطارا في مناصب رسمية عالية، أو باحثا وعالما نخبيا، أو موظفا أنيقا، أو مديرا وأستاذا، أو مقاولا، أو تاجرا، أو عاملا، ليس لديه وقت ينفقه في هذه الترهات، ولديه من الأعمال ما يشغله عن هذه المهمة التي كان يُفترض أن يقوم بها من هو دونه.

اللهم اشرح صدور أمتنا لحب النظافة، ونبذ الأوساخ.
اللهم اهد نساءنا لتربية أبنائهم على الاعتناء بالبيئة وجمال المحيط، واهدن إلى الالتزام بالآوقات المخصصة لإخراج النفايات.
يا رب أزل العجب والاستعلاء من قلوبنا، وطهر النفوس من الكبرياء وحب الذات، وأعنا على استرجاع نظارة أزقتنا وبساتيننا التي كانت مضرب المثل في الحسّ الرقيق، والذوق اللطيف.

يا رب أجب دعاءنا، وسهل أمورنا، يا ذا الجلال والإكرام.
اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا تَقْصِيرَنَا فِي إِقَامَةِ شَرْعِكَ عَلَى مَا يَرْضِيكَ.
اللَّهُمَّ يَا مَنْ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى، يَا مَنْ أَنْارَ الْأَبْصَارَ، وَأَحْيَا الضَّمَائِرَ وَالْأَفْكَارَ، أَغْنِنَا كَمَا أَغْنَتْ مَعْظَمَ أَرْضِي الْعَالَمِينَ بِالماءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرْدِ، وَندعوك أن تفقهننا في قولك، وقولك الحق: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾، (سورة الجن: 16).

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً ورخاءً وسائر بلاد المسلمين، وباعد عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، (سورة البقرة: 286).

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90)، ﴿وَلَذِكُرِ اللَّهَ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (سورة العنكبوت: 45).

وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

ترميم تَرْجُوين، وإحياء أوقاف البساتين⁽¹⁾

الحمد لله ربّ العالمين، الذي أنزل من السماء ماءً بقدرٍ فأجراه وديانا وأنهاراً، وسُبْحانَهُ الذي أنزل ماءً طهوراً بقدرته ومنّه. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا ونبيّنا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أرسله الله بشيراً ونذيراً، وقال عنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾؛ (سورة التوبة: 128)، فاللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ، فاتقوا الله معاشِرَ المسلمين، وأجملوا في الطلب، وأحسنوا إلى ربكم في السر والعلن، وارجوا اليوم الآخر، ولا تعثوا في الأرض مفسدين.

يَا عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ نِعَمَ اللهِ عَلَى الْإِنْسَانِ لَا يَحُدُّهَا حَدٌّ، وَلَا يُحْصِيهَا عَدٌّ، وَلَا يُسْتَتَى مِنْ عُمُومِهَا أَحَدٌ، فَهِيَ نِعَمٌ عَامَّةٌ، سَابِغَةٌ وَتَامَّةٌ، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (سورة النحل: 18)، ويقول جلّ شأنه: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، (سورة لقمان: 20).

ومن بين أجلّ نِعَمِ اللهِ على الإنسان نِعْمَةُ الْمَاءِ.. كيف لا والماء عصب الحياة، وأصل الوجود على كوكب الأرض، وهو مجلب الشعوب لتأسيس حضاراتها على ضفاف الأنهار والبحار، يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، (سورة الأنبياء: 30)، فإنه لولا

(1) اعتمدت في المادة العلمية على تقرير علمي من إنجاز بلدية بنورة، ولاية غرداية، بعنوان: "ترميم وإعادة التأهيل لنظام تقسيم المياه بواحة بني يزقن". دون تاريخ.

الماء ما استطاع أن يعيش إنسان، وما حيي حيوان، وما نبت زرع أو شجر.. فمن الماء يشرب الإنسان، ومنه يخرج المرعى، وبه تكسى الأرض بساطاً أخضر؛ فتبدو للناظرين أجمل وأنضر، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 10-11).

ولأجل الفوائد الجمّة التي تضمّنها التركيبة الكيميائية للماء وخصائصه الفيزيائية فإن القرآن الكريم حفل بذكره والتنويه بشأنه في أكثر من آية، ومن ذلك ما ذكر أنه إما أن يكون:

- نازلاً من السماء، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾، (سورة الزمر: 21).

- أو خارجاً من الأرض، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارِ لَمَّا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾، (سورة البقرة: 74).

- أو محتزناً في الأرض لوقت الحاجة، يقول جل شأنه: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ﴾، (سورة المؤمنون: 18).

إخوة الإيمان:

إن الله جعل الأرض خزانات ضخمة للمياه تستقر بتقدير من الله خالق السماوات والأنهار في مسام الصخور الرسوبية، والتي يفترض أنها تجمعت عبر سنين غابرة من خلال المطر أو الأنهار الدائمة أو الموسمية أو الجليد الذائب فتتسرب إليها المياه من سطح الأرض، ويفترض أن الله خلق الخزانات الجوفية الارتوازية بها مياه منذ خلقها الأولى، وفي كلتا الحالتين فإنها رحمة الله بخلقه في المعمورة، إما يخلقهم في مناطق ممطرة بكثافة ويحيطهم

بالبحار أو الأنهار أو المحيطات، أو يخلقهم في مناطق صحراوية قاحلة جافة، ويضع تحت أرجلهم مياهًا جوفيةً تُستغل عبر وسائل النضح المتعددة، فيشرب منها كل كائن حي، وذلك لأن حكمة الله قدرت أن لا شيء يحيى بغير قطرة الماء.

أيها المؤمنون:

ولحكمة يريد بها الله شاء أن يكون عباده دائمي التعلق به.. فإذا الآبار نَضَبَتْ، والأشجار يَبَسَتْ، والأرض قَحَطَتْ، والنخيل عطِشت، ونخيل الوادي ذَبَلَتْ، فعلى الناس أن يتضرعوا إلى ربهم ليزيل عنهم البأس، وعليهم أن يتعدوا عن المعاصي ما ظهر منها وما بطن عملاً بما أمر الله به قوم هود حين قال لهم نبيهم: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾، (سورة هود: 52). أما إذا فتح الله عليهم بماء منهمر من السماء، وأكثر عليهم نعمه الوافرة، وخيراته العامرة، فصارت سماؤهم تُمَطَّرُ، وأشجارهم تُزهر، وأرضهم تَخْضُرُ، ونخيلهم تُثْمِرُ، وآبارهم تَعْمُرُ، فعليهم بشكر المنان القدير، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، (سورة إبراهيم: 07).

أيها المسلمون:

لنكثر الشاء على الله بألستنا لما حبانا به هذه الشهور الأخيرة من وديان طافية، وأمطار هادئة، وجنبنا كلَّ سوء من مائه الذي أصاب الناس في مشارق الأرض ومغاربها من فيضانات وسيول جارفة قاتلة، ولنشكر الله أيها المجلون لربهم باجتنا نواحيه والامثال لطاعته، ولنحمده بالإناابة إليه بقلوبنا، وبالاعتقاد أن هذه النعم فضل منه ورحمة وإحسان. فاللهم لك الحمد والشكر على آلائك التي لا تُعدُّ ولا تُحصى.

واللهم لو شئت لجعلت الماء بلية ونقمة، فاجعله لنا رحمة ونعمة، واللهم لو شئت

لجعلت ماءنا أجاجاً، ولكن برحمتك جعلته عذباً زلالاً، فلك الشكر ولك الحمد يا رب بما
أنعمت وكفيت وحفظت. اللهم لك الشكر ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا
رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: أيها المصلون.

إِنَّ شُكْرَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى نِعْمَةِ الْمَاءِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الشُّكْرِ بِاللِّسَانِ، بَلْ يَتَعَدَّاهُ إِلَى الشُّكْرِ بِالْجَنَانِ، وَحُسْنِ التَّصَرُّفِ فِي الاسْتِغْلَالِ، والاقتصاد في الاستعمال، يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، (سورة الأعراف: 31).

أيها المتقون:

إن السُّنَنَ الكونيةَ التي أجزاها الله عزَّ وجلَّ لتُعَلِّمُنَا وتُرشدُنَا إلى الحفاظ على كل قطرة من ماء أنزلها الله من السماء ليحي الأرض بعد موتها، يقول تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّبُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (سورة الحج: 05-06)، وفي هذا السبيل أقام أجدادنا مصارفَ خاصة، وبنوا منشآت دقيقة، تُوصل كلَّ قطرة من ماء أنعمها الله إلى مستحقيها من خلقه؛ عبادا كانوا أو حيوانات أو حشرات أو نبات، فالكل لهم حقُّ الحياة بإذن ربهم الذي يُحْيِي وَيُمِيت. ولقد أفلحوا في شكر ربهم قولاً وعملاً، ووفقهم ربهم بإمكانات جد بسيطة لتأسيس نظام تقليدي للري دقيق وفعال، ابتغاء شكر المنعم الفتح، وبهدف تقسيم مياه سيول وادي مزاب وفق مبدأ العدل في الاستغلال، ويعتمد على تغذية شبكة الآبار بمياه السيول الموسمية لتوزع على الناس بعد ذلك بالسوية.

إخوة الإيمان:

لعل من بين الأنظمة البديعة في العالم نظام استغلال مياه وادي انتيسة لواحات يسجن الغراء، والذي يبدأ من تجمع مياه الأمطار من الشعاب والجبال المحيطة بوادي انتيسة فينتجه إلى سد أحباس أجديد الواقع في الرق، ثم يتولى أمناء السيول (لاؤمنا) فتح نوافذ الماء لتتوجه

المياه إلى "طارُونِي أَنْ وَأَمَان"، لينساب جزءٌ من الماء من "المغدر" إلى ساقية "تَارْجَا أَنْ تُعْرِيت"، وما زاد عن ماء ساقية "تغريت" يسيل في مجرى ساقية "تَارْجَا نِ غُولَاد"، ثم إلى ساقية "أَوَامَس"، والفائض الأخير يسيل في وسط مجرى الوادي العام بعد أن يكون الماء قد توجه كذلك إلى ساقية "بوشْمجان".

وللعلم فإن الماء في طريق سيله في مجرى الوادي أو عند حجزه في سد "أَحْبَاس" فإنه بفضل الله تعالى ينساب إلى الطبقة الجوفية السطحية، وجزءٌ كبيرٌ منه يصرف إلى الآبار المسماة "البالوعة" وهي آبار عميقة تمكّن من احتواء الماء المنساب قبل جفافه، وقبل أن يفيض إلى وادي مزاب، وهذه الآبار وغيرها حفرها أجدادنا في عمق 20م أو تزيد بوسائل تقليدية، وأقاموا صرحها بتقوى الله ورضوانه، ليأتي أبناءهم فينضحوا الماء عبر "أجباد" ويفيضوا الماء في "أَسْقِي" و"تَرْجَوِين" فيشرب منها الطيرُ والبهائم والنبات والناس أجمعين.

أيهااأأ

أيها المعبرون:

لنتدبر حالَ تفاصيل مياه الري واقعيًا، ونتحدث عن الآبار "البالوعة" في إنغيد وانتيسة والشعبة وكذا "تِيرَسْت نَ الشُّرُون"، هل نحن نرعاها حاليًا بالترميم؟ وهل نزيل عنها الأوساخ والأتربة؟ لتمدُّنا هذه الآبار بعد ذلك بالماء الذي هو عصب الحياة؟

أم أن المياه الجوفية الارتوازية أنستنا إياها، وزهدتنا في عطائها، فأعرضنا عن خدماتها بعد أن سقت غابتنا لقرون؟ ثم تركنا شرفاتها تسقط، وتركنا رسومها تندثر عبر الأيام كما انتدثر أهلها الصالحون الذين حفروها بمعية الله وعونه.

وهل وعينا إخوة الإيمان النظامَ البديعَ لمسالك الماء تحت الأرض، وطول الأنفاق الواقعة بين الآبار الأربعة ناحية بباسة؟

وهل رعيننا حالة الآبار العشر "لُورَاوَر" التي لا ينضب معينها بإذن ربها؟
وهل تحسبنا وضعية آبار "تَقْبَلِيَّين"؟ التي هُيئت لتستقبل القبلة إلى يوم المعاد، ولعل
مَنْ حفرها يرمي أن تكون كلُّ واحدة رافعةً لسخط الله على يسجن جراء وجود تاركٍ
للصلاة مستكبرٍ عن ربه ومعرضٍ عن رحمته بعدد تلك الآبار، لتساءل بصحة المنطق
المفترض، كم يلزمنا من آبار تقبليين حاليا في بساتيننا لنرفع سخط الرحمن عنا؟ نسأل الله
السلامة والعافية، وندعوه أن يرفع عنا بلاءه وسخطه وعذابه بما فعل السفهاء منا يا أرحم
الراحمين.

أيها المستذكرون لآلاء ربكم:

لا بد لنا من اتخاذ إجراءات ميدانية، وتدابيرٍ إصلاحيةٍ لوضعية بساتيننا وسواقينا لأجل
أن ننتفع بنعمة الله، وإلا سيكون خرابا ودمارا والعياذ بالله، وسنقترح عليكم إخوة الإيمان
مقترحات عملية نعرضها على مسامعكم في ثلاث مجموعات، هي:

المجموعة الأولى: آن الأوان بعد الغفلة الطويلة، والاستكبار الشنيع عن خدمة تراثنا
المعماري الأصيل، أن نستفيق من سباتنا، ونعود إلى وعينا؛ جماعاتٍ وأفراد، هيئاتٍ
وجمعيات، فنصلح أحوالنا في الأمور التالية:

- إزالة كل الردم والأوساخ من مجرى الوادي والسواقي.

- الانتهاء من الاستغلال العشوائي لتربة الوادي.

- تنقية وتنظيف النخيل المجهول أهلُه وسط الوادي.

- تنظيف مجاري السواقي، وإزالة الأتربة من فتحات "تِسْمَبَاض".

المجموعة الثانية: آن الأوان أيها اليسجنيون أن نتخلي عن الأنانية المستشرية في
النفوس، فنفكر في إنشاء أوقافٍ خاصةٍ بتهيئة بساتيننا، ونخصص رجالا ميدانيين لمتابعة

الأعمال والأشغال، فننجز ما يأتي:

- ترميمُ تصدعات الجدرِ الفاصلةِ بين السواقي، "تَغْرِيت"، و"إِغُولَاد"، و"بُوشَمَّجَان" وبين مجرى الوادي بملاط الجير والحجر.
- ترميمُ مهملات توجيه الماء إلى السواقي وسطَ مجرى الوادي.
- ترميمُ جذر كلِّ السواقي، من بدايتها إلى منتهى مصبها.
- بناءُ جدر استنادية لضفاف مجرى الوادي من كلتا الجهتين.
- إجراء أشغال صيانة دورية لجدر السواقي ومجرى الوادي.
- استرجاعُ الآبار المنطمسة وبخاصة الموجودة في مجرى الوادي و"أَحْبَاس"، كبئر "يحي نَعْمَر"، وبئر "ن عبد الرحمان"، وبئر "باعلي"، وبئر "داديك أو عمر" وغيرها، والقيام بترميمها وتهيئة فوهات تغذية هذه الآبار من مياه السيل.
- تحديدُ طريق ساقية "بُوشَمَّجَان" بداية من مدخلها، واسترجاعُ الانسداد في وسطها من خلال استيلاء بعض الناس عليها، ثم تحديد نهايتها.
- محاولةُ استرجاع معالم ساقية "أعمارة أو دحمان"، وترميمُ الأجزاء المتبقية منها.
- زرعُ نخيل جديدة في مجرى الوادي لتفادي انحراف التربة.
- إحصاءُ آبار بساتين يسجن، وآبار القصر، وإحصاءُ النخيل الواقعة في مجرى الوادي وغيره.

المجموعة الثالثة: آن الأوان أيها الصالحون أن نخصص مذكرين دائمين للأهالي

- وملاك النخيل في مجرى الوادي وأصحاب البساتين في أجنة يسجن ليقوموا بما يأتي:
- متابعة المستفيدين من الآبار بالقيام بترميم تقليدي بديع لفتحة البئر، و"ترسلت نترست"، و"أسقي"، و"المجل".

- تحفيز الناس بطلاء الفتحات الخاصة بتزويد البساتين بالماء، ودعوتهم للحفاظ عليها.
- تحفيز ملاك النخيل وسط الوادي بإنشاء أحواض خاصة لها.
- إعلام تاركي التمر في النخيل بعد موسم الحصاد بضرورة جني تمر نخيلهم المعاقبة بجزء سنمار.

- إعلام المعتدين على السواقي وعلى "أغلادُ ثولام" بخطورة ذنبهم أمام الله، وأمام عرش بني يزقن، سواء بضمها إلى بساتينهم، أو ببناء جدر بساتينهم فوق جدر السواقي.
- تحذير المعتدين بالتوقف عن صب قنوات الصرف الصحي للبيوت والدهاليز في الأبار المغذية.

- اتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع صبّ الملوثات النفطية في باطن الأرض وفي حُقر البساتين.

- إعلام المؤسسات المسؤولة عن شبكات مياه الصّرف الصحية عند تسرب في إحدى هذه القنوات، تفاديا لنفاذ الماء القدر إلى الطبقات الجوفية.
- تحفيز المواطنين بتسييج أراضيهم غير المحوطة، حفاظا على الملكية، وتفاديا للنزاعات والخلافات.

أيها المدركون لخطورة واقع بساتيننا:

نُحِبُّ بكم وبأنفسنا إن كانت لدينا همّة حقيقية لاسترجاع ميراثِ أجدادنا، وإن كانت لدينا رغبة في الحفاظ على محيطنا ورثة بلدتنا أن نسعى جميعا لتُبعدَ غضبَ ربنا عنا، ونُعيدَ الاعتبارَ لهيئة "لأومّنا"، ونساندَ بجد كلّ الغيورين العاملين في تحسين وضعية البساتين، ونقدّم لهم يدَ العونِ والمساعدة معنويًا وماديًا.

ويجب علينا أيضا أن نقتنع بإنشاء أوقاف خاصة بمتابعة نظام الري وترميمه، تُغذى من

أموال "ثلاث"، وتطعم من نفقات المحسنين، وهذا اقتداء بالأوقاف المخصصة لشراء الشاحنات وصهاريج المياه الصالحة للشرب التي صرنا نتنعم بها حالياً والحمد لله.. أدام الله عز من فكر فيها، وبارك في أموال من تبرع بها، ونسأله تعالى أن يباعدهم عن كل شر، وكل سوء يعرقل خيراتهم ويريعهم على الناس، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعَفَا وَالْغَى.

اللَّهُمَّ أَلْهِم لَأَمْتَنَا أَمْرًا رَشِيدًا.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمَدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

تتبع مجرى تقاسيم المياه، والحفاظ على آبار تخزين المياه

الحمد لله ربّ العالمين، الذي أنزل من السماء ماءً طهوراً بقدرته ومنته، فأجراه وديانا وأنهارا.

سُبْحَانَهُ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَى الْإِنْسَانِ نِعْمًا لَا يَحْدُهَا حَدٌّ، وَلَا يُحْصِيهَا عَدٌّ، يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: "وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ".

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِشِيرَا وَنَذِيرًا، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله معاشر المسلمين، وأكملوا في الطلب، وأحسنوا إلى ربكم في السر والعلن، وارحوا اليوم الآخر، ولا تعثوا في الأرض مفسدين.

عِبَادَ اللَّهِ:

لقد خلق الله الإنسانَ وجميع الكائناتِ الحية من الماء، وأنزل من السماء ماء عذباً فرائاً طهوراً، وصرف كميات معلومة من بلد إلى آخر كل سنة، فأجراها في البحار والمحيطات وأسائها أودية يشرب منها الناس والدواب والأنعام، وأحيا بها الأرض بعد موتها.

ومن حكمة الله تعالى أن جعل جميع الكائنات لا تحيا بغير الماء، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، (سورة الأنبياء: 30)، ومن سننه أيضا أن جعل الإنسان في حاجة دائمة إلى تعويض السوائل المطروحة من جسمه وإلا فقد تظهر على جسمه أعراض متعددة مثل جفاف الجلد والفم، والصُّدَاعُ والدوخة والدُّوَارُ، والشُّعُورُ بِالتَّعَبِ والتَّعَاسِ وحتى الغثيان.

أيها المتدبرون لنعمة الماء:

لقد جعل الله في الماء خصائصَ فيزيائيةً دالةً على قدرته وآلائه تعالى، منها أنه سائل شفاف لا طعم له ولا لون ولا رائحة، ويشكّل نسبة 70 % من مساحة الكرة الأرضية ومن جسم الإنسان، ويستقر على سطح الأرض في البحار والمحيطات والأنهار سائلاً، ويرتفع في الغلاف الجوّي بخاراً، ويطفو على سطح بحار المناطق المتجمدة جليداً.

إخوة الإيمان:

في الماء أسرار عظيمة، وخصائصٌ جليّةٌ أودعها الله فيه، ومما يُظهر أهميته أن رب العزة أكثر من ذكره في كلامه المبين، وتحدث عن بعض خصائصه الفيزيائية وفوائده على الكون والحياة، وإذا رمنا أن نفصل في إحداها فسنختار الحديث عن المنافذ الثلاثة لوصول الماء إلى الأرض والإنسان وهي، إما أن يكون:

- نازلاً من السماء، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾، (سورة الزمر: 21).

- أو خارجاً من الأرض، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾، (سورة البقرة: 74).

- أو مُختزناً في الأرض لوقت الحاجة، يقول جل شأنه: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾، (سورة المومنون: 18).

ونظراً لضيق الوقت نختار جزءاً من إحدى الظواهر السابقة، وهي ظاهرة إسكان الماء في الأرض، من قوله تعالى: "فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ"، والإسكان في الأرض يعني استقرار الماء في خزانات عملاقة تحت القشرة الأرضية، ولوصول الماء إلى مرحلة الإسكان فإنه ينزل من السطح إلى الطبقة الجوفية عن طريق الحجارة التي تحتوي على المسامات والفراغات -وهذا

عكس الحجارة الصماء- أو عن طريق قنوات وممرات تشبه الشقوق، وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى مُتَمَتِّتًا عَلَى عِبَادِهِ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ (سورة عبس: 24 - 26)، وأما عن مقصد إسكان الماء في جوف الأرض وتخزينه فهو استغلاله وقت الحاجة، وبالأخص في المناطق الجافة الصحراوية، وهذا عين ما سعى فيه أجدادنا رحمهم الله تعالى الذين أدركوا نعمة الماء وما ينطوي عليه من خصائص بديعة ذكرنا بضعا منها سابقا، فشمروا عن ساعد الجد وحفروا لنا في كل بضع أمتار من بلدتنا عبر سنوات طوال وبوسائل تقليدية بسيطة أزيد من خمسمائة بئر في بلدة يسجن، سواء أكانت في الواحة الغناء لسقي البساتين، أو كانت في القصر والجبل الأشم للسقي والتنظيف والطهارة.. وكل بئر تحكي قصة أنامل ذهبية احتضنته برفق وعشق، وتشهد على أعين ترعاها ولا تنام عنها كجوهرة ثمينة غالية. وكان حرص هؤلاء الغيورين أشد على آبار هي ملك للأمة كاملة. آبارٌ تستقبل الماء ليسكن في الأرض ويغذي المنطقة الجوفية.. تلکم هي الآبار المسماة "ترسين بالوعة".

أيها الغيرون الطيبون:

يجدر بنا أن نتخلى عن أنانيتنا وننقص من حبنا لذواتنا، ونتساءل بكل جرأة وشفافية: هل الفرد اليسجني المعاصر يدرك جيدا المخطط الذي أبدعه أجداده لوصول الماء إلى الطبقات الجوفية وإلى البساتين الجميلة؟ وهل الفرد اليسجني يحافظ على هذا الإرث الحضاري الذي اكتسبه من أجداده؟ هذا ما سنراه إن شاء الله في الخطبة الموالية، نسأل الله أن ينفعنا بما علمنا، ويأخذ بأيدينا إلى الحق والنجاة في القول والفعل، إنه ولي ذلك والقادر.

الخطبة الثانية

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلَاة والسَّلَام على نبيِّنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أيها الغيورون على دينهم وبلدهم:

من بين الأنظمة البديعة في العالم نظامُ استغلال واحات يسجن الغراء لمياه وادي انتيسة، هذا النظام الذي يبدأ من تجمع مياه الأمطار من الشّعاب والجبال المحيطة بوادي انتيسة في سد أحباس أجديد الواقع في الرق، ثم يتولى أمناء السيول (لاومنا) فتح نوافذ الماء لتتجه المياه إلى المجرى العام فيستقبلها نظام محكم هذا ملخصه:

1- حينما يسيل الماء مسافة طويلة بعد السد الجديد يستقبله أول جدار صغير على طول الوادي، هذا الجدار المحدود الارتفاع يفرق الماء إلى جهة اليمين فتظهر ساقية تبدأ ضيقة، ثم تتسع، ثم تضيق في الأخير وتسمى "تارجا نتغريت". أما باقي الماء المتجه يسارا فيُكمل سيره في المجرى العام.

2- بعد أن يسير الماء مسافة قصيرة يعترضه أول ممهل على عرض الوادي يسمى "أَرَصَقَت"، أو "أَشْبُورَ آن وَرًا"، وهو عبارة عن جدار صغير يجمع بعض الماء، ويوجه نصيبا منه إلى جهة اليسار، وما فاض من الماء فوق الممهل أو "أَرَصَقَت" سيشكل بداية ساقية تسمى "تارجا ن يغولاد".

3- تبدأ ساقية "تارجا إغولاد" واسعة ثم تضيق في الوسط، لتكون جد ضيقة بعد ذلك، وهي تستقبل المياه الفائضة من جارّها "تارجا ن تغريت" حينما يفيض الماء من إيقوداس نتغريت.

4- المياه التي توجهت يسارا عبر أول ممهل في مجرى الوادي، يعترضها ممهل ثانٍ، ليشكل بداية ساقية تسمى "تارجا ن بوشمجان"، هذه الساقية التي ضيّقت كثيرا حاليا بالبناء وبالطريق المعبّد. والماء الفائض من الممهل الثاني سيسير نحو "السد أو وحباس" و"تارجا أو

واماس".

5- المياه المتوجهة إلى "سد أو وَاحباس" تعزز بما فاض من "تارجا نيغولاد"، ومن "تارجا نتغريت" بالتبع.

6- يتشكل نظام "طازوني ان وامان" من مجموع ملتقى الساقيتين "تارجا نتغريت"، و"تارجا نيغولاد"، وكذا من "تيسمباض" هاتين الساقيتين اللتين تكسيران قوة تدفق المياه، كما تتشكل أيضا من مجرى الوادي ومن "تارجا بوشمجان"، ومن الممهلات الموجودة في طريق مجرى الوادي "أَرَصَفَت"، فكل هذا يدعى تقاسيم مياه انتيسة، وهو تقسيم أكثر من بديع من جانب الهندسة والتناسب مع الطبيعة، وقوة تحمل غطرسة أهله الذين ضيعوه وأهملوه، فتركوا الممهلات تدفن تحت التراب، حتى بدا كأنها لا دور لها حاليا، وامتنعوا عن تصفية تسمباض ان وامان حتى ثقلت بالأتربة وكادت تُغلق كلية.

أيها المؤمنون اليقظون:

إن حالة الآبار العامة التي اعتنى بها أجدادنا أكثر من عنايتهم بأنفسهم، وهي آبار "ترسين بالوعة" مزريّة مخزيّة. وإذا فقها الدور المنوط بها، وهو تجميع أكبر مخزون من المياه في الأرض للاستغلال عند الحاجة، وإذا تدبرنا قوله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ، وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ، وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ، فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (سورة الحجر: 21، 22)، وإذا تتبعنا وضعيتها المعاصرة، سنبكي طويلا، ونتساءل مليا..

ما السبب في كل هذه الغفلة؟

وما الذي ينتظرنا بعد هذا العقوق لميراث أجدادنا؟

وما الذي يمكن أن يحصل لنا ولأولادنا ولأحفادنا فيما يأتي من الزمن؟

وما الذي سيحل من غضب ربنا تبارك وتعالى من كفران النعم، وهجران الحق،
وتضييع الممتلكات العامة؟

إخوة الإيمان:

لندعو الله تبارك وتعالى جميعاً أيها المصلون الخاشعون أن ينعم علينا بقلوب حية،
 ويفتح علينا من بركاته ونفحاته، فننظر إلى رحمة الله وغيثه بمنظار من يرغب أن يرحم نفسه
وينجي بدنه، ونسأله تعالى أن يرينا بصيرة من يخشع بما يشاهد من آثار الفيضانات
والكوارث التي تسبب فيها الإنسان هنا وهناك، وما مساح 2008 منا ببعيد والعياذ بالله،
فجولة صغيرة في مجرى الوادي تعطينا هذه الملاحظات:

1- أكثر ممهلات مجرى الوادي "أرصفات" انطمست بالأتربة فصارت لا تُجمّع الماءَ
لسقي النخيل القريب منها، مما يسبب قلة التمر، وانحراف التربة، وأخرى اندثرت كلية حتى
صار الناس لا يعرفون عددها بالضبط، ومنها ما انكسر جزءها، فصار يحتاج إلى يد بيضاء
تعيد بهجته ونظارته كممهل "اعمارة أو دحمان".

2- اندثار معالم آبار "ترسين بالوعة"، والكثير منها انطمست كلية، وهي تشكل
خطراً محدقاً على الماشي في القرب منها، وما تبقى منها صار يصارع الموت، ومع ذلك
فوفاءها وشهامتها أملت عليها أن تغذي المنطقة الجوفية وتسقيها ببعض الماء رغم سقوط
عرصاتها، وامتلائها بالأوساخ والأتربة، ونذكر على سبيل المثال: "ترست ن باعلي"، فهي
الآن حفرة بدون أثر للأسفي، ولا ترسال، ولا أي شيء يُنبئ أن أجدادنا حفروها لئسكن
الماء في الأرض. وقل مثل ذلك على ترست "داداي أو عمر"، و ترست "العشي"، على
صحة انطباق هذه التسمية الأخيرة على حفرة مغطاة بالزئبق حالياً في الوادي، وإذا كانت
هناك بئر "بالوعة" صالحة فإن ن نجد أن "أغلاد أولم" التابع لها قد دفن بالتربة، كـ "ترست ن

عبد الرحمن".

3- كثير من نخيل الوادي لا يُهتم بها، فتشاهدها مع ذلك تكرم صاحبها من سنة إلى أخرى، ولا من يجني خيرها ليأكله أو يتصدق به.

4- عدم انتظام مستوى الوادي، وظهور حفر عميقة جدا، مما جعل الماء لا يفترش بشكل منتظم.

5- تعرت نخيل كثيرة بعدما ألفت دفء التربة لسنوات طوال، فجاء من تعدى على حدودها، وكاد يسقط جذوعها.

6- تكالب الناس على استغلال ضفاف الوادي في بناء القصور والمخازن، وأسقط الكثير منهم الشرط الثابت والدقيق والصحيح شرعا وقانونا وعرفا في ملكيتهم، وهي أن تلك الأراضي تُستغل ولا يُبنى عليها، لأنها هُيئت أصلا ليتوسع فيها الماء، لكن لما جاء الأبناء فظنوا مثل ظن ابن نوح عليه السلام القائل: سأوي إلى جبل يعصمني من الماء، وهو قالوا: إن السد الجديد سيمنع عنا الماء، وأن جدر الإسمنت تحصن ملكيتنا من الماء وقوته.

7- كثرة الأوساخ، وقارورات النيلون، وأوعية الخمر les canettes، وسعف النخيل، والردم، وغير ذلك مما يندى له الجبين في مجرى الوادي.

أيها المسلمون الإيجابيون:

هذه إطلالة خفيفة على واقع مجرى الوادي المؤسف جدا، لكن مع ذلك ليس بالمعجز على الله أن يفتح على أمتنا رجالا مخلصين، وعقولا حصيفة، وأموالا طيبة، نصلح ما أفسده الدهر، ونبني ما هدمه الغافلون، وندعو أنفسنا جميعا إلى توبة نصوحة مع الله تعيننا ليكون الله ناصرنا وكفيلنا ومدبر أمرنا فنحقق عجائب مثل أجدادنا، ونبعد عنا كل الغرور والشيطنة التي بثها فينا إبليس وجنوده عبر جيل أو جيلين من الزمن، وإليكم إخوتي الكرام بعد

الحلول.

1- الاقتناع بأن أي تعدد للإنسان على أخيه الإنسان أو الطبيعة فإن ربك ليس بظلام للعبيد، وهو عزيز ذو انتقام.

2- تحفيز العشائر، والجمعيات الشبانية على تخصيص يوم لحملة تطوع في مجرى الوادي باسم العشيرة الفلانية، أو الجمعية الفلانية لرفع الأنقاض عن الممهلّات، وتصفيّة ما حولها من الأوساخ.

3- إسهام المحلات التجارية، والورشات الصناعية، وكذا تجمعات الموظفين في تخصيص جهدهم لإحياء ترست من "ترسين بالوعة"، فتُجهر وتُصقّى، ويعاد ربطها من جديد بالحجارة من الأسفل إن اقتضت الضرورة، وتُرص أحجارها فوق بعضها، حفاظاً على الأعين العديدة التي تغذي البئر، ثم تغرس نخلة بجانبها لتسهم مع ضغط التربة في تشابك أحجار "توقون ن ترست".

4- توجيه أموال "لثلاث" أو جزء من ثلث الأموات رحمهم الله لإصلاح ما أفسدته أيادي الأحياء في مجرى الوادي. وترسيخ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ، وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. (سورة المنافقون 9-11).

5- تكتل المهتمين بالواحة، من المؤسسات الرسمية والعرفية، ومن المهندسين الفلاحيين والمهندسين في العمران، وكذا من الخبراء الميدانيين، وكلّ من له دراية وحرقة على الإرث الحضاري أن يسهم في إصلاح وضعية مجرى الوادي وإحياء التراث المادي بفن

ودراية.

6- إدخال تفاصيل تقاسيم المياه ضمن برنامج المنظومة التربوية للمدارس القرآنية الحرة، وكذا المدارس الخاصة، وإجراء زيارات ميدانية وخرجات عملية تطوعية للتلاميذ رفقة أساتذتهم إلى عين المكان.

7- الإكثار من التوعية على مستوى المنابر، وفي المنتديات الثقافية، وفي التجمعات النسوية، والدعوة إلى إحياء الأنفس للتعامل الإيجابي مع كون الله، والإنذار بالمصير الأليم للمضيعين، والتخويف بالمآل الشنيع للمعتدين، تذكيرا بما قال رب العزة القاهر فوق عباده في سورة الملك: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾، (سورة الملك: 30)، أو قوله عن أهل سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِينِهِمْ آيَةٌ جِئَتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾، (سورة سبأ: 15 - 17).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغَى.

اللَّهُمَّ أَهْم لَأَمْتَنَا أَمْرًا رَشَدًا.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

المحور التاسع

المذهب الإباضي، والأوقاف

خصائص المذهب الإباضي⁽¹⁾

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل في محكم تنزيله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ
بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، (سورة النور: 55).

وأشهد أن حبيبنا محمداً رسول الله ﷺ، أرسله ربُّه بالهدى ودين الحق بشيرا ونذيرا،
وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وعلى آله وأصحابه الطيبين.

أما بعد: أُوصيكم عبادَ الله ونفسي بتقوى الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا
تُرجعون فيه إلى الله ثم تُوقى كل نفسٍ ما كسبت وهم لا يُظلمون﴾، (سورة البقرة: 281).

إخوة الإيمان:

إن من أسباب زوال الأحقاد من القلوب، وتصفية السرائر من الشكوك والأوهام، أن
يُعرّف المرء بنفسه، ويُظهر منهجه في العمل، ويبيّن أدلة مذهبه في الدين، وفق شعار شيخنا
الفاضل: علي يحيي معمر الليبي رحمة الله عليه، المعرفة والتعارف والاعتراف.

أيها المؤمنون:

اعلموا أن الإباضية مذهب إسلامي أصيل، تصدر المذاهب الإسلامية في نشأته، بعد
نهاية عهد الخلفاء الراشدين، ويطلق علينا معشر الإباضية اسم "أهل الحق"، أو "أهل

(1) أغلب المادة العلمية ملخصة بتصريف من كتاب معجم مصطلحات الإباضية، لإنجاز فريق بحث جمعية التراث،
نشر وزارة الأوقاف، عمان، 2008.

الدعوة والاستقامة"، ورد في خطبة عبد الله بن وهب الراسبي رضي الله عنه، قوله: «إِنَّكُمْ أهل الحق من بين أهل الأرض، إذ قُلتُم بالحق وصيرتم للعدل».

واعلم أخي في الله أن سلفنا الصالح لم يختاروا لنفسهم اسم الإباضية، بل دعانا به غيرنا، نسبة إلى عبد الله بن إباح رحمة الله عليه، ثمَّ قبلوا هذه التسمية نزولا أمام الأمر الواقع، لأن أجدادنا يجذبون أن ينسبوا أنفسهم إلى الفكرة، لا إلى زعيم أو إمام، وفي هذا يقول الشيخ السالمي العماني:

بذاك غير أننا رضينا	إنَّ المخالفين قد سمَّونا
وَأصلُهُ أن فتى إباحٍ	كان محاميا لنا وماضٍ
مدافعا أعداءنا بالحجة	وحاميا إخواننا بالشوكة

وأول عالم في المذهب هو التابعي الإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي رحمة الله عليه والمتوفى سنة (93هـ / 711م)، فهو يُعدُّ أسَّ المدرسة الإباضية في العلم، بنى منهجَه رفقة أصدقائه وتلامذته: أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وعبد الله بن إباح، والربيع بن حبيب رحمهم الله جميعا، على الفهم الصحيح للإسلام، وعلى إنكار التحكيم، وعلى دعوة الحكام الأمويين للعودة إلى سيرة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين.

إخوة الإيمان: لقد انتشر فهم سلفنا الصالح للإسلام في المشرق والمغرب؛ بداية من البصرة في العراق، ثم عُمان واليمن وخراسان وجزيرة زنجبار، وتوسع هذا الفهم عند البربر في شمال إفريقيا عن طريق دعوات حملة العلم إلى بلاد المغرب؛ ليبيا، وتونس، والجزائر.

واعلموا رحمكم الله أن الإباضيين أسسوا الدولة الرستمية في تاهرت سنة 160 هـ، فعم الرخاء والازدهار الاقتصادي، وبرز التسامح المذهبي بين الإخوة في الإسلام، فكانت تجسد بحق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (سورة الحجرات: 13)، وتعد الدولة الرستمية أول دولة إسلامية مستقلة في الجزائر وفي المغرب الأوسط، لكنَّ انقراضها سنة 296هـ سبب نزوح الكثير من الإباضية نحو وادي ريغ ووادي سوف وسدراته بوارجلان، ثم مزاب بعد ذلك، أين لاقوا في هذه الربوع الأخيرة حفاوة كبيرة من أهلها الأصليين، وامتزجت طيبة وبساطة المزاب البربري بالإيمان والصدق الإباضي، فتلاحم العرق الطاهر مع الفكرة الرائدة، ثم تعانقت همة المزايي بالنظام التربوي الذي أسسه أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي سنة 409هـ والذي يقوم على تعليم الناشئة، وتلقينهم السَّير، وتبصيرهم في الدين.

يا أحباب الرحمن: كتب الله أن تتطور حلقات أبي عبد الله التربوية العلمية التي كان ينضم إليها العزايي بمقصد التفقه إلى هيئة تشرف على قصور وادي مزاب، وإلى حلقة تدير المساجد والأوقاف والتعليم الديني، وإلى نظام اجتماعي يوجه شؤون المجتمع الدينية والاجتماعية والثقافية، وإلى هيئة تنسق مع باقي هيئات المجتمع المزايي في القضايا الاقتصادية والسياسية والأمنية، كمجلس الأعيان، ومجالس العشائر، وهيئة إِمَصُورْدَانْ أو إِمَكَراس.

أيها الصائمون القانتون: تيقنوا أن الإباضية تستند في منهجها المعرفي إلى المصادر المتفق عليها بين المسلمين: الكتاب والسنة والاجتهاد بأوسع معانيه، وبالخصوص الإجماع والقياس. وتتسم هذه المنهجية بالاعتدال بين التزام النص وإعمال الرأي والتعليل، وباعتماد الدليل الشرعي في كل الأحوال. كما يعد تنوعُ البيئات، وتباينُ المجتمعات الإباضية مشرقا ومغربا عاملاً مسهما في الثراء الفقهي للمذهب، وفي البروز الحضاري للأمة الإباضية في حقول التجارة، والعمران والري، والنظم الاجتماعية والتربوية والحمد لله.

وفي هذا الشأن يبلور المفكر الإسلامي مالك بن نبي وجهة نظره في مقال له سنة 1968

فيقول: "على الجزائري الذي يزور مزاب، ألا يذهب إليه بهدف التصوير وأخذ المناظر الفوتوغرافية كما يفعل السياح بحثا عن المناظر التقليدية ذات الألوان المحلية، وإنما ينبغي الذهاب إلى هناك بضمير الباحث الذي يرغب في تمزيق الأغلفة، فإنه بعد تمزيقها يكشف في مزاب شيئا جديدا، هذا الجديد الذي هو ملكنا جميعا"⁽¹⁾.

اللهم اجعل بلادنا آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين يا ذا الجلال والإكرام.
اللَّهُمَّ إِنَّا أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ
يا أرحم الراحمين.

1) محمد صالح ناصر: مكانة الإباضية في الحضارة الإسلامية، مركب المنار، الحمير، الجزائر، ط2، 2013، ص 325.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: إخوة الإيمان:

على كل مسلم أن يدعو على كل من اعتدى على المسلمين، وبغى عليهم في مشارق
الأرض ومغاربها، ويقول مثل قول سيدنا موسى عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً
وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَاشْدُدْ عَلَى
قُلُوبِهِمْ، فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، (سورة يونس: 88)، قال الله تعالى بعدها مباشرة:
﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (سورة يونس: 89).

أيها الصابرون المحتسبون:

هذه جملة من المسائل والقضايا الخاصة بالمدرسة الإباضية ليتعلمها المؤمن، ويدرك
أدلتها وترجيحاتها، ولنبدأ بالمسائل المتعلقة بالصلاة على ما يأتي:

1- يرى الإباضيُّ عدم جواز أخذ الأجرة على ما كان عبادةً وقريةً إلى الله تعالى؛ لأنَّ
أخذ الأجر ينافي الإخلاصَ المطلوبَ في العبادة؛ لذلك لم يُجيزوا أخذ الأجرة على الأذان
والإمامة في الصلاة وقراءة القرآن دون تعليمه.

2- حدد الإباضية صيغة الأذان من حديث أبي سعيد الخدري أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«...وَالْأَذَانُ مَثْنَى مَثْنَى، وَالْإِقَامَةُ مَثْنَى مَثْنَى»⁽¹⁾، حيث رجح الشيخ اطفَيْش تريع التكبير
الأول والأخير، أي: الله أكبر أربعاً، فقال في كتابه الشامل: «صاحب رؤيا الأذان سمع
قائلاً: «الله أكبر الله أكبر» وقال: مرتين، فإذا ذكر الجملتين مرتين كان الحاصل أربع

(1) الربيع، الجامع الصحيح، كتاب الصلاة ووجوبها، باب في الأذان، رقم: 175.

تكبيرات، بخلاف باقي الأذان فإنه يقول في الرواية جملة واحدة، ويقول بعدها مرتين فيكون مثني.

3- شُرِعَ التشويب في أذان الفجر لأنه وقت الغفلة والنوم، والتشويب هو العود إلى الأذان بعد الأذان الأول، وهذا بدليل حديث بلال مرفوعا: «لَا تُثَوِّبَنَّ فِي شَيْءٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ إِلَّا فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ»⁽¹⁾. ومن هنا كان اقتصار المؤذن عندنا على قوله: حي على الصلاة حي على الفلاح.

4- يشترك اسم الشفق على الأحمر والأبيض، والشفق هو الحمرة التي تُرى في الأفق بعد غروب الشمس، وإذا غابت الحمرة صار بياض في محله. ويعلق علماؤنا دخول وقت صلاة العشاء بغيوب الشفق الأحمر لا الأبيض، ولذلك يُؤذَّن للعشاء بعد ساعة من الغروب فقط.

5- يقر الإباضية بالسدل في الصلاة، بمعنى إرسال اليدين وعدم وضعهما على السرة في الصلاة، وبعدم رفعهما في تكبيرة الإحرام.

ومعتمد الإباضية في أفعال الصلاة على حديث المسيء صلاته الذي لم يذكر فيه النبي ﷺ الرفع والقبض، مع أنه في معرض البيان، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة. ومعتمدهم أيضا على الحديث الذي رواه أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهما: «كَأَنِّي بِقَوْمٍ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي الصَّلَاةِ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمُسٍ»⁽²⁾.

ويستندون في السدل أيضا أن الصلاة تتكرر خمس مرات في اليوم، وحركة اليدين من رفع وقبض حركة ظاهرة لا تخفى ويراها الجميع، فلو واطب عليها الرسول ﷺ لنُقلت

(1) الترمذي، السنن، أبواب الصلاة، باب التشويب في الفجر، رقم: 198.

(2) الربيع، الجامع الصحيح، كتاب الصلاة ووجوبها، باب في الإمامة والخلافة في الصلاة، رقم: 213.

بالتواتر، ولأجمع الصحابة عليه السلام على طريقة واحدة فيها كما أجمعوا على بقية أعمال الصلاة.

6- حُكم القصر عند الإباضية أنه عزيمة، ولا يصح الإتمام للمسافر إلا إن صلى خلف إمام مقيم، لأن السنة المطردة في كل أسفار النبي عليه السلام القصر. ويفتي الشيخ الخليلي بأن من كان يعمل في بلد وكان مطمئنًا إليه، لا يريد الانتقال عنه إلا لحاجة، ولا يذهب إلى مسقط رأسه إلا قليلاً؛ عليه إتمام الصلاة في ذلك البلد، فقال في فتاوى الصلاة: «إن سَكَنَ سُكْنَى المستقر المطمئن فعليه الإتمام».

ويعتبر الجمع بين الصلاتين والفطر للصائم عندنا رخصة لا عزيمة.

7- يفتي إباضية المغرب بأن الاستجمار الذي هو إزالة النجس من كل منقٍّ غير ذي حرمة، واجب لا تتم الطهارة إلا به، ويؤكدون على وجوب الجمع بين الطاهر المنق والماء عند الطهارة من الخبث؛ فالورق أو ما شابهه لتخفيف العين عن الموضع، والماء لإزالة الأثر.

أيها المؤمنون العاملون للخير: يمكننا كذلك أن نلخص أهم المسائل المتعلقة بالزكاة والصوم في:

1- يرى الإباضية وجوب الزكاة في الحلي الذي تترين به المرأة من الذهب والفضة، وذلك في حالة إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول، سواء كان مستعملاً أم مدَّخراً، أم معاراً. ومن أدلتهم عموم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، (سورة التوبة: 34)، وعموم الأحاديث الصحيحة الموجبة للزكاة في الذهب والفضة.

وأجابوا عن الأحاديث والآثار المسقطة لزكاة الحلي بأنها ضعيفة ومعارضة بعموم الأدلة الصحيحة.

2- بناء على تعريف الصوم بأنه الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وسائر المحرمات

من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التقرب إلى الله، فقد ذهب جمهور الإباضية إلى أن الصوم ينتقض بارتكاب المعاصي علاوة على الأكل والشرب والجماع.

3- يرى الإباضية أن المنحب في نهار رمضان، إن تهاون ولم يغتسل، انتقض يومه، لقوله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ جُنُبًا أَصْبَحَ مُفْطِرًا»¹، وقياسا للجنابة على الحيض والنفاس، بجامع كونهم حدثا.

4- لم يجوز الإباضية الإجارة على الصوم، وهي إعطاء أجره عند صوم أحد عن غيره، لكون الصوم عبادةً بدنية خالصة؛ لكنهم أجازوا صوم الورثة عن الميت، حتى يكون الغرم بالغنم، ويقتسم الورثة ما لزم ميتهم من صيام بينهم بحسب ميراثهم، وإن تكفل به بعضهم فذلك خير.

5- يرى الإباضية جواز الدفن بلا حائل يمنع التراب عن الميت بدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، (سورة طه: 55).

ويجمل بنا أن نختتم هذا التبيان بشهادة أحد علماء الجامع الأزهر وهو "د. إبراهيم عبد العزيز بدوي" الذي يعبر عن رأيه في فقه الإباضية فيقول: "هذا المذهب ليس مستحدثا، وإنما متأصلا على القواعد الصحيحة، مدعما بالأصول الواضحة الثابتة، فبالنظر والتتبع لا يوجد في فقهه ما يخالف الكتاب ولا السنة النبوية، ولا عموم الأصول التي اتفق عليها المسلمون جميعا"⁽²⁾.

أما ما يتعلق بالقضايا الإيمانية والعقدية إخوة الإيمان فسنوجزها في منهج الاستدلال وفي أهمها:

(1) الربيع، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب ما يفطر الصائم ووقت الإفطار والسحور، رقم: 315.

(2) محمد صالح ناصر: مكانة الإباضية في الحضارة الإسلامية، 74.

1- من مميزات المنهجي العقدي عند الإباضية التأويل للآيات المتشابهات، ومعنى التأويل: هو صرف اللفظ الموهم للتشبيه والتجسيم إلى معنى يوافق الكمال الإلهي؛ أو ردُّ تفسير المتشابه إلى المحكم.

وَوَفَّقَ هذا المنهج التنزيهي فَهَمَ الإباضية الألفاظ التي يوهم ظاهرها تشبيه الله تعالى بخلقه، فأولوها بما يتوافق واللغة العربية، وكمال الله تعالى، منها: المجيء في حق الله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، (سورة الفجر: 22)، فقالوا: هو مجيء أمره عز وجل، وقضائه، وثوابه، وعقابه. وقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، (سورة طه: 39)، أي: على حفظي ورعايتي. وأولوا استواء رب العزة على العرش بمعنى: استوى أمره واستولى.

2- خبر الواحد هو الخبر المتصل سنده إلى رسول الله ﷺ ولم يبلغ حد التواتر، وهذا الحديث الصحيح يفيد الظن ويوجب العمل عند الإباضية، ولا يفيد العلم، لذلك لم يوجب علمائنا في باب العقائد الأخذ الصارم بالأحاديث التي لا وجود لمعانيها في القرآن الكريم: مثل: نزول عيسى عليه السلام، أو المهدي المنتظر، ومن باب أولى إذا كان الحديث يخالف ظاهره الدليل القطعي من القرآن الكريم، مثل: أحاديث ستفترق أمتي، أو أحاديث الشفاعة لأصحاب الكبائر، أو الخروج من النار.

3- الإيمان هو التصديق بالجنان، والقول باللسان، والعمل بالأركان. ويعرّف أيضا بأن الإيمان قول وعمل ونية، ويعني ذلك أنّ الإيمان هو معرفة الله ورسوله ﷺ، وما جاء به، مع الإقرار بذلك، وفعل جميع ما أمر الله به عباده، وترك جميع ما نهي عنه. والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾، (سورة البقرة: 143)، فسمّى بعض الأعمال -وهي هنا الصلاة- إيمانا.

وكذلك حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان بضْعٌ وسَبْعُونَ شُعْبَةً،

وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»⁽¹⁾. ولذلك لا يطلق اسم الإيمان على المسلم إلا إذا وفى بدين الله تعالى، وأتى بجميع الطاعات، وترك المعاصي والمنهيات كالتدخين والربا وغيرهما.

4- يعتقد الإباضي أنَّ صاحب الكبيرة إن لم يتب من معصيته يخلد في النار، ولا يخرج منها أبداً، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، (سورة البقرة: 80-81)، وقوله أيضاً: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، (سورة الجن: 23).

وقول رسول الله ﷺ في حديث البخاري: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»².

6- تعبر مصادر الإباضية عن مخالفتهم بلفظ المخالف أو لفظ القوم. والخلاف واقع بينهم وبين بقية علماء الإمة الإسلامية في استنباط الأحكام الفقهية، وفي تفسير أركان الإيمان الستة، ولذلك فإنهم يقرؤون بحُرمة دم المخالف في المذهب كحرمة الموافق فيه (أي الإباضي)، ومن أقوال علمائنا الإباضية فيمن خالفهم في المذهب ما يأتي:

- تحرم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم.
- لا تحل غنائم المسلمين المحاربين في الفتن، ولا سبي نساءهم، ولا قتل ذراريهم.
- تُقبل شهادة المسلمين.
- تجوز الصلاة خلف أئمة غيرنا، والصلاة على موتاهم.
- تجوز مناعتهم وموارثهم.

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، رقم: 35.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به، رقم: 5778.

- يجوز أن تعطى لهم الزكاة.

وبالجملة فإنَّ موقف الإباضيَّة من المخالفين موقف معتدل سمح، يلخِّصه لنا الشيخ السالمي في منظومته:

ونحن لا نطالب العبادا فوق شهادَتَيْهِمْ اعتقادا
فمن أتى بالجملتين قلنا: إخواننا وبالحقوق قمنا

ويؤكد كلام الشيخ السالمي ما صرح به الشيخ أحمد توفيق المدني عن قضايا الاختلاف بين المذاهب، فيقول: "قضية الخلافات بين المذهب الإباضي والمذهب المالكي الذي نشأ بعده، وهو المذهب السائد ببلادنا المغربية، ذلك أن العامة والكثير الخاصة، يعتقدون أن هذا الخلاف المذهبي كبير وعظيم لا يمكن تلافيه أو التغلب عليه، ويجهلون أن المذهبين يسيران نحو الغاية الواحدة، من طريقين مختلفين.

والحقيقة غير ذلك، فالسياسة وحدها هي التي كونت هذا الخلاف، وزادته حدة وشدة".

هذا يحمل معتقد الإباضية وأهم مسائلهم الفقهية في الدين، ندعو الله أن يبارك لأتباعه، ويهديهم إلى الهدى والرشاد في القول والفعل، ويزيل الفتن عن بلادهم وسائر بلاد المسلمين.

اللهم يا فارِّجَ الهمِّ، ويا كاشِفَ الغمِّ، ويا مجيبَ دعوة المضطرين فرج عنا مصيبتنا، واكشف عنا الضر، وباعد عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، واجْعَلْ بَلَدنا آمِنًا مطمئنًا، وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ، وارحمنا برحمتك الواسعة يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأصلح أحوالهم في مشارق الأرض ومغاربها، ودمِّر أعداء الدين، واخذل مَن خذل الدين، وانتقم من المجرمين الضالين، وأرنا فيهم عجائب قدرتك يا

عزيز يا قدير.

اللهم أعنا على صوم شهر رمضان صوم المتقين، وعلى قيام ليله قيام العابدين، وأعنا أن نخلص في أعمالنا وأقوالنا لله وحده لا شريك له.

اللهم احفظ شباب أمة محمد ﷺ عن المعاصي والذنوب، وهب لهم قوة الطاعة والإيمان، وارزقهم قوة الصبر والتحمل على البلاء يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ، أنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

13 رمضان 1435هـ / 11 جويلية 2014م

فضل صلاة الجمعة، ومناقشة اشتراط الإمام والأمصاء لصلاتها⁽¹⁾

الحمد لله رب العالمين، الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير.
وأشهد أن لا إله إلا الله، أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وأشهد أن سيدنا
وحبيبنا محمداً عبده ورسوله وصفه وحبيبه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة. اللهم
صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم
الدين.

أما بعد:

عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله العلي القدير القائل في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ
لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (سورة الجمعة: 9-10).

إخوة الإيمان:

إن الله تبارك وتعالى أمر عباده المؤمنين إذا سمعوا نداء يوم الجمعة أن يسعوا إلى ذكر
الله؛ أي إلى عبادته تعالى، وإلى أداء صلاة الجمعة، وأن يدعوا البيع والشراء فإن ذلك خير
لهم وأرجى عند الله عز وجل، وأعوذُ عليهم بالبركات والخيرات والحسنات، فإذا أدوا الصلاة
وفرغوا منها فلينتشروا في الأرض لقضاء مصالحهم وليطلبوا فضل الله، فإن الرزق بيده تعالى
وحده، فمن التزم ذلك نال ثواباً عظيماً، وحاز أجراً وفضلاً عميماً، ومن لم يفعل فقد فوت

(1) المادة العلمية ملخصة من كتاب الحجج المقنعة في أحكام صلاة الجمعة، للشيخ نور الدين السالمي (ت: 1914م)، تحقيق: بولواح إبراهيم. (المكتبة الشاملة).

على نفسه هذا الفضل الكبير، ولحقه الوعيد الشديد.

أيها المتقون: أدعوكم ونفسي إلى المواظبة على صلاة الجمعة، والحرص الدائم على أدائها وسماع الموعظة من الخطيب، ليُنيرَ الله قلوبنا بنور الهدى، ويُزَكِّيَ أنفسنا بالتقوى، ويصلح علانيتنا ويقوم اعوجاجنا.

وأنصحكم إخواني الصالحين بشهودها وعدم الغياب عنها مطلقاً إلا لعذر مُقعد، خشية أن يلحقنا الوعيد الشديد للمتهاونين في حضورها حسبما ورد في الأحاديث الصحيحة المرفوعة إلى رسول الله ﷺ، فعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على أَعْوَادٍ مِنْبَرِهِ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»⁽¹⁾.

ويقول أيضاً: «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعٍ تَهَاوُنًا بِهَا، طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ»⁽²⁾، ومعنى طبع الله على قلبه، أي: ختم عليه وغشاه، ومنعه أطفاه، وجعل فيه الجهل والجفاء والقسوة، وصير قلبه قلب منافق.

وفي حديث آخر قال فيه رسول الرحمة محمد ﷺ: «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أُحَرِّقَ على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوثهم»⁽³⁾.

أيها المؤمنون:

ألا تكفينا هذه النصوص الصريحة عن رسولنا محمد ﷺ لتجديد علاقتنا مع هذه الصلاة العظيمة التي اصطفاه الله عن بقية الصلوات بذكرها في القرآن الكريم؟ أولاً يكفيها

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة، رقم: 865.

(2) أبو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجمعة، رقم: 1054.

(3) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، رقم: 652.

فخرا أنها الصلاة الوحيدة المذكورة في القرآن الكريم بالاسم دون بقية الصلوات المفروضة؟
أولا يكونُ تشریفُ الله لها بتسمية سورة كاملة باسمها سببا لنا للمواظبة والحرص على أدائها
كما نؤدي باقي الصلوات الخمس المفروضة؟

كيف لمؤمن فطنٌ مُسارع في الخيرات أن يقصّر في أدائها فيضيع الأجر الحسن الذي
أعده الله لشاهدها والمواظب عليها؟ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ
تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الجمعةَ فاستمعَ وأنصتَ عُفِّرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وبينَ الجمعةِ، وزيادة
ثلاثة أيامٍ»⁽¹⁾.

وفي حديث آخر: «الصَّلَاةُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضان،
مُكْفَرَاتٌ لما بيَّنهنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكبائرَ»⁽²⁾.

أيها المؤمنون:

لن أكون مجانبا للصواب بإذن الله إذا تساءلت باستغراب شديد، ما بال الكثير منا
يتهاون في حضورها؟ فيحضرها مرة ويغيب عنها مرات كثيرة.

ولماذا أعلن بعضنا القطيعة عنها مطلقا، حتى بات يتفاخر بأنه لم يصلها البتة؟
ومن أين للإنسان أن يقتنع برأيه إلى درجة إبطال ما أقره الله تعالى في محكم تنزيله
الكریم؟

وكيف لا يجد المرء أي غضاضة في نفسه في تعطيل أمر الله تعالى بالسعي يوم الجمعة،
للذكر والصلاة؟

وما هذه الجرأة التي تجعله لا يبالي بنهيه تعالى لنا عن البيع والشراء والاشتغال بالمصالح

(1) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة، رقم: 857.

(2) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، رقم: 233.

الدينية حتى الانتهاء من فريضة صلاة الجمعة؟

وما هي الضمانات التي تحميه من وعيد حبيب الله ورسوله محمد ﷺ بالختم والطبع على القلوب لمن لا يحضر هذه الصلاة الجامعة؟

أيها المستجيبون لنداء ربكم:

إن الواجب الشرعي يُحْتَمُّ علينا أن نُقدِّر لهذا اليوم العظيم قدره، لنَدَّخر أجره عند الله، فنأتي إلى صلاة الجمعة زرافات ووحيدانا، وندعو إخواننا العازفين عنها بكل ما أوتينا من حكمة وقوة نصح لشهودها والمواظبة عليها، فهذا لن يزيدنا إلا تعلقا بالله تعالى، ولن يكون إلا سببا لوحدة صفنا ولمَّ شملنا، وسيكون بإذن الله سببا لترابط القلوب وتوطيد أواصر المحبة، والتحفيز على التعاون على البرِّ والتقوى، وإصلاح حال المتخاصمين، وتوجيه حركاتنا التجارية لما فيه خيرها وصلاحتها، وتحسين علاقاتنا الأسرية بما ينمي الحوار ويضفي السكينة في ديارنا، ومن ثمرات كل هذا الأمان والسلام في المجتمع.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا يا ربنا للطاعات في هذا اليوم العظيم، ووفقنا لإتيان أوامرك واجتناب نواهيك، اللهم استجب دُعاءنا يا أكرم الأكرمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي نَوَّرَ بجميل هدايته قلوبَ أهل السعادة، وطَهَّرَ بكرم ولايته أفئدةَ الصادقين، فانقادوا وأذعنوا إلى ربحم طوعية واستسلاما، ونحمده تعالى على ما أولى لنا من فضل ورعاية، ونشكره على نعمائه وآلائه.

وأشهد أن سيدنا وحبينا محمدا عبْدُ الله ورسولُه، الذي أقام منابر الإيمان ورفع عمادها، وأزال البهتان ودفع عناده، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

قد يقول قائل: إن للغائبين عن صلاة الجمعة مستند من أقوال علمائنا رحمة الله تعالى عليهم، الذين يشترطون ضرورة توفر الإمام العادل وضرورة إقامة الجمعة في الأمصار الممصرة دون غيرها من المدن والقرى.

فهذا الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة يقول: "لا صلاة يوم الجمعة والعيد إلا في الأمصار".

وإلى هذا يذهب الإمام أبو إسحاق الحضرمي في خصاله فيقول: "لا تجب الجمعة ولا يجوز فعلها إلا بوجود أربع خصال: أحدها أن تكون دعوة المسلمين ظاهرة مع إمام أو سلطان".

ويقول الشيخ اطفيش في شرح النيل: "وَمَذْهَبُنَا أَنَّهُ لَا تَصِحُّ إِلَّا بِإِمَامٍ أَوْ نَائِيهِ أَوْ مَأْمُورٍ أَحَدِهِمَا"، ثم يقول عن شرط الإمام بعد ذلك: "فَيَبْقَى هَلْ تَصِحُّ بِلَا وُجُوبٍ بِدُونِ ذَلِكَ؟ قِيلَ: لَا [أي لا تصح] وَقِيلَ: تَصِحُّ إِذَا كَانَ أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ قَائِمًا، وَالْقَوْلُ فِي الْمَذْهَبِ"⁽¹⁾.

⁽¹⁾ أحمد بن يوسف اطفيش: شرح النيل وشفاء العليل، دار الفتحة، بيروت. ودار التراث العربي، ليبيا. ومكتبة

إخوة الإيمان:

إذا كانت هذه النصوص هي المستند لمن لا يحضر صلاة الجمعة، فإنه ينبغي علينا تحرير المسألة وتوضيحها، وتبيان ما مدى حجية الاستدلال بالشرطين السابقين "الإمام العادل، والأمصار"؟ وهل يصح أن يكونا سببا لتعطيل صلاة الجمعة كليا حاليا، أو ذريعة لعدم المواظبة عليها؟ هذا ما سنسعى للإجابة عليه بحول الله، فنقول وبالله التوفيق:

أولا: إن القول بشرط الإمام العادل وشرط إقامة الصلاة في الأمصار التي عينها عمر بن الخطاب ض ليس محل اتفاق عام بين علماء الإباضية.

ثانيا: لقد واظب أئمة مذهبنا رحمهم الله على هذه الصلاة خلف أئمة الجور فكيف بغيرهم، ومواظبتهم حجة على ضرورة شهود هذه الصلاة في كل حال من أحوال الحاكم، والحرص عليها دون أي شرط؛

فهذا إمامنا جابر بن زيد صلاها خلف عمال بني أمية؛ زياد بن أبيه، والحجاج. ويروى أن الإمام جابر قال لوالد الربيع بن حبيب: "الروح إلى الجمعة، فقال حبيب: أخلف الحجاج؟ قال: نعم، إنها صلاة جامعة وسنة متبعة".

ثالثا: إن المستند الشرعي لشرط "الإمام العادل" هو نص الحديث، «أربع إلى الولاية؛ الفيء والصدقات والحدود والجمعات»⁽¹⁾، وورد هذا الحديث أيضا بصيغة: «الجمعة والحدود والزكاة والفيء إلى السلطان»⁽²⁾.

الإرشاد، جدة. ط2، 1392هـ / 1972م، ص 2 / 324.

⁽¹⁾ لم أفق على تخريج هذا الحديث. لكن وقفت على شبيهه بصيغة: «أربع إلى السلطان؛ الصلاة، والزكاة، والحدود، والقضاء». ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الزكاة، باب من قال تدفع الزكاة إلى السلطان، رقم: 10297.

⁽²⁾ ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الحدود، باب في الرجل يقول للرجل: يا شارب خمر، رقم: 29030.

لكن هذا الحديث إخوة الإمام لا يصح الاحتجاج به والاعتماد عليه لإبطال الجمعة إلا إذا توفر الإمام الذي يقيم الحدود، وذلك لعدة أسباب:

- الحديث موقوف على عدد الصحابة مثل: ابن عباس، وابن مسعود، وغيرهما، وفي بعض رواياته هو حديث مقطوع على التابعين كالحسن البصري، وابن مُحَيْرِيز، وغيرهما⁽¹⁾، فهو بهذا ليس من حديث رسول ﷺ، وإذا كان الأمر كذلك ينبغي ألا يعارض ويقيد ما ورد في آية قرآنية أو في أحاديث مرفوعة إلى رسول الله ﷺ، ونحن رأينا أن الآية والأحاديث المرفوعة تحدثت عن الجمعة دون اشتراط الإمام.

- يقول بعض المحققين⁽²⁾ عن روايات الحديث السابق "أربع إلى الولاة": بعضها لم يُعثر على سندها، وبعضها فيها اضطرب النقل عن الصحابة. وبعض الروايات وردت دون ذكر النص على الجمعة، وهذا مما يضعف إمكانية الاعتماد على هذه الأحاديث الموقوفة والمقطوعة في اشتراط الإمام لصحة صلاة الجمعة.

رابعاً: وإن المستند الشرعي لشرط الأمصار روايات متعددة لحديث موقوف على الصحابي علي -كرم الله وجهه- فيها: «لا جمعة ولا تشريق إلا في مصر جامع»⁽³⁾. وفي

¹ والحديث موقوف على عدد من الصحابة، وهم: أبا عبد الله رجل من الصحابة، وابن مسعود، وابن عباس، وابن الزبير، وابن عمر، وعمار بن ياسر. وهو مقطوع على عدد من التابعين وهم: الحسن البصري، وعبد الله بن مُحَيْرِيز، وعطاء الخراساني، ومسلم بن يسار، وعمر بن عبد العزيز.

وصيغة الحديث الواردة عن ابن مُحَيْرِيز هي: "الْجُمُعَةُ وَالْحُدُودُ وَالزَّكَاةُ وَالْفِيءُ إِلَى السُّلْطَانِ". ووردت أيضاً بلفظ: "الزكاة والحدود والفيء والجمعة إلى السلطان". ورواه الحسن بلفظ: «أربعة من الإسلام إلى السلطان: الحكم والفيء والجمعة والجهاد. ولقد تتبع ابن حزم إحدى صيغ الحديث فقال عن راويه الصحابي: خالفه اثنا عشر صحابياً.

² محقق كتاب الشيخ السالمي.

³ عبد الرزاق، المصنف، كتاب الجمعة، باب القرى الصغار، رقم: 5175.

رواية أخرى عن علي: «لا جمعة ولا تشريق، ولا صلاة فطر ولا أضحى، إلا في مصر جامع، أو مدينة عظيمة»⁽¹⁾.

بناء على هذه الروايات يقال: لا تصلى الجمعة إلا في المدن السبع التي عينها عمر بن الخطاب ض، وهي: مكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، والشام، واليمن، والبحرين، وعمان هما بمثابة مصر واحد).

والدارس لهذا الحديث يجده لم يُرفع كذلك إلى رسول الله ﷺ⁽²⁾، وفيه شرط "الأمصار" وهو لم يثبت في آية ولا في أحاديث أخرى مرفوعة إلى رسول الله ﷺ. كما أن تعيين عمر ض للأمصار السبعة لا يعني إنكاره الجمعة خارج ما مصره، فضلا عن أن إحدائه الأمصار بعد عهد الرسول ﷺ دل على جواز إحداث مدن أخرى بعد ذلك العهد. ومما يُرد على الحديث الموقوف على الإمام علي في اشتراط الأمصار صلاة الصحابة في بعض القرى، ومثال ذلك:

ورد في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «أَوَّلُ جُمُعَةٍ جُمِعَتْ بَعْدَ جُمُعَةِ جُمِعَتْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي مَسْجِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ بِجُؤَاثَى»⁽³⁾. وجُؤَاثَى قرية وليست بمدينة، وهي ضمن مدينة البحرين، والبحرين مدينة حاليا تابعة لولاية الأحساء بالسعودية. فعبد قيس أول من صلى الجمعة خارج المسجد النبوي ولم يعب الصحابة عليهم ذلك، فدل على عدم اشتراط المِصر للجمعة. وعن نافع، قال: «كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَرَى أَهْلَ الْمِيَاهِ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، يُجْمَعُونَ فَلَا

(1) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الصلاة، باب من كان يرى الجمعة في القرى وغيرها، رقم: 5099.

(2) باستثناء ما ذكره السالمي من أن الزمخشري رفعه، وهذا الأخير ليس بحجة في هذا الفن.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، رقم: 4371.

يَعِيبُ عَلَيْهِمْ»⁽¹⁾.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُمْ كَتَبُوا إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، "يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْجُمُعَةِ وَهُمْ بِالْبَحْرَيْنِ؟
[الدولة الحالية] فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ: «أَنْ جَمَعُوا حَيْثُمَا كُنْتُمْ»⁽²⁾.

ويروى أن أهل الإسكندرية ومدائن مصر، ومدائن سواحلها كانوا يُجَمِّعُونَ الْجُمُعَةَ عَلَى
عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِأَمْرِهِمَا، وَفِيهَا رِجَالٌ مِنَ
الصَّحَابَةِ⁽³⁾.

وكزيادة إثبات في أنه لا ضرورة لاشتراط المصر - المدينة الكبيرة - لصلاة الجمعة، نذكر
أن رسولنا محمداً ﷺ نفسه قد صلى أول جمعة في الإسلام عند قرية صغيرة، وهي ديار "بني
سالم بن عوف"، أثناء هجرته إلى المدينة.

خامساً وأخيراً: استند بعض العلماء في اشتراط الإمام بحديث جابر بن عبد الله، قال:
خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «... اعلّموا أنّ الله قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا،
في يومي هذا، في شهري هذا، من عامي هذا إلى يوم القيامة، فمن تركها في حياتي أو
بعدي، وله إمام عادل أو جائر استخفافاً بها أو جحوداً لها فلا جمع الله له شمله، ولا بارك
له في أمره...»⁽⁴⁾.

هذا الحديث ضعفه بعض علماء الحديث، وبعضهم أجاز العمل به بناء على وجود
طرق أخرى له وإن كانت لم تسلم هي أيضاً من الضعف، وبالتالي لا ينبغي الاستدلال بهذا

(1) عبد الرزاق، المصنف، كتاب الجمعة، باب القرى الصغار، رقم: 5185. إضافة الأستاذ: صحح بعضهم الحديث.

(2) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الصلاة، باب من كان يرى الجمعة في القرى وغيرها، رقم: 5108.

(3) البيهقي: السنن الكبرى: بَابُ الْعَدَدِ الَّذِينَ إِذَا كَانُوا فِي قَرْيَةٍ وَجَبَتْ عَلَيْهِمُ الْجُمُعَةُ، رقم: 5612.

(4) ابن ماجه، السنن، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فرض الجمعة، رقم: 1081.

الحديث على ضرورة اشتراط الإمام لصلاة الجمعة ، فضلا عن أن هذا النص يمكن أن يستدل به على عدم ضرورة اشتراط الإمام أصلا، ذلك أن الحديث تحدث عن عدل الإمام وجوره، وفي حالة كون الإمام جائر فهو لا يستحق في الحقيقة صفة الإمام أصلا، وتكون الجماعة في هذه الحالة أولى به في تسيير أمورها، لأن القاعدة الأصولية عندنا تقول: الكتمان يأخذ من الظهور، والظهور لا يأخذ من الكتمان.

بعد هذا العرض المقتضب والمبسط لأدلة اشتراط "الإمام العادل" واشتراط "الأمصار" نتوصل إلى أنه لم يثبت شيء - بالمنظار الحديثي - في هذين الشرطين لأداء الجمعة، والله أعلم، وبالتالي لا يصح ترك الجمعة كليةً لأجل عدم تحقق الشرطين أو أحدهما، ولا يحق التهاون بحضورها كذلك، وبخاصة وأن صلاة الجمعة أقرها في بلدنا عزابة وعلماء ثقات ورعون؛ منهم من قضى نخبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

أيها المصلي الحريص على اتباع دين الله تعالى وسنة رسوله ﷺ:

أوصيك ونفسي بالحرص على إتيان هذه الصلاة دائما، وأنبهك إلى عدم التفريط فيها، وأن تكون مثل إمامك جابر بن زيد القائل لما فائتته ذات يوم: اللَّهُمَّ لَكَ عَلَيَّ أَنْ لَا أَعُودَ لِمِثْلِهَا، وأدعو الله أن يحفظك من وسواس الشيطان فتتهاون في الحضور إليها، أو تفضل عليها أمور دنياء، فيتحقق فيك قول الله فيمن تخلف عن صلاتها وترك نبي الله محمد ﷺ ذات يوم قائما يصلي في المحراب: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَؤُلَاءِ انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا، قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، (سورة الجمعة: 11).

اللهم ألهمنا حرارة الشوق إلى شهود الجمعات، واللهم باعد عنا وسواس الشيطان وجنده، وجنبنا المعاصي ما ظهر منها وما بطن.

اللهم وحد صف أمتنا، واجمع شملنا، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

المحور العاشر

مواضيع فكرية وحضارية وعلمية

حضارتنا سفير إسلامنا : قراءة في حضارة سيدنا سليمان ﷺ

إن الحمد لله وحده؛ نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا نجاة له وليا مرشدا. وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وهادي المتقين، ناصر عبده، وهازم الأحزاب وحده. والصلاة والسلام على نبي الأمة محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: أيها الإخوة المؤمنون

إن قصص الأنبياء عليهم السلام وسيلة لتثبيت قلب رسول الله ﷺ وتسليته، وهدى ورحمة للمؤمنين إلى يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْفُصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، (سورة النمل: 76)، فأحداث قصص المصطفين الأخيار الذين أرسلهم الله مبشرين ومنذرين هي حقائق كونية وقعت في الزمن الماضي، ولا يزال إشعاعها يستنار به لحاضرنا، وسيبقى عبق نورها يُستشرف به لمستقبلنا، ذلك أن هذا القصص لم ينزله الله تعالى في كتابه الكريم لأجل معرفة القصص الغابرة فقط، والوقوف على الأحداث الماضية، وإنما قصص الله علينا قصصه للاعتبار بها في كل زمان ومكان، وللاقتداء بنهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أفعالهم وأقوالهم، والاستفادة من جهادهم وحيثيات دعوتهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، (سورة آل عمران: 62).

ووضح الله لنا الغرض من إرسال رسله فقال: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، (سورة النساء: 165).

أيها الإخوة الأحبة:

علينا أن ندرك أن الحضارات لم تقم إلا بعد مجيء الأنبياء عليهم السلام؛ هداةً ناصحين إلى الحق، ودعاة موجهين إلى التفاعل الإيجابي مع كون الله، وإن غيبت القراءة الجوفاء في كتب التاريخ المعاصر الدور الأساس للأنبياء في بناء حضارة أقيامهم، وأبعدت تحليلات الأوربيين الذين فكوا رموز الكتابات القديمة ورسوم الحفريات معاني توحيد الله، فصاروا يفسرون كل صور الحكام بأنها رموز للآلهة المتعددة، ويحللون كل شيء بمنطق الوثنية والشرك، وغرضهم في ذلك إقرار حرية الإنسان الأول من القيود، وتوثيق الانحلال الخلقي والفحش والمنكر كأصول متجذرة في العنصر البشري.. فهلا أعاد الباحثون المسلمون المتخصصون قراءة الأثرية بمنطق قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، (سورة فاطر: 24)، وقوله أيضاً: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، (سورة الإسراء: 15)، وبإشعاع الآية الجامعة: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِدُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَٰهَدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَٰهَدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ، ذَٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُن رِيبُكَ مِنْهُ لَمَنِ الْفُرَىٰ بَظْلَمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾، (سورة الأنعام: 130-131).

عباد الرحمن: من أراد أن يتحدث عن الحضارة التي تُعرّف بأنها تفاعل الإنسان مع الكون والحياة، فعليه أن يستذكر قصة نبينا سليمان الأواب عليه السلام، هذا النبي الذي تفاعل مع الإنسان والطير والجن وأجريت له الريح رخاءً وعاصفةً، وسخر الله له الشياطين يبنون له الأعاجيب ويغوصون في البحر، ووهب له الخيل السراع، والجيش المطاع المنظم، ووهب فوق كل هذا الملك التذلل لمالك يوم الدين، والخضوع للقاهر فوق عباده، فقال الله عنه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا، وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (سورة النمل: 15).

تفقد سيدنا سليمان عليه السلام ذات مرة جنده من الطير، فلم يجد بينهم طائر الهدد، فقال: ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾، (سورة النمل: 20)، وتوعده بالعقاب إلا أن يأتيه بدليل يبرر غيابه.

ولما عاد الهدد أسرع لإعلام سليمان عليه السلام قائلا: ﴿أَخْطُتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾، (سورة النمل: 22)، ثم قدم تقريرا عن الحالة السياسية، والاقتصادية، والدينية للمملكة التي عاينها وزارها، فقال مختصرا: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾، (سورة النمل: 23-26).

ثم أمره سيدنا سليمان عليه السلام أن يحمل رسالة إلى هذه الملكة فقال: ﴿اذهب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾، (سورة النمل: 28).

ألقي الهدد الكتاب بين يدي الملكة، فلما قرأته، جمعت وزراءها ومستشاريها قائلة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾، (سورة النمل: 29)، وتلت عليهم مضمونه، وفيه: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾، (سورة النمل: 30)، ولما أكملت قراءته، قالت لخاصيتها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾، (سورة النمل: 32)، وبعد مشاورات وأخذ ورد قررت الملكة الحكيمة أن تصانع سليمان بالهدايا، فحملتها مع رجال دهاة ليستكشفوا لها ملك سليمان، فتقرر على ضوء ما تتحصل عليه من المعلومات ما يجب فعله.

ولما تلقى سليمان عليه السلام هدايا الملكة قال: ﴿قَالَ أُمِدُّوْنِي بِمَالٍ فَمَا ءَاتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾، (سورة النمل: 36)، وأعلن بذلك عن عدم حاجته إلى المال، فإنما هو رسول من الله، وصاحب دعوة ربانية، فرجع الرسل محملين بالتهديد الشديد.

عزمت الملكة على الاستسلام والانقياد، وشدّت رحالها وأحمالها، وسارت بركبها إلى سليمان عليه السلام.

وقبل وصول القوم طائعين منقادين إلى سليمان عليه السلام، قال لوزرائه من الإنس والجن: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾، (سورة النمل: 38)، فتسارع جنود سليمان وأنصاره لتلبية الطلب، وإذا بعرش ملكة سبأ حاضر بين يدي سليمان عليه السلام قبل أن يرتد إليه طرفه، فلما رآه مستقراً عنده قال: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ﴾، (سورة النمل: 40).

امتنح سليمان قوة ملاحظة الملكة فغير بعض معالم عرشها، ونكّره لها، فقبل لها: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾، (سورة النمل: 42)، فنظرت إليه وتأملتته ثم قالت: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾، (سورة النمل: 42)، وهي قوله دبلوماسي فطن، لتعلن بعد ذلك أن الذي جاء بها إلى سليمان هو ما سمعته عن قوة سلطانه، وملكه العظيم، وأنه مؤيد بما لم يؤيد به ملك آخر.

ثم دُعيت الملكة إلى دخول الصرح الذي أعدّه لها سليمان عليه السلام، وجعل أرضه ممرّدة من زجاج لامع، ومهيّئة بشكل يخاله الناظر بركة، فقبل لها: ﴿ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾، (سورة النمل: 44)، فقال لها سليمان عليه السلام: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾، (سورة النمل: 44)، فأدركت في ذلك الموقف أن علمها وحضارتها لم يسعفاها للتفطن إلى مظاهر هذه الحضارة الجديدة الراقية، فأعلنت إيمانها وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، (سورة النمل: 44).

فاللهم ألهمنا رشدنا لتقدير كلامك حق قدره، ووفقنا للعمل به والتخلق بحكمه والاحتكام إلى أوامره ونواهيه، وثبتنا يا الله على دينك، إنك نعم الولي ونعم النصير.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، كتب على نفسه العزة والرحمة، ووصى المؤمنين فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، (سورة آل عمران: 139).

إخوة الإيمان:

بعد أن تدارسنا قصة نبينا سليمان عليه السلام، وتبعناها من خلال ما أورده الله في سورة النمل، علينا أن نستخرج العبر التي تنفعنا لحالنا، ونستذكر المواعظ التي بثها الله في هذه القصة، لنستفيد منها، وتكون ذكرى للمؤمنين في كل العصور، وهذه بعضها:

أولاً: حرص سيدنا سليمان عليه السلام على تفقد جيشه، وهو ما يوحى بضرورة الحرص على تتبع أعمالنا وإتقانها؛ والتحلي بالجدية والصرامة في متابعة منجزات من هم تحت مسؤوليتنا؛ سواء كان ذلك في التجارة، أو الأعمال الحرة، أو الوظيف العمومي، أو في المسؤوليات الخيرية والاجتماعية.

ثانياً: نستفيد من توعده سيدنا سليمان عليه السلام للهدد أسلوب الجزاء على الأعمال، فنقول للمحسن أحسنت ونكافئه، ليتشجع ويواصل إحسانه، ونقول للمسيء أسأت فنحرمه من إحدى حقوقه، أو نعاقبه إن اقتضت الضرورة حتى يراجع خطأه ويدرك منزلته، وهذا للصغير والكبير، وفي كامل مجالات الحياة.

ثالثاً: رُغم شساعة علم سيدنا سليمان عليه السلام، وما سخر الله له من الإنس والجن والطير الذين يعملون بين يديه، فقد غابت على معرفته مملكة كاملة تعيش معه في نفس العصر، مما يُنبئ عن ضعفه عليه السلام، وعن جهل الجن للغيب وكثير من الأمور، يقول تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، (سورة النمل: 65).

رابعاً: على الإنسان أن يتواضع لغيره مهما بلغ شأنه وعظمته، فهذا نبي الله الحكيم،

فتح الله له مملكة عظيمة بيد طائر صغير، فلا نحترق من الأمور شيئاً، ولنتيقن أنه فوق كل ذي علم عليم. يقول رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»⁽¹⁾.

خامساً: كل المخلوقات عدا الإنسان الضالّ تنبذ الشرك، يقول تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾، (سورة الإسراء: 44)، فهذا الهدهد أنكر شرك مملكة سبأ، لأنه عرف قدر ربّه في استخراج ما اختبأ من الماء تحت الأرض، فقال: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، (سورة النمل: 25). ومن هنا ينبغي أن نجتهد أيها الإخوة والدعاة في تبليغ التوحيد لكل إنسان، وإلى كل زائر لنا، بنفس مطمئنة، وثبات في الكلام، ويقين في المعلومة، حتى يستشعر وضاعة ما يحمله من معتقد فاسد.

وعلى شبابنا في المهجر أن يحملوا واجب الدعوة إلى دين الله، وتبصير الخلائق بعقيدة التوحيد.

سادساً: استعمل سيدنا سليمان عليه السلام كل مظاهر العظمة في حضارته لدعوة ملكة سبأ إلى الله الواحد الأحد، فأرسل إليها كتاباً وصفه الله بأنه كريم، إذ بمجرد أن تلقتة الملكة قرأت فيه حضارة سيدنا سليمان عليه السلام، وأدركت قدر المرسل، فربما كان الكتاب من ورق راق وخفيف استطاع خلق ضعيف مثل طائر الهدهد أن يحمله آلاف الكيلومترات، ولنا أن نتخيل نوعية المداد والخط والزركشة التي طُرزت بها الرسالة، ولذلك وصفه رب العزة بالكريم. وعندما حضرت الملكة بجيشها إلى سليمان عليه السلام وجدت عرشها الموصوف بالعظمة

(1) أبو داود، السنن، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، رقم: 4092.

من رب العظمة ماثلا أمامها وقد غيّر فيه بعض الشيء، ولم يكتف هذا الحكيم بإحضار العرش وتنكيده، فإنه صنع للملكة قصرا جعل أرضه من الزجاج، وأسال الماء من تحتة، حتى توهمت الملكة وانخدعت، مع أنها تدرك ما يصنعه الخدم لملوكهم، وتعرف زخارف القصور وأبهاؤها، فكانت هذه العروض الحضارية سببا لإسلامها، والحمد لله.

فيا أيها المؤمنون ألا يستوقفنا هذا الأمر طويلا لنحاسب أنفسنا، لماذا تخلينا عن صناعة الحضارة في عهدنا؟ ولماذا صرنا نستهلك حضارات غيرنا؟ ولماذا تقدم غيرنا وتخلفنا نحن؟ ولماذا بتنا في مؤخرة الركب؟ ولماذا صار غيرنا يبيدنا ويستعبدنا؟ ولماذا تمكن من الاستخفاف بعقولنا عن طريق إعلامه السافل، وضماناته الهشة، وجيشه المنحط أخلاقيا..

فهل من يوم نستفيق فيه من سباتنا، فنهتدي بهدي سيدنا محمد ﷺ والأنبياء عليهم السلام من قبله، ونشارك الأمم في الصناعة والفنون، ونستشعر رقابة الرحمن في تصرفاتنا وأقوالنا، ونعتقد أن الجالس في كرسي الدراسة هو العابد الحقيقي لله، وأن المهندس المبتكر لقانون طبيعي جديد هو المسيح لله عمليا بعد أن كان يسبح تسبحا قوليا، وأن الباحث الذي يجتهد في مخبره مكتشف لآلاء الله، ومستخرج لما سخره الله لنا من حيوان ونبات ومعادن وهواء، وأن العامل في متجره ووظيفته مستخلف من الله في أرضه.

فمن الضروري أن نفكر مليا **أيها الصالحون** في توجيه طلبتنا إلى الدراسات المعمقة، وتشجيع المتفوقين ماديا ومعنويا، وإرسالهم في بعثات تكوينية منظمة، وغرس الصبر فيهم لتحقيق توحيد الله عن طريق اكتشافاتهم ومخترعاتهم.

أيها المسلمون: ألم تكن حضارة سيدنا سليمان عليه السلام سبيلا لإيمان مملكة كاملة، ألم ينتشر الإسلام في قارة آسيا وأوروبا وإفريقيا أيام عز المسلمين، فأسلمت جموع من الصينيين والهنود وبعض دول البلقان وإفريقيا، أليس الأجدد بنا أن نراجع نظام حياتنا، ونعيد المجد إلى

أنفسنا، فيذعن لنا القاصي والداني، أليس من الخطأ اعتقاد التحضر بمجرد استهلاك حضارة
غيرنا ومنتجاته! أليس من واجب المسلمين أن يتقوا في الميادين الحضارية والتربوية
والاقتصادية! ويقللوا من الاهتمام بالقوة العسكرية، والوقوع في فخ التسابق لأجل التسليح
وشراء منتجات الغربيين.

أيها المؤمن الحضاري: لن يكون للإسلام شأنٌ إن لم تتحضر، وتدعُ التواكل
والفوضى في حياتك، وإن لم تُقم وزناً للوقت في إنجاز مشاريعك وترتيب أحوالك، وإن
الانطلاقة الفعلية تبدأ بطبيعة الحال من النفس، وبتصحيح المعتقد مع الله، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ
لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نُّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، (سورة الأنفال: 53)، ثم تُراجع
أخي المؤمن منظومتك الفكرية بالألّا تجعل فاصلاً بين حياتك للآخرة وحياتك للدنيا، لأن
المؤمن مطالب بالعيش الطيب في الحياتين معاً، ألم يقل تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، (سورة البقرة: 201).

وينبغي على كل مسلم أن يتحضر في الدائرة التي يعمل فيها.. ونحن كمجتمع يسجني
لا بد لنا من المشاركة الفعالة في الخير، والقيام بتصليح مؤسساتنا التربوية، والعمل في
مؤسساتنا العرفية بآليات متطورة، ووضع تنظيمات محكمة لتعامل المؤسسات فيما بينها،
وبرمجة دورات تدريبية للتطوير الاقتصادي والصناعي والزراعي وغيرها، وبهذا نكون إن شاء
الله قد أسلمنا أمرنا لله رب العالمين.

اللهم إنا أسالك بحق سلطانك العظيم، وبحق قدرتك المطلقة، وبنورك الذي أشرقت له
السموات والأرض أن تمكن لدينك في الأرض، وأن تجعلنا سبباً للتمكين يا ذا الجلال
والإكرام.

اللهم وفقنا للتقوى، وخذ بأيدينا إلى حسن طاعتك. اللهم اعصمنا من الشيطان

ومكره، وباعد عنا المعاصي ما ظهر منها وما بطن. اللهم وفقنا إلى العبادة التي ترضيك،
وإلى اتباع سنة حبيبك ورسولك محمد ﷺ يا أرحم الراحمين.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90)، ﴿وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (سورة
العنكبوت: 45). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

العلم الحديث، وصريح القرآن الكريم.. مناقشة صورة الحياة الأولى للخلق الإنساني⁽¹⁾

الحَمْدُ لِلَّهِ ربِّ العالمين، والحمد لله الذي خَلَقَ الْأَرْضَ وَسَهَّلَ لَنَا السَّعْيَ فِي مَنَاجِبِهَا،
وَحَثَّنَا عَلَى النَّظَرِ فِي بَدِيعِ صُنْعِهَا وَسَمَائِهَا.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.
عَظِيمُ السَّجَايا كَرِيمُ الْخِصَالِ، خَيْرُ النَّاسِ خُلُقًا فِي الْحَضَرِ وَالْأَسْفَارِ، وَأَعْظَمُهُمْ وَفَاءً
لِلْأَهْلِ وَالْأَيَّامِ.
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ، وَعَلَى تَابِعِيهِمْ مِنَ الْبَرَّةِ الْأَطْهَارِ، صَلَاةً
وَسَلَامًا دَائِمِينَ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.
أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ -أيها الناس- ونفسي بوصية الله.. بوصية الله للأولين والآخرين؛ ألا فاتقوا
الله وراقبوه، واعملوا لديناكم كأنكم تعيشون أبدا، واعملوا لآخرتكم كأنكم تموتون غدا،
بادروا بالأعمال وتوبوا إلى الله واستغفروه، واستقيموا إليه ولا تتولوا عنه وأنتم
تسمعون: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، (سورة القمر:
54-55).

أيها المؤمنون:

لقد شَرَّفَ اللهُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُمْ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، (سورة المجادلة: 11)، وَقَرَنَ أَهْلَ الْعِلْمِ بِنَفْسِهِ وَمَلَائِكَتِهِ

⁽¹⁾ أجريت بعض التحويلات على الخطبة بعد إلقائها.

في الشهادة بوحدانيتها والإقرار بعدالته، فقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، (سورة آل عمران: 18)، وحث رسولنا محمد ﷺ على طلب العلم فحجاء في حديث أبي عُبَيْدَةَ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ض قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»⁽¹⁾.

إخوة الإيمان:

إن الإسلام الحنيف دعا إلى العلم والمعرفة وإعمال العقل، وقد بدا ذلك واضحا مع أول آيات القرآن نزولا في سورة العلق فقال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، (سورة العلق: 01-05)، لذلك كان لزام علينا أن نتعلم، ونشجع أبناءنا على العلم، ونرفع مكانة العلماء علينا، وننفق أموالنا في العلم، وبناء مراكز للبحث والحوارات العلمية الهادفة، ذلك لأن العالم الحقيقي يعقل معاني الأمثال في القرآن الكريم، ويتدبر آلاءه في الكون، ويخترع للبشرية ما ينفعها في عاجلها وآجلها، ويكتشف آلاء الله في الكون الفسيح، ولذلك يُفترض أن يكون العلماء هم أشد الناس خشية لله تعالى، يقول عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ

مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، (سورة فاطر: 28).

يا أحباب العلماء:

إن أهل العلم هم حياة الشعوب، وما معهم من العلم هو النور الذي يهتدون به في ظلمات البر والبحر. وآثارهم باقية بعد موتهم، يقول رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ»، وذكر: «أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ»⁽²⁾. وإن العلم أساس نهضة الأمم،

(1) الربيع، الجامع الصحيح، باب في العلم وطلبه وفضله، رقم: 20.

(2) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم: 1631.

وبناء الحضارة، ونجاة الناس منوطة باستمرار أبحاث العلماء، وذهابهم هلاك الناس، ولهذا جاء في الحديث المتفق عليه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»⁽¹⁾.

أيها المؤمنون:

إن الإشكال الذي يعترض المتعلم والدارس للعلوم في هذا العصر هو القطيعة المعرفية التي تغشى عقله، والتمويه المشوّه لمعارفه بحيث صار الإنسان ينسب الأمور إلى نفسه، ويسمي الاكتشافات بمسميات إنسانية مغيباً أثر صانع تلك المكتشفات، ومعرضاً عن تبيان حقيقة عمله أمام موجد تلك القوانين والنظريات، وهذا ما ولد إلحاداً معرفياً خطيراً في العقل الإنساني، وركوداً ميدانياً عن البحث في الحقائق المعرفية، وعجزاً عن التبحر في العلوم والتقصي فيها من قبل المسلمين، وكل ذلك سببه - في نظرنا - غياب النظرة الصحيحة إلى العلاقة بين العلوم وحقيقة كون الله.

لكن بنظرة مجردة للحقائق الكونية سنتوصل إلى أن كل العلوم تبحث في كون الله، ولا تخرج عنه مطلقاً، من باب قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ (سورة الرحمن: 13)، فمن كان يبحث في قانون الجاذبية مثلاً لا ينبغي أن يُنظر إليه فيزيائياً وكفى، وإنما تقتضي النظرة التكاملية للمعارف أن يصرح بأن هذا القانون مما أودعه الله في كونه، وأن نيوتن مكنه الله من اكتشاف ما استودعه تعالى في كونه، وأن يقول أيضاً: بأن العالم استطاع بفضل الله أن يضم عنصراً كيميائياً من خلق الله إلى عنصر آخر من نفس المصدر ليحصل في النهاية على عنصر كيميائي جديد من خلق الله. وبهذه النظرة الشاملة إلى العلوم نقضي على غرور

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، رقم: 100.

الإنسان واعتداده بنفسه، ونَحْدُ من تطاوله على الظواهر الكونية واستغلالها لصالحه ومنافعه الخاصة ولو على حساب الآخرين كما هو حاصل حالياً مع التطور التكنولوجي الرهيب. يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، (سورة الأنعام: 162)، وعليه فكل العلوم باستحضار العقيدة الصحيحة هي من الله. اللهم ألهمنا رشدنا، ويسر لنا أسباب العلم الصحيح، ووفق أبناءنا إلى أن يعبدوك عبادة ترضاهم، يا رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، كتب على نفسه العزة والرحمة، ووصى المؤمنين فقال:
﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، (سورة آل عمران: 139).

أما بعد: أيها الصالحون:

نظرا لتطور العلوم صار بعض الناس يُعلّقون على أهل الأديان عموما، وعلى المسلمين الموقنين برهم بقولهم: للأسف إنكم نهجتم مع النظرية العلمية المعاصرة كذا وكذا، ونفس ما انتهجه رجال الكنيسة مع غاليلو الذي أعلن للناس بأن الأرض كروية الشكل، فانتهت حياته بمأساة سفك دمه وقتله، لأنه عارض ما ورد في الكتاب المقدس "الإنجيل"، لكن بعد مرور السنون تبث عند الخاص والعام أن ما قاله غاليلو ذات يوم عن كروية الأرض ودورانها حول نفسها هي حقيقة علمية ثابتة لا مجال للشك فيها.

وبهذه المحاجة المنطقية صار الناس ينشرون أفكارا كثيرة، ويتناقلون نظريات علمية، ويناقشون أطروحات وفرضيات بحثية، قد تكون صحيحة أو خاطئة، ويشفعونها بقولهم: "إياكم أن تعاملوا هذه النظريات بمثل معاملة الناس لغاليلو المسكين"، فتقولوا اليوم أنها محرمة، أو أنها مخالفة لآيات القرآن الكريم، ثم يتبين بعد فترة من الزمن أن النظرية صحيحة، وأن ما كان يقوله العلماء المسلمون من أن الفكرة تعارض القرآن الكريم، ليس صحيحا، وإنما كانت النظرية تعارض استنتاجهم وتفسيرهم للآية القرآنية، ولذلك انتشرت بعض النظريات التي كانت ذات يوم إلحادية (أصحابها لا يؤمنون بالله، أو يحددون قدرة الله) بدعوى: أتركوا العلم الحديث يجتهد بطلاقة، ولا تضعوا له قيودا، ولا توقفوه بأفهامكم البسيطة من خلال ما يرد في بعض النصوص هنا وهناك.

إخوة الإيمان:

في الحقيقة نحن إزاء إشكالية علمية عويصة، وأمام قضية معاصرةٍ عملاقةٍ طرَّحها يحتاج إلى فرقة بحثٍ جماعية لسير أغوارها، وتبيان احتمالات الصواب والخطأ فيها، لذلك لا أخفي عليكم ترددي في الحديث عن هذا الموضوع، وإلقائه في خطبة جمعة مقتضبا.. لكن كيف لنا أن نغض الطرف عنه، وهو متداول بين الشباب المثقف، والأساتذة الجامعيين، وفي المنتديات الحوارية، وحتى في بعض خطب الجمعة لبعض الأساتذة، مما يحتم علينا أن نبين حقيقة الله إزاء العلوم الحديثة، ونوضح موقفا مما ثبت لدينا أن فيه شرك، فاللهم يسرلي وأعني على قول ما يرضيك.

أيها الباحثون والعلماء:

سنسعى أن نناقش بعض القضايا المتعلقة بالعلم الحديث، ونبين علاقة القرآن الكريم بتلك الأبحاث العلمية من خلال ما تبين لنا من صريح آياته.

أولاً: لا أحد ينكر ما أضافه العلم الحديث إلى الإنسانية من معارفٍ ومنتجاتٍ تكنولوجيةٍ وطبيةٍ وغيرها استفادت البشرية منها أيما استفادة.. لذلك فلا حق لأحد في إيقاف الأبحاث المخبرية مهما كانت صفتها؛ في الهندسة الوراثية، أو في الأبحاث النووية أو في الجيولوجية أو غيرها، لكن ما يجب أن نقوله للإنسان الباحث الحر: إبحث في الأسباب وعلاقتها بالمسبب، واربط العناصر ببعضها دون أي قيد، لكن لا ينبغي إخراج المنتج العلمي إلى البشرية في حالة ما وُجدت فيه مضرّة للإنسانية أو للبيئة.. إذ ما فائدة اكتشاف قنبلة نووية أو أمراضٍ جرثوميةٍ خبيثةٍ باسم العلم وتقديس البحث، يموت بها مئات الآلاف من الأطفال والضعفاء، فهذا الباحثُ مسؤول عن منتوجه العلمي أمام الله تعالى، لأنه نشر ما يفسد ولا يصلح، يقول تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، (سورة الروم: 41).

ثانيا: قبل الترويج لأي نظرية في العلوم الإنسانية ينبغي مراجعة كل خلفياتها الفكرية والفلسفية، لأن بعض الأبحاث لها علاقة بمستوى البحث المخبري المحض الخالي من كل الخلفيات الفكرية، ومع ذلك فلها علاقة أيضا بمكتسبات قلبية عند مكشفيها ومروجيها، إلا أن هؤلاء العلماء للأسف يخفون عن الناس هذه المكتسبات، ويُروّجون الجانب المادي لنظريتهم فقط، خشية أن يقال بأنهم غير علميين، وأنهم ينطلقون من تحليل لنصوص مقدسة، ولا نجد مثالا أفضل لهذا من نظرية داروين، سواء كان المفهوم القديم الذي نادى به صاحبها، أو بالمفهوم المعاصر، الذي صار يروج له الكثير من علماء المسلمين وغيرهم، حيث نجد لها رواجاً في الأساطير السومرية والبابلية، وبالأحرى في الكتاب المقدس للصائبة "كنز رباً"⁽¹⁾.

ثالثاً: ترغب نظرية داروين أن تفسر حقيقة علمية ثابتة، وهي حصول التطور في الكون، وأرادت أن تبين ما يحدث في الجينات، فأقرت أن التكوين الجيني لكل الخلايا الحية يمر بطفرات، وبتغيرات مستمرة، وتخضع هذه التغيرات لقوانين كيميائية دقيقة تسيّرهما في مسارات معينة، مما أدى إلى تغيير في السمات الوراثية الخاصة بالأفراد عبر الأجيال الطويلة. واعتمدت النظرية على جهود علماء كثيرين، وتجارب متعددة، منها تجربة السمك الذي يتميز بانطفاء لونه الخارجي، وبالأبحاث المتعلقة بالحفريات، ونظرية الأبيوجينيسيس (Abiogenesis) التي تناقش كيفية نشوء الحياة على الأرض في المحيطات أو البرك الطينية، وأن الحياة أو بالأحرى الأحماض الأمينية يمكن أن تظهر من مواد غير حية كجزئيات الهيدروجين والميثان وبخار الماء، (تجربة ميلر و يوري).

⁽¹⁾ تراجع مجموعة الأبحاث المنشورة ضمن سلسلة "عندما نطق السراة"، وبالأخص عنوان الكتاب: الخلق الأول: كما بدأكم تعودون، تأليف: قسم الدراسات والبحوث، جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، البحرين، 2009.

رابعاً: بنظرة مجردة إلى التجارب السابقة نجد أنها تبحث في إمكانية تطور الحياة من خلال المركبات الغازية أو المائية، وهي تجارب تبحث بمقصد إثبات أن ليس لله دخل في الكون، باعتبار أنه وجد في الكون الأول شيئاً واحداً يسمى الخلية أو الذرة -حسب مفهوم الملحدين-، أو باعتبار أن الله خلق عنصراً بسيطاً واحداً -حسب المؤمنين بالله من المسلمين وغيرهم-، ثم حدثت الانقسامات، وتشكلت عناصر متعددة، وتطورت لتشكيل الجماد والنبات والحيوان والبشر ثم الإنسان.

ومن هذا المنطلق ظهر مفهوم أن الإنسان انبثق من سلالة بشرية بدائية، خرجت من طين الأرض وعناصرها، ونمت في حاضنات كالجنين في الماء بدل الأرحام، ثم اكتملت خلقتها في بطن الأرض، ولما انشقت الأرض خرجوا رجالاً ونساء بالغين، فعاش البشر بعد خروجهم في الأرض هماجين وفي فوضى ودون ارتداء للملابس⁽¹⁾، ثم تطور هذا البشر من سلالات متعددة شبيهة بالقردة، فظهر آدم المذكور في القرآن باعتبار أنه أول من كلفه تعالى

⁽¹⁾ حسب الأسطورة السومرية فإن الإنسان الأول انبثق من سلالة بشرية بدائية كانت قبل 1 مليون إلى 7 ملايين من السنين، في أجواء مر بها كوكب الأرض من ضغط وحرارة، ونشأت هذه السلالة من طين الأرض وعناصرها، ونمت في حاضنات كالجنين في الماء بدل الأرحام، ثم اكتملت خلقتها في بطن الأرض، ولما انشقت الأرض خرجوا رجالاً ونساء بالغين، فعاش البشر بعد خروجهم من الأرض همج وفي فوضى ودون ارتداء للملابس (بصيغة الخنثى، وذلك بإيعاز من إله إنكي). ثم كتب الله للبشر بالتزواج، فصار البشر آدمياً مكلفاً عاقلاً بعد أن نفخ الله فيه من روحه، فظهر آدم الرسول، وخليفة الله في الأرض.

ويرى مروجو هذه الآراء من جمعية التجديد البحرينية أن هذا هو عين ما تصرح به آيات القرآن الكريم. كقول الله تعالى: "لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ" (سورة الكهف: 94) وقوله تعالى: "وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ" (سورة الأعراف: 29). وأن هذا هو نفس ما تمليه نصوص السومرية والبابلية (والكتاب المقدس للصابئة)، وهو ذات الشيء الذي ورد على لسان علي بن أبي طالب وآل البيت في كتاب نهج البلاغة. انظر: الخلق الأول: كما بدأكم تعودون.

بالعقل.

خامسا: لا ينبغي أن ننساق في تحميل نصوص القرآن الكريم ما لا تحتمل، فيدعي أحدنا مثلا أن نظرية الأيوغينييسيس، التي تقول بنشأة الحياة في أعماق المحيطات لها مستند من القرآن في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، (سورة الأنبياء: 30). فهذا الأمر -والله أعلم- تحميل للآيات ما لا تحتمل، وخروج عن صريح قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، (سورة التين: 04)، وقوله أيضا: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، (سورة الانفطار: 07-08)، حيث نجد أن هاتين الآيتين تشيران إلى أن الله خلق الخلق بشكل معتدل منذ أول يوم، ومنذ أول لحظة، ولا أثر لأي إنسان قبل خلق الإنسان السوي مطلقا، كما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، (سورة البقرة: 30)، وهذه الآية الأخيرة تعني أن خلق آدم هي بداية خلق الإنسان، وأنه لم يسبق بمراحل سابقة لخلقه، ولذلك أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، واعترض إبليس على هذا السجود.

سادسا: دعوى القول بأن أصل الإنسان متوحش ثم كُلف، محاولة للقول بأنك أيها الإنسان إذا رجعت إلى أصولك الأولى فإنك ستجد أن الخلق الأول بدون لباس، وأنهم كانوا من جنس واحد؛ ذكرا أو كان أو أنثى، وعليه فأنت أيها المعاصر لك كل الحرية أن تنفك عن ألبستك، وتختلط مع غير جنسك، وتحرر من القيود الأخلاقية؛ فتأتي النساء والرجال كما يحلو لك، لأن ذلك من أصولك الحقيقية وفطرتك التي خلقت عليها، وهذا عين ما تدعو إليه الفلسفة الوجودية تحت غطاء، أنا حر، فإذا أنا موجود.

سابعاً: تنطلق الأبحاث المتعلقة بالبحث عن أصل الأنواع من مبدأ أنه لا يمكن تفسير أن الله هو الذي خلق الحياة في الأرض، لأنه لا يمكن فحص هذه المعلومة بالأدوات التكنولوجية ولا بالبحث العلمي المجرد، ومادام أن العلم مقيّد بالماديات التي يمكن دراستها تحت المجهر، فلا بد من السعي لفهم أول كائن حي (بكتيريا، خلية، ذرة) عاش في الحياة قبل بلايين السنين، ولذلك فتح هذا الأمر شهية الباحثين للإجراء تجارب متعددة حول تطور الجينات، وحول إيجاد مناخات شبيهة بما كان قبل خلق الإنسان، ليتثبتوا أن الكائن الحي الأول (الأحماض الأمينية) تطور من مواد معدنية ليس إلا.

أيها المؤمنون المهتدون:

إننا لا نشك مطلقاً في أن هذه الأبحاث وغيرها أثّرت على علم البيولوجيا بنتائج ثرية، وأسهمت في تطوير الطب المعاصر بشكلٍ مذهلٍ، إلا أنها دخلت في الحديث عن غيبياتٍ، كان يفترض أن يتنزّه عنها البحث المخبري، لأن العلم يهتم بدراسة العلاقة بين المركبات، ولا يقفز من حيز تطبيقي واقعي إلا حيز تجردي فلسفي أو غيبي، ذلك أن الأبحاث في ميدان الهندسة الوراثية تتعلق بتفحص الجينات، ووجود تشابه بين جينات الأنواع المختلفة (حيوان والإنسان وغيرهما)، ولا يعني بالضرورة أن يقال بأنهم منبثقون من أصل واحد، فهذه فرضية ليست إلا، إن لم نقل تخميناً علمياً، قد يوجه الباحث المخبري، لا أن ينادى به ويعتمد كنتيجة، وترسم في شأنه شجرة أصول الأنواع، ثم يُتحدث عن أصل الإنسان، ليأتي من ينافح عنها فيحاول أن يجد لهذا الاستنتاج مستنداً من كلام الله تعالى، والذي يبدو ظاهرياً أن القرآن لا يتوافق مطلقاً مع هذا التخمين النظري، فضلاً عن أننا نعلم أن العلم يبحث في العلاقة بين القوانين، لا البحث عن أصول المواد، كما كان سائداً ذات يوم في الفلسفة اليونانية، وإلا رجعنا إلى نقطة البدء، حينما كان النقاش حامي الوطيس، فيما هو

أصل الكون؛ الماء، أو الهواء، أو التراب، ولم يجد الناس أثرا للبحث العلمي في حياتهم إلا لما انتشر البحث التجريبي، وتركوا الحديث عن الفلسفة النظرية التخمينية.

وتزداد قناعتنا بوجهة نظرنا، حينما نعلم أن القرآن قد كفانا مؤونة البحث في هذا الظن، ودعا بصريح اللفظ للتعمق في الكون المنظور الفسيح.

إخوة الإيمان:

إن أصل كل شيء هو من الله، وأصل كل الأنواع من خلق الله خلقا مستقلا، حيث خلق الحيوان حيوانا، والحشرة حشرة، والنبته نباتا، والبكتيريا بكتيريا، وخلق الإنسان إنسانا، ودعاه أن يرتبط بربه، ويقاوم إغراء الشيطان الذي أنبأنا الله أنه عدو للإنسان مبین. ولا دليل يعلق عليه مطلقا لتطور الأنواع من أمر واحد، والله أعلم.

أيها الشباب المتعلم:

ندعوكم يجد أن تتعلموا وتدرسوا وترتقوا السؤدد، لكن لا تنسوا أبدا أنكم تبحثون في كون الله الذي خلقه بنفسه، ولا تغتروا بأبحاثكم، فما أوتيتم من العلم إلا قليلا، بدليل أنكم لن تستطيعوا أن تزيلوا عن أنفسكم الموت، ولا أن تُحيوا خلقا آخر، فتواضعوا لله، وتعلموا دون أن تصطدموا مع ما ذكره الله في القرآن عن خلق الإنسان، ولا تغتروا بمصطلحات الغربيين، ولا بتمويهاتهم، ولا بالأرقام الخيالية التي قد تضللکم في أنه قد حدث هذا قبل مليون سنة، أو مليار سنة، فهذا كله من الظن.

وتيقنوا أيها الغيورون أن مجال البحث العلمي واسع ومفتوح، لكن لا ينبغي للباحث أن يغتر فيقفز على خطوات البحث ويملي نتائج منبنيّة على فرضياتٍ محتملة، ثم يقع في تناقضٍ صارخٍ مع ما بيّنه ربُّ العزة في كلامه المبین، ثم يقول للناس، دعوني أبحث ولا تقيدوني كما قيّدت الكنيسة ذات يوم غليليو، فهذا غرور وإعطاء للإنسان صفةً أكثر مما

يحتمل، وإنما الباحث هو خلقٌ من خلقِ الله، لا يحق له أن يستخف بالناس، أو أن يموههم بمصطلحات علمه، ليوصلهم إلى قناعاته الخاصة. وإن الباحث هو عبد الله لا يحق أن يناقض ما أقره الله بالصريح في كلامه المبين.

اللهم ارزقنا الفهم السديد لديننا، واللهم ألهمنا رشدنا، وباعد عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَرِزْقًا حَالَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَرُزُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً، واجعل بلادنا آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين يا أرحم الراحمين.

الجمعة 11 رجب 1438هـ / 7 أفريل 2017

الرياضة الحركية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا
كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات
إلى جنات القربات.

أما بعد: يقول الله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّنْ
فَضْلِهِ، وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، (سورة الشورى: 26).

أبيها المؤمنون:

إن حاجة الإنسان إلى الحركة كحاجته إلى الغذاء، فكلاهما متطلبات أساسية لصحة
الجسم والنفس، وإن الرياضة تُعوِّد البدن الخفَّة والنشاط، وتُصلِّب المفاصل، وتُقوِّي الأوتار
والرباطات، وتُبْعِد جميع الأمراض المادية وأكثر الأمراض المزاجية، وتُخلِّص الجسم من رواسب
الطعام وفضلاته، من غير احتياج إلى أدوية، ومن دون اللجوء إلى المواد الكيماوية.

إخوة الإيمان:

كان أجدادنا في غنى عن الرياضات المتعارف عليها في عصرنا، ذلك أنهم كانوا يأكلون
الذَّ الطعام وأنفعه، يحرثونه في مزارعهم، ويرعون به بأيديهم الشريفة، وكانوا يمارسون حركيةً
دائمة أملتها عليهم ظروفُ معيشتهم؛ كالعمل في الفلاحة، وتسلق النخيل، والسير الحثيث
بالأقدام لمسافات طويلة، أو امتطاء الدواب التي تهزمهم وتحرك كلَّ أطراف جسدهم، تلك
هي الأسباب التي جعلت أجسامَ أجدادنا وآبائنا صحيحةً، وأنفسهم قوية، فسلموا من كثير

من الأمراض والحمد لله، وجسدوا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِِيَاهُ تَعْبُدُونَ﴾، (سورة البقرة: 172).

ولكن للأسف، قد اختلف الأمر حاليا عما كان عليه في الماضي، حيث صار الإنسان يأكل من إنتاج غيره، ويتقوت مما حُشي بالمضافات والملونات والمواد الكيماوية الضارة في أغلبها، وصار الكثير منا يعمل في وظائف تستدعي الجلوس على الكرسي للساعات الطوال، أو يتنقل بوسائل لا تكلفه غير حركة يسيرة، فتكاسلت العضلات، وتراكت الأغذية، فخدمت بذلك الأبدان، مما ولد أمراضا متنوعة، وطابورات كبيرة في العيادات الخاصة فضلا عن العامة، فهذه معاناة الإنسان المعاصر رغم الرفاهية الحديثة، يقول تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوُونَ﴾، (سورة النحل: 53).

عباد الله:

لقد باتت الحركة ضرورية لحياة الإنسان، وبات التفكير في ممارسة النشاط الرياضي فريضة دينية، وواجبا حضاريا لا يحق لنا أن نتهاون فيه، حتى ننظف أجسادنا، ونزيل الأوساخ من أحشائنا، ومما يؤكد هذا الواجب أن العلماء صنفوا حفظ النفس ضمن الكليات الخمس، ومن مقاصد الشريعة السمحة، وأن الرسول ﷺ أمرنا بالاعتدال في التعامل مع صحتنا فقال لعبد الله بن عمرو بن العاص ض، يا عَبْدَ اللَّهِ: «صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَتَمِّمْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»⁽¹⁾.

ويروي عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»⁽²⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح، باب لزوجك عليك حق، رقم: 5199.

(2) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، رقم: 1917.

ولم يسمح الرسول ﷺ بلهو قط إلا إذا كان في ترويض الجسم، فقال: «كُلُّ شَيْءٍ يَلْهُو بِهِ ابْنُ آدَمَ فَهُوَ بَاطِلٌ، إِلَّا ثَلَاثًا: رَمِيَهُ عَنْ قَوْسِهِ، وَتَأْدِيَهُ فَرَسَهُ، وَمُلاَعِبَتُهُ أَهْلَهُ، فَإِنَّهُمْ مِنَ الْحَقِّ»⁽¹⁾.

وقال أيضا لحنظلة: «وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ: سَاعَةٌ، وَسَاعَةٌ»⁽²⁾، وَكَرَّرَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ: سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

يا حبيب الرحمن: إن الله يريد منك أن تكون قوياً في جسمك، وفي عقلك، وفي روحك، وفي أخلاقك، لأن الحق يحتاج إلى القوة، يقول رسول الله ﷺ: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. وكان سيدنا موسى عليه السلام أنموذجاً حياً للمؤمن القوي، فقال الله عنه: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾، (سورة القصص: 15).

أيها المصلون:

علينا أن نعيد النظر في حساباتنا مع الرياضة؛ فينبغي على من يؤديها أن يواصل فيها، ويستحضر نية العبادة لله، وعلى من لا يؤديها أن يختار نشاطاً رياضياً يناسب عمره، وينسجم مع حالة جسمه، وعليه أن يتعد عن الخمول والراحة، ويقوم بأي حركة ولو كانت مشياً يومياً على الأقدام لمسافة معتبرة.

وعلينا أيها المؤمنون أن نقيم فضاءات رياضية للفتيان والشباب والكهول، ونسعى لتشجيع العاملين في الميدان، ونعمل لجلب مؤطرين أكفاء لتنظيم عدة رياضات في بلدتنا ولمختلف الأعمار، ونجتهد في هذا السبيل تطيباً لأنفسنا، وطلباً لصحة أجسامنا، وخروجاً من دائرة التهلكة، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(1) أحمد، المسند، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر الجهني، رقم: 17337.

(2) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر، رقم: 2750.

إخوة الإيمان: ينبغي أن نراعي حق الله في الرياضة، وأن نلتزم بالضوابط الشرعية التي فرضها علينا ربنا تبارك وتعالى، وعلمنا إياها رسولنا محمد ﷺ:

1- ألا تلهي الرياضة عن الواجب الشرعي كصلاة الجماعة مثلاً: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ جَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾، (سورة النور: 37)، فيجب على اللاعبين أن يدخلوا إلى المسجد عقب الانتهاء من مباراتهم حتى لا يفوتوا على أنفسهم صلاة المغرب. وعلى الرياضي الذي يعدو بين المغرب والعشاء، أن يصلي المغرب جماعة في المسجد، وألا يفرط في صلاة العشاء جماعة في المسجد أو مع إخوانه العدائين بعد الانتهاء من تمارينهم.

2- الالتزام باللباس الإسلامي السَّاتر من السُّرَّة إلى الرُّكبة، والحدُّ من ارتداء الرسوم والكتابات المنهي عنها شرعاً.

3- لا ينبغي أن تكون الرياضة سبباً لإيذاء النفس، أو إلحاق الضرر بالمنافس، فعن أبي سعيد الخدري ض، أن رسول الله ﷺ قال: «لا ضَرَرٌ وَلَا ضِرَارَ، مَنْ ضَارَّ ضَارَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ»⁽¹⁾. واعلم أخي في الله أن كلَّ رياضة تلحق ضرراً محققاً بأحد الطرفين، فهي من الرياضات المحرمة شرعاً، ولا يجوز الانخراط فيها، بناء على حديث رسول الله ﷺ السابق: «لا ضرر ولا ضرار».

4- ابتعد أخي المسلم عن كل المكاسب المحرمة في الرياضة، كالمراهنة والقمار.

5- التزم روح الأخوة والتعاون مع جميع اللاعبين، ولا تنس أن تطلب منهم المسامحة عقب كل حصة تمرين أو منافسة، وأن تتحلَّى بالتواضع والخلق الرفيع.

(1) الدارقطني، السنن، كتاب البيوع، رقم: 3079.

6- اعلم أخي في الله أن المنافسة جائزة في الإسلام، لأنها تظهر قوة الرجال، وتبرز مواطن الضعف عند الرياضي، فقد صارع رسول الله ﷺ رجلاً اسمه زُكَّانَة فصرعه، وكان عليه السلام يُمِرُّ على أصحابه في حلقات الرَّمْيِ فيُشَجِّعُهُمْ ويقول لهم: «ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ»⁽¹⁾. لكن إياك أخي الرياضي والسَّبَّ والفجور والغضب في المنافسة والمصارعة لأن ذلك يجر إلى المخاصمة، وهي من خصال أهل النفاق.

7- نظم وقتك، وخصص زمنا لواجباتك المنزلية، ووقتاً لوظائفك الاجتماعية، واعتبر الرياضة تنفيساً لقلبك من مشقة العمل في سبيل الله، وتقوية على العمل الخيري وليست سبباً للتفكير منهما.

8- لا ينبغي لك أيها التلميذ النجيب أن تشغلك الرياضة أو المنافسة عن دراستك وتعليمك، أو أن تُخَيِّرَ بين الدراسة القرآنية والرياضة فتختار الثانية، فذلك عين الضلال، وطريق الشيطان، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾، (سورة الزخرف: 36)، ومن ضيع الفرص تجرع الغصص.

9- واطب أيها الرياضي على الحضور المستمر لحصص التمرين، وابتعد عن الشعور بالملل والسأم، وغذ نفسك دائماً بالصبر الجميل.

10- لا داعي أخي المؤمن أن تشغل بالك أثناء اللعب أو التمارين الرياضية بالموسيقى الهادئة أو الصاخبة، لأن ذلك يرهق أعصابك، وأنت في موطن الاسترخاء التام للأعصاب، كما لا يخفى عليك أن ذلك من تقاليد الغربيين المستهترين بالدين وبالقيم النبيلة. اللهم إنا نسألك العفو والعافية، اللهم اهدنا فإنك نعم الهادي، وارحمنا يا أرحم الراحمين.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، رقم: 3507.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ويده الهدى والسداد، نشهد أنه إلهنا وإله الأولين والآخرين، هو ربنا ورب الخلق أجمعين.

أما بعد، أيها المؤمنون:

إنَّ الإسلامَ يحث على الرِّياضةِ التي تسعى إلى إيجادِ الإنسانِ الفاضلِ المتميّزِ بجسمِهِ القويِّ، وخُلُقِهِ النّقيِّ، وعَقْلِهِ الذّكيِّ، ويدعو إلى الرياضة الهادفةِ النّظيفةِ، التي تُتَّخَذُ وسيلةً لا غايةً، واستِمْتاعاً لا تَعَصُّباً، وتحركاً لا تفرجاً، وتقويةً للجسم وتأهيلاً له، لا ديناً آخر يعبد من دون الله، يقول تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾، (سورة الأعراف: 157)، فالله حرم علينا الخبائث وما ينجر عنها كهدر الأوقات الطوال للتفرج على الرياضة في التلفاز، وإثارة الأعصاب والشحناء عند مشاهدة مباريات كرة القدم بالخصوص، والدعاء بالنصر والفوز بحماسة وغيره، والتشجيع مع رفع الصوت والصخب للاعبين أكثرهم من المعتوهين والمخمورين وذوي الأخلاق الفاسدة.

أيها المصلون المتقون:

لقد أصبح أمرُ هذه الأُمَّةِ عجباً، فأتناء دوريات كرة القدم تُعلن حالة الطوارئ في مجتمعاتنا، ويتنافس الناس على اقتناء بطاقات القنوات الرياضية المشفرة بأثمان باهضة، ويسمح بعضنا لنفسه بالتفرج على ثلاث مباريات إلى أربع دون كلل وملل، بمعدّل خمسٍ إلى ستّ ساعاتٍ في اليوم الواحد، يضافُ إليها التعليقات والملخصات، ويصبح حديثُ الشباب والرجال وحتى النساء في الشوارع والبيوت تحليل مجريات المقابلات واجترار ما شاهدوه وعاینوه باهتمام شديد، وكل ذلك لهوٌ في هو..

أخي المسلم:

إن تفرجك على المباريات في التلفاز ليس بريضة ولا بترفيه، إنه تضليل وتحقير لعقلك،

وإنه إرهاب لعينيك وأعصابك، فحاول أن تستفيق من سباتك وغفلتك، وتتوب إلى الله، وتبعد عنك هذه العادة بكل حزم ومروءة، **وعليك أخي في الله** أن تشغل نفسك بالحق، وإن بقي شيء من وقتك فاقضها في خير العمل، فإن ذلك مما يفتح عليك أبواب الخير كلها.

إخوة الإيمان:

ليس من شيم المروءة بتاتا أن يخرج بعض الشباب إلى الشوارع فرحين أو غاضبين لأجل كرة القدم، ويشتعل بعضهم أبواق سياراتهم انتصارا لفريق ما يبعد عنهم مسافة تقدر بالآلاف الكيلومترات، أوليس هذا إخواني الكرام من الجنون، ومن الضياع الشباني، واستهتارا بقداسة الإنسان وأهمية عقله، ألا يخشى هؤلاء ومن انساق معهم أن يتحقق فيهم قوله تعالى:
﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُؤُلَاءِ وَلَعِبًا وَعَرْتَهِمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِثَيَّاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾، (سورة الأعراف: 51). أو قوله جلا وعلا في سورة الأنبياء: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون، ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، لاهية قلوبهم. وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتاتون السحر وأنتم تبصرون﴾**، (سورة الأنبياء: 01-03).

فاللهم إنا ندعوك أن تقوي أمتنا، وتحفظ شوكتنا، وتزيل عنا الأمراض والأرجاس.
ونسألك يا عزيز يا منان أن تزيل الغفلة عن شبابنا، وتنجيهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم من كان منهم غافلا فأيقظه، ومن كان غارقا فأنقذه، ومن كان عاصيا فاهده للتوبة وثبته عليها، ومن كان عاملا مجدداً نشيطا فتقبل منه وبارك له في عمله وجهاده.
اللهم يا ربنا اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، واهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت.

الوعي الصحي عن طريق التغذية الطبيعية

الحمد لله الذي خلق فسوّى، وأمر عباده بالتقوى، فأباح لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه وخليفه، خاتم الأنبياء والمرسلين وإمام المتقين، وعلى آله وأصحابه الميامين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم إخواني بتقوى الله عز وجل في السر والعلن؛ يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، (سورة آل عمران: 102). فالسعيد من تدبر أمره، وأخذ حذرَه واستعد ليوم الرحيل، وأدعوكم أن تراقبوا ربكم في الرخاء والشدة، وتذكروه في النعماء والبأساء، لتكونوا من عباده الصالحين المفلحين إن شاء الله.

إخوة الإسلام: إن نعمة الصحة، ونعمة المعافاة في الأبدان، منحة إلهية جليلة، وعطية ربانية عظيمة، يتنعم بها بعض الناس، ويُجرَم منها البعض ممن يعيش في المستشفيات ليل نهار، ويستصحب مرضه معه في الحل والترحال، ما يستوجب عليك أيها الصحيح أن تشكر نعمة الله عليك، فتتقرب إليه بالطاعة، وتتقيّه بالالتزام بأوامره واجتناب نواهيه، وتعبده باستغلال صحتك وطاقتك فيما ينفع الناس والعالمين.

أيها المعافي والحمد لله:

تذكر، أن ليس بينك وبين المرض إلا قدرُ الله عز وجل!
وتذكر، أن المعافاة من المرض لا يعني رضا الله عنك، ولكنها ابتلاء واختبار.
وتذكر، أن ما تتمتع به من نعمة الصحة ستحاسب عليه يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا

بُنُون، إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، وعمل سديد.

وتذكر، أن من عرف الله في حال الرخاء والسراء، وفي حال النعمة والعافية؛ عرفه الله في الشدة والعسرة، وفي البأساء والضراء.

وتذكر، قوله ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس»، ومنها «صحتك قبل سقمك»⁽¹⁾. وقوله أيضا: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ، مُعَانِي فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»⁽²⁾.

أيها المسلمون: لما كانت الصحة من أجل نِعَمِ الله على عباده، وأجزل عطاياه، فقد عني الإسلام بالمحافظة عليها، ودعا إلى العناية بها، وجعل لذلك وقواعد وضوابط منها:

1- تجنب الإسراف في الطعام: قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، (سورة الأعراف: 31). وحد الإسراف هو الأكل قدر الحاجة، ودون إلحاق ضرر بالبدن، ولا سقم بالجسم، مع تجنب المفاخرة في المأدبات العامة، وترك الحرص على اقتناء كلما تشتهي النفس من طعامٍ عَطِرٍ لذيذٍ، ذي إعداد أنيق ومنظر بديع، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ض قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ السَّرَفِ أَنْ تَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَيْتَ»⁽³⁾. ويقول أحد الحكماء: "إن أردت أن يصح جسمك، ويقل نومك؛ فأقل من أكلك".

2- ترك الأكل بعد الأكل، والطعام بعد الطعام لئلا تثقل المعدة ويعسر الهضم.

3- تنويع الطعام: واختيار أصحه ليسهل الانتفاع به واستغلاله، والأولى أن يضم الطعام العناصر الرئيسة التي يحتاجها الجسم؛ من الدهون، والبروتينات، والفيتامينات،

(1) الربيع، الجامع الصحيح، الجزء الرابع، رقم: 896.

(2) الترمذي، السنن، كتاب الزهد، رقم: 2346.

(3) ابن ماجه، السنن، كتاب الأطعمة، باب من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت، رقم: 3352.

والأملاح، والكربوهيدرات، والماء.

4- اختيار هيئة مناسبة للجلوس، وتجنب الاتكاء على الجنب والاستلقاء على البطن. والابتعاد عن كل ما ينغص النفس، ويقزّز الشعور، ويُتعبُ الدهن، من مثل مشاهدة التلفاز أثناء الأكل، والتواصل مع الأصحاب عبر النت ووسائل الهاتف النقال.

5- تجنب الخبائث وما حرم الله من الفواحش ما ظهر منها وما بطن (كالمخدرات، والكحول، والدخان)، لأن أكلها يُصير صاحبها كالأنعام أو أشدّ، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾، (سورة محمد: 12). ولأن تتابع النعم، وترادف المن، وتعاقب الآلاء، فيض من الكرم الذي لا يغيض، وعيث مدراز من المنعم الذي يبسط ويقبض، فمن عرف قدر النعم والمنعم أمدّه الله ومتّعه، ومن أوهن نفسه بالمضار والمهلكات نزل به السقام، وهنته الأمراض، وأقصت مضجعه العِلل، فهرعت إليه الشيخوخة مبكرّة، ونهشت السموم جسده وصحته على مرأى من الأطباء والأحباب، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، (سورة البقرة: 168).

6- الاعتناء بنظافة الطعام، وغسل الخضروات والفواكه قبل استعمالها، احترازاً من الجراثيم، وتجنباً للمبيدات التي يمكن أن تكون على قشرتها، ويتأكد هذا في فصل الحر والقر، وننصح كذلك بممارسة الرياضة والمواظبة عليها لتحريك العضلات، وإزالة الفضلات من الجسم بعد الأكل.

اللهم ألهمنا الصحة والعافية، وباعد عنا الأمراض والأسقام، واشف مرضانا ومرضى المسلمين يا أرحم الراحمين. اللهم طهر قلوبنا واغفر ذنوبنا وأصلح أعمالنا ورقنا بفضلك في مراقبي المتقين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي شفانا وعفانا مما ابتلي به كثيرا من خلقه تفضيلاً، والصلاة والسلام على نبينا الكريم، القائل: «نِعْمَتَانِ مَغْبُوتٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»⁽¹⁾.

أما بعد:

أحل الله في القرآن أصنافاً من الأطعمة والأشربة ووصفها بأنها رزقاً طيباً، مفيدةً للإنسان جسداً وروحاً، فقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾، (سورة الأعراف: 32). وحرم الله القليل من الأطعمة والأشربة على منوال منع شجرة واحدة على سيدنا آدم عليه السلام، وسمح له بالتنعم بكل ما في الجنة، حيث قال تعالى: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، (سورة الأعراف: 19). لكن الإشكال أن الإنسان المعاصر بات لا يراعي حرمات الله، ولا يهتمه غير الربح المادي والاستفادة من مستثمراته، فظهر فساد فظيع في البر والبحر بما جنت أيدي الناس، وبرزت أمراض خطيرة وفتاكة غير معروفة الأسباب، مع ادعاء أدويتها، وكل ذلك جراء تخلي المؤمنين عن سبل العلم والحضارة، فتركهما في يد من لا يُراعي حق الله، فتلاعب بالجينات، وبَدَّل في الهندسة الوراثية للمركبات الغذائية، فصرنا نستهلك مواداً كيميائية لا علاقة لها بالتغذية، وبتنا نهضم جزئيات الخنزير وإنزيمات الحيوانات المصروعة بغير ذكاة، وصرنا نأكل اللحم المذكى من قبل مشركين وثنيين لا يقرون بدين ولا يذكرون أي اسمٍ لله تعالى، وبدون مراعاة أيّاً من القوانين الدولية أو الأعراف الاجتماعية للناس.

أيها المؤمنون الواعون:

إن الله وضح أنه الخالق، وأنه الذي يطعم ويسقي، ويُمرض ويشفي، فقال: ﴿الَّذِي

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم: 6412.

خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾، (سورة الشعراء: 78-80). إلا أنه ترك الحرية للإنسان أن يعمل حسب هواه، ليحاسبه ويجازيه فيما عمل، فاختار العالم الغربي النشط والعاملُ بجد وتفان أن يتطور على حساب القيم الدينية والاجتماعية، فأخذ يحوّر ويصنّع في المجال الغذائي ليدرّ له الربح السريع، مستفيداً من الطرق التقليدية لحفظ الأطعمة وتجفيفها وتخزينها، مثلما نخزن نحن التمر في "تلاوين"، وتُملح اللحم ثم نعلقه في "إكومار"، ونخلل بعض الخضروات في القارورات، فذات العملية صارت تتم بصورة أكثر احترافية واصطناعية، وذلك عن طريق مضافات غذائية Additif alimentaire، فتنوعت المضافات إلى مضافات الأكسدة، ومضافات المواد الكيميائية الحافظة والملونة والمنكهة والمعطرة والمنظمة للحموضة وإلى غيرها من أشكال الإبداع المشبوه. وإزاء هذا التطور الرهيب للغذاء، تضاعفت الأمراض في العالم، وتعتست الإنسانية بذلك، ويرجع السبب الأول إلى الأكل الموبوء بالمواد الكيميائية الضارة والسامة، وإلى إضافة مواد مستخلصة من أنفحة حيوانية مصروعة، وأخرى من أنفحة لحوم الخنازير والميتة النتنة والمتعفنة.

إخوة الإيمان:

لم تعد القضية، قضية جواز الأكل أو حرمة، بل تعدت مسؤولية رجال الشرع والفقهاء الذين تقاعسوا عن أداء مهمتهم يوم أن كانت الأمور في بدايتها، فلذلك نحن في حاجة إلى أطباء مخلصين، وإلى بيولوجيين غيورين يوعون الناس بمحتوى الأكالات، ويظهرون للعالمين ما يضم أكلنا من مواد كيميائية لها أثر فظيع على الجسم، ويقدمون كل هذا في إطار علمي بعيد عن التهويل والتهوين، حتى نقلّص من استهلاك بعض المواد التي لا تعود علينا بالنفع لصحتنا، ولا بالفائدة لأجسامنا، ونبتعد عن منتجات السفلة المتعطشين للمال، والبارعين

في تزيين الباطل وإخفاء الحقيقة في ثوب براق وجذاب، استخفافا بالعقول وتأثيرا عليها إعلاميا؛ سواء أكانوا صغارا أو كبارا، رجالا أو نساء.. ولم يسلم من هذا الجشع الحيوان ولا النبات، فكلُّ صار في الهم سواء، وكل هذا يحدث على أعين الناس العقلاء، لكن كيف إذا كان الناس قد قبلوا بالواقع ورضوا به حتى تحقق فيهم قوله تعالى: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾، (سورة الزخرف: 54).

أيها العقلاء

لتجنب مخاطر هذا الواقع الأليم، بعيدا عن توريث الوسوسة في الأنفس، وإذاعة الفرع والخوف في الناس، فإنه على المؤمن الكيس أن يُنقص من استهلاك الغذاء الاصطناعي، ويتجنب الغذاء المليء بالمضافات ذات الأصل النباتي أو الحيواني أو المعدني، لأنه يشوبها إشكالية شبهة استحالة مادتها الأصلية من عدمها، وبهذا الصدد على الإنسان المؤمن بالخصوص أن يحتاط لنفسه بإيجاد بدائل من صنع يده وأهله، ولا يرتاح إلا للثقات، وأن يكون على وعي بالمضار الموجودة في بعض المنتوجات حتى يقلل من أكلها، أو يتعد عنها كلية، وهذه بعض النصائح في هذا الشأن:

1- على المؤمن الاطمئنان إلى النظام الغذائي الوارد في القرآن الكريم، لأن الله طيب لا

يقبل إلا طيبا، ونذكر من ذلك غذاءين، هما، القمح وزيت الزيتون:

فالقمح: فقد تحدث الله عن السنابل إشارة إلى القمح والشعير، وهو غذاء صحي، يضم موادا أساسية للجسم، إلا أن الإنسان المعاصر أفسده رغم أهميته فصار يعطي الفائدة الأساسية الموجودة في قشرة القمح "تنخلت" إلى الحيوان، ويستبقي الأطعمة الناعمة الخالية من الألياف "فريئة والسميد" ليصنع بهما الخبز والكسكس، وهي مواد غرائية متعبة للمعدة. أما القشرة التي تحوي على الفيتامينات، والمعادن كالفسفور المغد للدماغ، والحديد الذي

يهب الدم قوةً وسلامة، والكالسيوم الذي يبني العظام، واليود النافع للغدة الدرقية، والبوتاسيوم والصوديوم والمغنيزيوم وغيرها، فإن كل هذا يُرمى للدواب؟ فهل نعي أيها الغيورون أن نعود لصنع خبزنا وكسكسنا بما يسمى "أغروم أن تمزين، أشو أن تمزين"، لنعيد الأمور إلى أصلها الطبيعي.

وأما زيت الزيتون: فقد مدحه الله في سورة النور، فقال: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾، (سورة النور: 35)، وقال عنه الرسول ﷺ: «كلوا الزيت فإنه مبارك، وائتموا به، وادهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة»⁽¹⁾. ذلك لأن زيت الزيتون مضادٌ لضغط الدم المرتفع، ومضادٌ لمرض السكر، وبقي الشرايين والأوعية الدموية من التصلب وترسب المواد الدهنية فيها، ولهذا علينا اقتناؤه وشراؤه وغرس شجرته في أراضٍ شاسعة لنجني خيره بثمرن معقول ومقبول.

2- يجب على الإنسان المعاصر إن رام الصحة والعافية لبدنه وعقله، ورغب في استقرار نفسيته أن يتعد قدر المستطاع عن الأغذية التي تحتوي على المضافات احتياطاً من الأمراض الخطيرة، وتجنباً لتراكم السموم في أعضائه، وهذا بيان للأمر.

المضافات الغذائية هي مواد ذات منشأ كيميائي (صناعي) أو طبيعي، وهي تضاف إلى الأطعمة لتؤدي أغراضاً معينة، كحفظ الأطعمة من التلوث عن طريق التقليل من البكتريا والأعفان والخمائر، أو لأجل إعطاء نكهة خاصة للطعام، أو إمداد المشروب والحلويات بلون معين فيكون جذاباً للاستهلاك، وقد تكون هذه المضافات لأجل تحسين كثافة المنتج وتفاعله السلس مع بقية العناصر الكيميائية الأخرى، وقد تكون لأجل الاستحلاب ومزج المواد التي لا تجتمع في العادة كالماء والزيت.

(1) الدارمي، السنن، كتاب الأطعمة، باب في فضل الزيت، رقم: 2052.

ويفترض أيها الطيبون أن تكون هذه المضافات الغذائية محدودة النسبة، وذات مصادر طبيعية معروفة، مادامت تقدم إلى الإنسان ليأكلها، لكن الواقع يُظهر عدم الالتزام الصارم بنسبها ولا بتعيين مصادرها، وهو ما سبب في ظهور السرطانات المتعددة، عفانا الله وإياكم من كل شر وبلاء، وأدى إلى تعاسة البشرية المعاصرة رغم تطور الطب وآلياته.

3- على الإنسان -والمسلم بالخصوص- أن يُكثر من أكل الفواكه والخضروات الطازجة والأصلية، مع الابتعاد عن الخضروات التي تباع في غير موسمها، وكذا التي تظهر بأشكال جذابة في قشرتها وحجمها، لأنها معبأة بالمضافات، ومهجنة وراثيا مما يجعلها غير أصيلة وتسبب مشاكل صحية.

4- التقليل من تقديم "تسليكين" الحلويات والمرطبات والشكولاتة والتشيبس واللبان (chewing-gum) إلى الأولاد لأنها مليئة بالصبغات والنكهات الصناعية والمواد الحافظة التي تسبب عجزا في النمو، وضرا في الجسم لا تظهر أعراضه إلا بعد حين.

5- المنع المطلق لتغذية الرضع والأطفال بحليب العُبرة إلا بإذن خاص من الطبيب، ذلك لأن كل الأنواع المعروضة في الصيدليات غير مضمونة، وتعيق مفعول وظيفة حليب الأم الغني بكل العناصر الضرورية للصحة الجسدية والنفسية للطفل.

6- توعية النسوة بضرورة العودة إلى إنتاج الغذاء من عمل أيديهن، وتحسيس أرباب الدار بقبول أكالات أقل نكهة ولكن بأفضل نوعية. وهذان الأمران أساسيان سيفتحان المجال للعائلات على تخزين الطماطم صيفا عوض شراء علب الطماطم المصبرة conservateurs، وقبول استهلاك الشحوم في الطبخ عوض الزيوت النباتية المهدرجة والمضرة (زيت المائدة)، وتقليل استهلاك السكر بكل أنواعه وفي كل الوجبات وبالأخص في الشاي والقهوة، وفي هذا الصدد نهب بالمختصين أن يقيموا دورات تدريبية لتشجيع صنع معجون

التمر والتين وغيرهما بديلا عن شراء المعلبات المنتشرة في السوق، وكذا التدريب على صناعة الحلويات من القمح الطبيعي عوض الفرينة.

7- إنشاء ورشات جديدة لصناعة الأغذية، مع التحري الدقيق في مصادر المواد، وبالاستعانة بالخبراء والمختصين البيولوجيين، ولا يخفى إحتوي أن هذا سيعتبر موردا ماليا ضخما لوطننا، ومعززا اقتصاديا لبلدنا، وسبيلا للتقليل من مخاطر الأكلات غير الصحية، والمتضمنة شبهة شرعية تتصادم كلية مع النصوص الثابتة في القرآن وسنة رسول الله ﷺ.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، (سورة البقرة: 286).

اللهم ألهم لأمتنا أمرار رشدا. واللهم أعنا أن نعبدك في أرضك كما تشاء، وعلى الكيفية التي شرعتها لنا.

اللهم قو شكوة الإسلام والمسلمين، وأعز العاملين في ميادين الحق والخير.
اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْغُ فِيْنَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيْثُ أَلَّا تَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَندعوك ربنا أن تصلح شأننا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا خيرا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا طيبا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

خطورة الإعلام المعاصر على الناس وعلى الأطفال

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ.
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْقُرْآنَ نُورًا يَهْدِي بِهِ قُلُوبَنَا وَيُشْرِحُ بِهِ صُدُورَنَا، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْقَائِلُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾، (سورة النساء: 174).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبداً لله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، (سورة البقرة: 281)، ويقول تعالى عز شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، (سورة الأحزاب: 70-71).

أيها المؤمنون:

لقد اخترنا أن يكون موضوعُ خطبتنا اليوم إن شاء الله تعالى حول سلاحٍ من أشد الأسلحة تدميراً لبيوت المسلمين، وسبيلاً من أخطر السُّبل على قلوب المؤمنين.. سلاح تُستعمر به العقول قبل الحقول، وتُسلب به قلوب العباد قبل خيرات البلاد، ضحيته لا يُعدُّ شهيداً في سبيل الله، ولكن يعدُّ طريداً من رحمة الله.. إنه: الإعلام، وما أدراك ما الإعلام؟! والمقصود بالإعلام المدمر هو: الذي يَصُدُّ عن دين الله تعالى، وعن دعوة رسله عليهم الصلاة والسلام، فالله عزو وجل يذكر في كتابه الكريم المناصرين لرسله والمعادين لهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ، وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا

فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾، (سورة النساء: 170)، ثم يشدد الوعيد لمن صدَّ عن دعوته تعالى، فيقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، (سورة آل عمران: 99-101).

فأغلب وسائل الإعلام أقيمت على أساس قتل دعوة الأنبياء والمرسلين، وإيقاف نور الله تعالى في الأرض، وذلك عن طريق نشر الشبهات والشهوات:

- الشبهات التي تُفسد على الناس عقائدهم، وإيمانهم، ومبادئهم، ومقومات شخصيتهم.

- والشهوات التي تُفسد على الناس عباداتهم، ومعاملاتهم، وأخلاقهم.

هذا ما يفعله الإعلام عموماً بالناس، في حين أن الله تعالى قد أتم علينا نعمته، وأسبغ علينا نعمته، واصطفى لنا هذا الدين، فقال: ﴿الْيَوْمَ يَتَسَّسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، (سورة المائدة: 03).

إخوة الإيمان:

نحن مبتلون بغزو الشهوات علينا وعلى أهلكنا؛ غزو الكأس والمخدرات، غزو المرأة الفاتنة والرقصة الماجنة، غزو الشذوذ الجنسي والفساد الخلقي، غزو الأفلام والمسلسلات، غزو الأغاني والرقصات، وإهدار الأعمار وتضييع الأوقات في لهُو الحديث وما يضل عن سبيل الله تعالى.

نحن مبتلون بغزو عقيدة المسلمين في إيمانهم بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فلقد استطاعوا اقتحام ديارنا وبيوتنا، وحتى غرف نومنا، بلا مقاومة منا ولا غضب، ولا صيحة ولا شغب.

قنوات فضائية تنشر الانحلال الخلقي عن طريق الأفلام العربية، أو الأفلام الأجنبية، أو الأفلام المدبلجة التي استهوت ضعاف النفوس لما تحويه من إغراءات سينمائية مثيرة، ومواضيع جنسية تثير العشق والغرام، وتسعى لتخريب الأسر ونشر فاحشة وزنا المحارم بين العائلات، نسأل الله السلامة لأمتنا جميعا، وندعوه بإخلاص أن يُصّر الناس بعيوبها، ويقزّزها في أعينهم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾، (سورة الحجرات: 07).

أيها المسلمون:

كلُّنا يدرك المخاطر العامة التي تجنيها من الإدمان على تفرج الهوائيات المقعرة (parabol) والتلفزة، وكلُّنا يدرك ما تحويها من مساس بعقائد المسلمين، والتطبيع مع الفاسقين، والولاية والحب للكافرين وأرباب الشهوات، وكلُّنا يدرك ما فيها من نشر الفساد والرديلة، وذهاب الغيرة وإذكاء العداوة والبغضاء بين أهل الدار الواحدة، حتى صارت منازلنا قبورا مثلما حبيبنا محمد ﷺ قال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»⁽¹⁾. فالفرق واضح بين البيت الحي وبين البيت الخرب، الذي تجد أهله متعلقين بالشاشة لا ينفكون عنها؛ الأُم مع الأفلام التركية أو الهندية، والأب مع الأفلام الأجنبية والأخبار، والشاب مع الرياضة وأفلام العنف، والشابات مع مسلسلات

⁽¹⁾ مسلم، الجامع الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، رقم: 780.

الغرام وحصص التجميل والألعاب، والصغار مع الرسوم المتحركة، فكل في شغل فاكهون، فأين هي العائلة أمام هذه الملهية العجيبة؟ ومتى يستمع الوالدان لأبنائهما؟ ومتى يعيشون معهم انشغالاتهم؟ وكيف يستفيد الصغار من حكمة الكبار؟ وكيف نكسب الثقة بين أفراد المجتمع؟ وكيف بربكم سيفلح من لا يرى مفلحاً؟ وكيف يهتدي الناس وهم يتلذذون بمشاهدة المناكر والفسق عائلياً، بحضور الآباء والأمهات والأبناء؟ فياربُّ رحماك، يا رب رحماك.

أيها الزوجان الصالحان:

يقول أحد الأزواج حديثي العهدِ بالزواج: أقسم لي بالله العظيم أني ما عرفت طعم السعادة الزوجية حتى أغلقتُ هذه الشاشة المتدفقة شراً في البيت، وجلست مع زوجتي أتُحاور معها بكل راحة بال وروية.

ذلك لأنَّ المتتبع للأفلام؛ من الرجال والنساء إنما يستدلون حناناً ضائعاً في فراشهم، ويستمتعون بصور المُفتنين والمُفتنات، ويعوّضون الجفاء الذي يجدونه في أنفسهم بالكلام المعسول المُلقى من شفاهٍ كاذبة متصنعة للحديث، بعد أن كُتب لهم نص الإلقاء كتابةً، وصُنف لهم الكلامُ الرنانُ من ذوي الخبرة في المحون وتجارة اللذة.

ويا ليت شعري يستفيق الأزواج من غفلتهم فيدركون أن التفرج على الأفلام الأجنبية أو المدبلجة أو العربية إنما هو هروب من بعضهم، وإعلانٌ للطلاق النفسي الحاصل بينهم. يقول تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾، (سورة الأعراف: 146).

فاسعيا أيها الزوجان الصغيران أو الكبيران أن تُفصحا عن مشكلتكما النفسية والزوجية

بكل جرأة وصدق، وحاولا بكل ثقة في نفسيكما أن توطدا علاقة الحب بينكما عن طريق التخلي عن المنكرات والفواحش، والإقبال التام للتلفزة، أو التخلي عنها إلا ليوم واحد في الأسبوع، وهذا كثير.

أيها السادة الكرام:

وأئي مصلحةٍ تجدونها في الإعلام الضال المضلل، والذي يئث أخبارًا كاذبةً وصورًا مرخصا بها من قبل لوبيات الوكالات الإخبارية العالمية، التي لا تُرينا إلا ما ترى، ولا تسمح بالتداول العام إلا لما يخدم أغراضهم الدنيئة، ويمكنهم من التحكم في العالم اقتصاديا وسياسيا وثقافيا، ولذلك لا يكاد يظهر حدث على الساحة الإعلامية إلا وتُشاهد نفس الصور تقريبا تتكرر في نفس القناة، وعلى مئات القنوات الإخبارية، وتسمع لكل المعلقين يدندنون بنفس التعبير والإيقاع، وهو ما أوقع العالم كله تقريبا في حبال سلطة مركزية اتخذت نفسها إلها من دون الله، فصرنا على إملأئهم منقادين، ولتصريحاتهم متبعين، ولتحليلاتهم السخيفة مجترّين ومشيعين لها في المجالس والنوادي، وبالتالي لا نستغرب تماما إن تلونا سورة الزخرف، أن نعلن بكل جرأة وثبات أن حالنا كحال من قال الله فيهم: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾، (سورة الزخرف: 54)، لأنه لولا قَبُولُنا للفسق لما استخف بنا السفهاء من الإعلاميين الضالين، ولما تلاعب بنا السياسيون الماكرون.

أيها الشباب والشابات المؤمنون:

ليتكّم تتصورون حجم الإثارة الجنسية التي يشيعها الاستماع إلى العروض الغنائية؛ فرديةً كانت أو جماعيةً، وتدركون سخطَ الله تعالى حين تُصبحون وتُمسون على مشاهد فاضحةٍ لمغنياتٍ فائنات، خليعاتٍ ماجنات، يُغْنَيْنَ بأجرٍ العبارات، وأفحش الكلمات !!
هلا استفقت من سباتك أيها الشاب المتنقل بجهازك الصغير من بلد إلى آخر، ومن

قناة إلى أخرى، باحثاً عن المتعة الشهوانية، واللذة البهيمية، والسَّعادة الرَّائفة؛ في تتبع أفلام هابطة، ومسلسلاتٍ ساقطة، وخمر، وقمار، وعُزِّيٍّ ومجون، وفسادٍ وفتون، وعقائدٍ فاسدة، ووثنيةٍ بائدة، وجاهليةٍ حاكمة، وأعلنت هجرانا كلياً لكل هذا الصخب والمجون.

وليتك أخي المؤمن تُثبت وجودك وحريتك من خلال ممارسة الرياضة لا مجرد متابعة برامج الرياضة التي تستنفذ منك ساعاتٍ كثيرةٍ من البثِّ المباشر وغير المباشر، حتى أضحي عقلك صرعى بالهوس الرياضي والانتماء الكروي، فبعت ولاءك -من حيث تشعر أو لا تشعر- للأندية الرياضية والفرق الكروية، وأضعت صلاتك وواجباتك الشرعية، وحقوق الوالدين والأرحام، وحطمت مستقبلك المأمول ودورك المنتظر في بناء أمتك ونفع مجتمعتك، وتأخرت في دراستك. فصرت بذلك أسيراً لآلة التحكم "تيليكونوند" التي صارت تتحكم فيك، قبل أن تتحكم فيها بأناملك الضعيفة.

اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين، لا ضالين ولا مُضِلين. بالمعروف آمين، وعن المنكر ناهين، يا ربَّ العالمين.

اللهم ألهمنا رشدنا، وأنر لنا طريقَ دربنا، وعَلِّمنا ما ينفعنا، وبصِّرنا في ديننا، وأرنا الحق حقاً واهدنا لاتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يُعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويضر وينفع، ألا إلى الله تصير الأمور.
وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،
وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: إخوة الإيمان:

إننا عاجزون عن وصف الحالة المخجلة التي آل إليها الإعلام المعاصر، ألا فاتقوا الله
عباد الله، وأدوا الأمانة المُنطة على أعناقكم، وسخّروا أموالكم لخدمة دينكم وأجسادكم،
وحافظوا على أعراضكم وأبناء مجتمعكم، وكيان أمتكم، وضّونوا بيوتكم من أسباب الفسق
والرذيلة، وحصّنها من الحسنة والعار، واعلموا أنّكم مسئولون عن أنفسكم، وستسألون
عمن تحت رقابتكم من النساء والذرية، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ
وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، (سورة التحريم: 06).

أيها الأب الحنون:

اعلم أن أشدّ المسلوبين بالإعلام، وأكثر الفئات تضررا به الصغار في مرحلة الطفولة
(من الفطام إلى خمس عشرة سنة)، ذلك أن الطفل قابلٌ للتشكيل بحسب الرغبات
والأهداف المقصودة، وأنه رهان كبير على المستقبل والحاضر، إذ بامتلاكه والسيطرة على
وعيه والتحكم في ميولاته يمكنُ الرهانُ بالمستقبل. فالطفل هو الغد القادم، وما يرسم هذا
الغد هو نوعية التربية والتلقين التي نقدمها لهذا الطفل في الحاضر.

وإن كنا لا نُخفي بعض الإيجابيات في إعلام الطفل، وبخاصة بعض أفلام الكرتون
(الرسوم المتحركة) والحصص الثقافية والتعليمية الهادفة التي تنمي بعض قدرات الطفل ببراعة،
مثل:

- تنمية الحس الجمالي، بتقديم الألوان المثيرة في الديكور، والاهتمام بالإيقاع الصوتي الجميل.

- تنمية الخيال الفكري والواقعي، من خلال تصوير شخصيات لا تجسّد لها في العلم الحسي.

- تعزيز الشعور الديني بعرض بعض الحصص الإيمانية، أو الأفلام المتعلقة بالشخصيات الإسلامية والناجحة في الحياة، وكذا الحصص الثقافية الهادفة.

- تنمية الثروة اللفظية للطفل مما يمنحه قدرةً على التعبير، وتعاملاً سلساً مع اللغات. لكن تبقى أخي المؤمن هذه الإيجابيات مطمورةً في كم هائل من السلبيات، وكأني بإعلام الطفل يصدق عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾، (سورة البقرة: 219)، وتتجلى الصور المحبّطة في هذا الإعلام بأشكال متنوعة؛ بعضها ظاهرٌ، والكثير منها مدسوس في ثنايا الصور والكلمات والإيحاءات، وكيف بالابن الطري أن يتفطن إلى هذه الخبايا، وهو لا يستطيع حتى أن يدرك حقيقة الشيء الواقعي الملموس أمامه، في حين أنها تخزن في عقله الباطني.

ولا بأس أيها الولي الكريم أن أذكرك ببعض هذه الصور المفزعة، حتى تكون على دراية أكثر بعالم الطفل المعاصر، ومدرّكاً لحجم المسؤولية الملقاة على عاتقك.

إن مما يتفق عليه الدارسون لإعلام الطفل أنه يتم فيه ما يأتي:

- نقل نمط حياة البيئات الأخرى إلى مجتمعات مختلفة نوعاً وكيفاً، مما يتسبب خلخلة في نسق القيم لدى الأطفال.

- مشاهدة العنف في أفلام الأطفال يثير لديهم العنف المخيف في السلوك، وقد يصل إلى الجريمة والتعدي على الآخرين.

- صناعةُ قدوات للطفل لا تمس إلى قيم مجتمعه الذي نشأ فيه، كتعظيم نجوم الفن والغناء والرياضة، والتركيز عليهم على حساب العلماء والمعلمين والآباء الصالحين.
 - تصويرُ العلاقة بين المرأة والرجل الأجنيين بنوع من الليونة والتفتح دون أي قيد شرعي مما افترضه الله على المسلمين، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، (سورة النور: 30-31).
 - إثارةُ الغرائزِ الشهوانية للطفل منذ وقت مبكر عن موعدها البيولوجي الذي حدده الله تعالى للذكر والأنثى، وذلك بكثرة مشاهدة الإحياءات الجنسية.
 - تعويدهم على السهر وعدم النوم المبكر، وعلى المكوث الطويل أمام التلفاز دون الشعور بالوقت وأهميته، مما يؤثر سلباً على التحصيل الدراسي وأداء الواجبات المدرسية.
 - التسببُ في الأضرار الجسمية والعقلية، كالحمول والكسل وإرهاق حاسة النظر، والإجهاد منذ وقت مبكر، مما يسبب اختلالات في التكوين النفسي السليم.
 - إثارةُ نوازع الفزع والإحباط والشعور بالخوف عبر مشاهد الهزائم، والتعرض إلى المواقف الخطرة في الحياة، وكذا الغرق في الظلمة والعواصف والأشباح، وبخاصة الحلقات التي تعرض الأفلام الرجالية البوليسية في رسوم متحركة، فتصيب الصغار بإرهاق نفسي خطير، وبمشاهدة صور تفوق خيالهم الإدراكي.
 - إثارةُ حوارات بين مظاهر الطبيعة؛ من شمس، وقمر، ورياح، وإنشاء صراع بينها، كصورة نمطية لصراع الآلهة لدى الحضارات الوثنية، الإغريق والرومان وغيرهما من الأقوام التي تشرك بالله، وتقتل الأنبياء بغير حق.
- أيها الآباء المحترمون:**

إن أبناءكم حينما يعيشون لحظاتٍ ممتعةٍ مع الترفيه في التلفزة، فإنها تلقن لهم قيمًا ستبقى راسخةً في أذهانهم مدى العمر، وتشكّل لهم في اللاوعي صورةً عن كيفية التعامل مع الحياة، وهي في أغلب صورها تتناقض كلياً مع عقيدة التوحيد، التي تُرجع الأمور إلى الله، لا إلى القوى الكونية، ولا إلى القوى المبتوثة في الإنسان، وبالإمكان أخي المؤمن أن نتنبّه إلى التصرفات الكامنة وراء حركات بعض الرسوم المتحركة الصينية واليابانية والهندية، كـ "الطاقة الزرقاء" و "الرمية الملتهبة"، و "اليويو"، و "هجوم المسننات" فهي تعتمد على استخراج القوة المودعة في الإنسان، وهو معتقد الذين يقرون بإله براهما الكائن داخل كل موجود، ويؤمنون بنظام الكارما للوصول إلى مرحلة النيرفانا، كآخر خطوة في الحياة الأبدية، كما ارتقى إليها إله بوذا الهندي.

وإن أثر هذا المعتقد وغيره من الخزعבלات ليظهر جلياً في آثار سلوك الأطفال، وفي تسريحات الشباب وألبستهم، حتى صار أبناءنا صورةً عن عالم الديجتال، وكواكب أكشن، وكواكب زُمُرْدَة، والبوكيمون، والسوبر ماريو، وكونان.

ولا أرى أن أطيل بعد هذه الومضات الخطيرة على عقيدة الطفل المؤمن في تبيان أثر العنف الذي ينطبع عند الطفل وبخاصة عند مشاهدته لقنوات mbc، و spacetoon، (لقد أحصيت أكثر من 200 عنوان في القناة الواحدة، وهي تتكرر بطبيعة الحال في بعض القنوات المشتركة ذات التوجه الواحد)، أو القنوات القتالية الشديدة والمعنونة بقنوات العنف (كوكب action)، (فهناك من أحصى في قناة واحدة للأطفال 300 جريمة قتل في الأسبوع الواحد)، فهذه جريمة شنعاء في جبينك أيها الوالد على ابنك وفلذة كبذك، أن تربيته على حب القتل، والدماء تسيل دون وجل ولا فزع، في حين أن الله عظم الموت، فقال في حقه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، (سورة السجدة: 11)، وقال عنه

رسول أمّتنا ﷺ في حديث أبي هريرة: «أَكْثَرُوا ذَكَرَ هَادِمِ اللِّذَاتِ»⁽¹⁾. يعني الموت. فلا أحد من هذه المعاني سَتَقُثِلُ في ذهن الطفل بعد الإدمان على مشاهدة القتل، وتتطاير الدماء، والتتبع المستمر لتفتت الأجساد بعد هلاكها كأنها صارت ترابا وسائلا كأن لم تكن شيئا، وهو ما يتناقض كليا مع قول الله تعالى الذي أنبأنا أنه المتحكم في الموت، وأن كل الأنفس إليه راجعة؛ سواء أكانت إنسانا، أم حيونا، أم غير ذلك، يقول تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، (سورة البقرة: 281).

أيها الوالد المسلم:

قل من مشاهدة التلفزة وعش مع أهلك وعائلتك، ثم اسع أن تكسر صنمها من قلبك ليسهل تكسيره على من تعول، فتستريحون عند الإقلاق منها، وتسعدون بالتخلي عنها كلية، لأنها لم تكن لمن قبلنا ومع ذلك نجحوا، وعدمها لن يؤثر في تألقنا ولا في حضارتنا ولا في علمنا، ولنا مشارب أخرى أكثر أمنا ونفعا، وأخص بالذكر الكتاب؛ بداية بكتاب الله تعالى، ثم بقية التأليف النافعة التي تنمي قدرات فائقة عند الإنسان، من باب قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، (سورة العلق: 01-05).

أخالك أيها المسلم قد فكرت مليا، وستستشير الأخصائيين التربويين والنفسانيين وغيرهم، ثم تقرر في الأخير أن تغير سلوكك مع التلفزة، حتى تضمن مسaire أهل أسرتك وأبنائك لقرارك المصيري الذي ستخذه إزاء التلفزة بكل ثقة نفس واقتناع بإذن الله تعالى.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، (سورة الفرقان: 74).

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَائِي، رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ

¹ (ابن ماجة، السنن، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد، رقم: 4258).

وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾، (سورة إبراهيم: 40-41).

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، اللهم يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم أصلح شأننا وشأن أبنائنا، واخر الشيطان، وقوي إيماننا وإيمانهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم.

اللهم اجعل أبنائنا قرة عين لنا، واللهم أرهم الحق حقاً وارزقهم اتباعه، وأرهم الباطل باطلاً، وارزقهم اجتنابه.

اللهم انفع بهم الإسلام والمسلمين، وافتح لهم فتوح العارفين، وغُضْ أَبْصَارَهُمْ، واحفظ فروجهم، وعلّق بالمساجد قلوبهم، واصرف عنهم كل سوء، وارزقهم الرُفقة الصالحة. واجعلنا اللهم وأهل بيوتنا من أهل القرآن، حتى نكون من أهلك وخاصتك، أنت ولي ذلك والقادر عليه يا أرحم الرحمين.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، (سورة آل عمران: 08-09).

اغتنام الوقت، والتزام النظام في الحياة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعالى في مجده وتقدس، وتعالى في خلقه فأبدع.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله أفضل مُقتدًى به، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والثقى والورع، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله -رحمكم الله- فالحياة يعقبها الممات، والأتراب يُسلمون للتراب، فالجدُّ الجدُّ من أجل أن تغنموا، والبدارُ البدارُ من قبل أن تندموا، والموتُ بابٌ مورود، والأجلُ غيرُ مردود، ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ، وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ، يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾، (سورة هود: 103-105).

أيها المسلمون:

إنَّ الوقت من عظيم نعم الله التي أنعم بها على عباده، وهي أغلى ما يملكه الإنسان، وأسهلُ شيء يضيع منه، ولهذا أقسم الله بأجزاء منه في مطالع سورٍ عديدة؛ فأقسم بالفجر في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، (سورة الفجر: 01-02). وأقسم بالليل والنهار في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾، (سورة الليل: 01-02).

وأقسم بالضحى في قوله: ﴿وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾، (سورة الضحى: 01-02). وأقسم الله سبحانه بأجزاء الزمن لفتنا للأنظار نحوها، ولبيان عظيم دلالاتها، وجليل ما اشتملت عليه من منافع وآثار.

وفي هذا السياق ذكر سيدنا محمد ﷺ أحاديث منها:

- «اَعْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»⁽¹⁾.

- وقوله ﷺ: «لا تزولُ قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسألَ عن أربع خصال: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟»⁽²⁾.

فالفرصة مفتوحة الآن أمامك أيها المسلم، ويا أيها الشاب ويا أيها الأب ويا أيها الأم، ولكنها غداً مقفلةٌ أمامكم، فالشباب يذهب وينتهي بالكهولة ثم الشيخوخة ثم الهرم، والعمر ينتهي بالموت، والقوة تنتهي بالضعف، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾، (سورة فاطر: 37).

لذلكم وجب على الأمة أن تغتنم أوقاتها فيما ينفع، فالعمر أيام وساعات، وما مضى منها لا يعود، وأن تعلم أن التسويف عجزٌ وكسلٌ.. فمن من يريد أن ينهض في غدٍ لا بد أن يعمل ليومه كأحسن ما يكون العمل نقاءً وانتقاءً، ولا بد أن يستغل أوقات البكور، وبخاصة أوقات الصيف الطويلة التي تبدأ من الرابعة صباحاً، ولا ينتظر القيام من نومه في الثامنة أو التاسعة صباحاً، فهي القيلولة، والفترة الثانية من صباحه، وهذا ما اختاره رب العزة لعباده، فلنرضى بقضاء الله وقدره علينا من أن اليوم يبدأ من صلاة الفجر، ولنتخلى عن البرمجة الزمنية الغربية التي تشرع العمل على الثامنة، ولنترك الانقيادَ إليهم في الخير والشر، واتباعهم دون تمحيص ودون اعتبار للمواقيت الاستثنائية بين الصيف والشتاء، مع أن ربنا

(1) الربيع، الجامع الصحيح، الجزء الرابع، رقم: 896.

(2) الطبراني، المعجم الكبير، باب الميم، معاذ بن جبل الأنصاري عقي بدر، رقم: 111.

هو القائل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ، إِلَّا فِيهِمْ رَحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾،
(سورة قريش: 01-02).

ولأجل الاستغلال الأمثل للوقت وبخاصة في الصائفة التي يتهاون فيها الكثير، علينا أن
نأخذ بالأسباب التي تعين على حفظ الوقت ونلخصها فيما يأتي:

- تخصيص أوقات معلومة لمذاكرة كلام رب العزة يومياً، وعدم هجرانه، ونسيانه أمام
الأسفار والرحلات والبرامج الصيفية المتنوعة.

- محاسبة النفس: وهي من أعظم الوسائل التي تعين المسلم على اغتنام وقته في طاعة
الله، وهي دأب الصالحين وطريق المتقين.

- تربية النفس على علو الهمة: فمن ربي نفسه على معالي الأمور والتباعد عن
سفسافها، كان أحرص على اغتنام وقته، ومن عكت همته لم يقنع بالدون، وعلى قدر أهل
العزم تأتي العزائم.

- صحبة الأشخاص المحافظين على أوقاتهم: فإن صحبة هؤلاء ومخالطتهم، والحرص
على القرب منهم والتأسي بهم، معين على اغتنام الوقت، وتقوي النفس على استغلال
ساعات العمر في طاعة الله، ومن هنا وجب التخلي عن قراء السوء، والمدمنين على
الألعاب الإلكترونية لأنها مضيعة للوقت ومفسدة للرأي.

- إدراك أن ما مضى من الوقت لا يعود ولا يُعوّض: فكل يوم يمضي، وكل ساعة
تنقضي، وكل لحظة تمر، ليس في الإمكان استعادتها، وبالتالي لا يمكن تعويضها. وهذا معنى
ما قاله الحسن البصري: "ما من يوم يمرُّ على ابن آدم إلا وهو يقول: يا ابن آدم، أنا يوم
جديد، وعلى عملك شهيد، وإذا ذهبْتُ عنك لم أرجع إليك، فقدّم ما شئت تجده بين
يديك، وأخّر ما شئت فلن يعود إليك أبداً".

- تذكُر الموت وساعة الاحتضار: فحين يستدبر الإنسان الدنيا، ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو مُنح مهلةً من الزمن، ليُصلح ما أفسد ويتدارك ما فات، فإن هذا يجعل المرء حريصاً على اغتنام وقته في مرضاة الله تعالى.

- تنظيم الوقت: بين الواجبات والأعمال المتنوعة، بحيث لا يطغى بعضها على بعض. فحاسب نفسك أخي المسلم واسألها ماذا عملت في يومها الذي انقضى؟ وأين أنفقت وقتك؟ وفي أي شيء أمضيت ساعات يومك؟ هل ازدادت فيه من الحسنات أم ازدادت فيه من السيئات؟!

إخوة الإيمان:

بأمثال هذه الأسباب التي يعتبرها المسلم في يومه، فإنه يتخلى عن مجالسة من يقول حين الراحة: إننا نقضي على الوقت! أو نقتل الوقت.. فهؤلاء مساكين لا يدرون أنهم يقتلون أنفسهم، وينثرون مالم في الطريق كسفهاء رفع عنهم القلم.. في حين أن الله أقسم بالأزمان وعلى رأسها "العصر" الذي يعني عصرَ الوقت كما يُعصر العنب مثلاً، والانتفاع بكل دقيقة واستثمارها في النفع الخاص والعام حتى لا يكون المرء من الخاسرين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، (سورة العصر).

اللهم اجعلنا من الناجحين ولا تجعلنا من الخاسرين.

اللهم وفقنا أن نستغل أوقاتنا في الخير والنفع والطاعة، وباعد عنا الشيطان ووسوسته.

اللهم ألهمنا رشدنا، ووفقنا إلى ما تحبه وترضاه، يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خِلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا.
والصلاة والسلام على طبيب القلوب، الذي جاهد بالقرآن، وربى صحابته على اغتنام
الأوقات وترك الملهيّات، فاستقامت لهم شؤون الحياة، وأسرعوا لإبطال سيِّء العادات،
واستمتعوا بروح العبادات والمعاملات.

أما بعد:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ هَذَا الْكَوْنَ وَرَتَّبَ كُلَّ مَا فِيهِ، وَجَعَلَ الْعِبَادَاتِ مُرَتَّبَةً وَمُنَظَّمَةً،
وَحَدَّهَا بِحُدُودٍ وَمَنَعَ مِنْ تَعَدِّيْهَا وَتَجَاوُزِهَا.

فنظام الصَّلَوَاتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسًا، قَبْلَهَا وُضُوءٌ وَطَهَارَةٌ.

ونظام الزَّكَاةِ فِي كُلِّ حَوْلٍ لِمَنْ مَلَكَ النَّصَابُ.

ونظام الصَّوْمِ فِي كُلِّ شَهْرٍ تَوْبَةً وَإِنَابَةً إِلَى رَبِّ رَحِيمٍ.

ونظام الْحَجِّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ، وَمَنَاسِكٌ وَشَعَائِرٌ مَعْدُودَات.

ونظام الْكَفَّارَاتِ تَطْهِيرٌ لِلذَّنُوبِ وَالْخَطَايَا.

ونظام النِّفَقَاتِ نَمَاءٌ لِلْأَمْوَالِ وَتَرْكِتُهَا.

فكلها شرائع وعبادات وأحكام وُضِعَتْ لِنَتْنِيزِمْ حَيَاةِ النَّاسِ وَرِسْمِ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ لِحُلِّ

مشاكلهم.

أيها المؤمنون:

كُلُّ مَا حَوْلَ الْإِنْسَانِ يَدْفَعُهُ أَنْ يَكُونَ مُنَظَّمًا فِي حَيَاتِهِ، مُرَتَّبًا فِي وَظِيفَتِهِ، مُتَقِنًا لِعَمَلِهِ،

مُحْسِنًا فِي تَعَامُلِهِ، صَادِقًا فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ، وَفِيًّا فِي أَخْذِهِ وَعَطَائِهِ، لِيَتْرَكُوْا نَفْسَهُ وَتَكْمُلَ دَانَتْهُ،

وَيَنْشَرِحَ صَدْرُهُ وَيَسْعَدَ فِي حَيَاتِهِ.

فالنظام، والانضباط، وحسنُ الترتيب، وسلامةُ التقدير، وجمالُ الذوق كلُّ ذلك يحفظُ

الفرد كما يحفظ الجماعة، ويُعين على تحمّل المسؤولية وعلى أعبائها، ويُثبت العلاقات الاجتماعية ويُنظمها.

أيها الأفراد الواعون:

من أهم أسس النظام في الحياة التزام قوانين المرور، والحفاظ على حريات الآخرين، ورعاية الاتفاقات بين الطرفين في العمل، والالتزام بإخراج النفايات في وقتها المحدد، وعدم رميها من وراء أسوار المدينة، واجتناب سرقة سواقي الوديان ورمي الردم فيها، وكذا التزام المشورة في الرأي، وترك الانفراد بالرأي الشخصي، حتى يهتدي الناس إلى الصواب، والنافع المفيد من القول والفعل.

ولقياس اختبار انضباطنا والتزامنا بالقوانين، علينا أن نراقب أنفسنا في مواطن الزحام، وانتظام الوقوف في الصفوف، واحترام الطريق والجيران، والقول للناس حسناً في المعاملات والصفقات.

عباد الله:

إِنَّ التَّعَيُّدَ بِالنِّظَامِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ قِيَمَةٌ حَضَارِيَّةٌ وَحَاجَةٌ تَنْمَوِيَّةٌ، فَهُوَ فِطْرَةٌ كَوْنِيَّةٌ وَضُرُورَةٌ شَرْعِيَّةٌ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَصِحَّ مُجْتَمَعٌ أَوْ تَصْلُحَ أُمَّةٌ، وَفِي أَعْضَائِهَا خَلَلٌ يَقْطَعُ دَائِرَةَ النِّظَامِ، أَوْ فَسَادٌ يَفْقِدُ حَلْقَةً مِنْ سِلْسِلَةِ الْأُمَّةِ. وَإِنَّ الْحُكْمَ عَلَى أَيِّ مُجْتَمَعٍ بِالْقُوَّةِ أَوْ الضَّعْفِ، أَوْ وَصْفَهُ بِالتَّقَدُّمِ أَوْ التَّخَلُّفِ، مَرهُونٌ بِمَدَى التِّزَامِ أَفْرَادِهِ وَمُؤَسَّسَاتِهِ بِالنِّظَامِ الْعَامِّ وَتَعَيُّدِهِم بِالْقَوَاعِدِ الْمُنَظَّمَةِ لِحَيَاتِهِمْ.

وإنَّه لَمِنْ الضَّعْفِ الْإِيمَانِيِّ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ تَخَلُّفًا فِكْرِيًّا وَخَلَلًا فِي التَّصَوُّرِ، أَنْ يَرَى بَعْضُ النَّاسِ فِي التِّزَامِ الْأَنْظِمَةِ نَقْصًا فِي رَحُولَتِهِمْ، أَوْ حَطًّا مِنْ كِبَرِيَّائِهِمْ، أَوْ تَقْيِيدًا لِحُرِّيَّتِهِمْ، أَوْ يَشْعُرُوا أَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَصَالِحِهِمْ أَوْ يَعْدُونَهُ ظُلْمًا لَهُمْ، فِي حِينِ أَنَّ مِنَ الْمُتَقَرَّرِ لَدَى

العُقلاء، أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ بَغِيرِ تَطْبِيقِ النَّظَامِ أَنْ يَنَالَ النَّاسُ حَقًّا، وَلَا أَنْ يَنَعْمُوا بِعَدَلٍ أَوْ يَجِدُوا أَمْنًا، أَوْ يَشْعُرُوا بِطُمَأْنِينَةٍ أَوْ يَذُوقُوا لِلرَّاحَةِ طَعْمًا.

واعلموا أَنَّهُ بِتَجَاوُزِ النَّظَامِ يَكْثُرُ فِي الْمَجْتَمَعِ الظُّلْمُ وَالتَّعَدِّي وَالتَّجَاوُزُ، وَبِتَجَاوُزِ النَّظَامِ لَنْ يُبْنَى مُسْتَقْبَلٌ، وَلَنْ تُعَمَّرَ دِيَارٌ وَلَنْ يَحْصُلَ اسْتِقْرَارٌ.

فالنَّظَامُ هُوَ الْعَدْلُ، وَعَلَى الْعَدْلِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَوَاللَّهِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَطَهَّرَ أُمَّةٌ مِنْ أَدْرَانِهَا وَتَنَالَ مَا تَصْبُو إِلَيْهِ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَإِعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّهُ لَا قُدْسَ أُمَّةٍ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ»⁽¹⁾، أَيِ غَيْرِ مَكْرِهِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْعَدْلَ فِي الرِّضَا وَالْعُضْبِ، وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَالنَّظَامَ فِي كَامِلِ شُؤْنِ حَيَاتِنَا.

اللهم أصلح أمورنا وأمور جميع المسلمين والمسلمات في مشارق الأرض ومغاربها.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا.

ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا، إنها ساءت مستقرًا ومقامًا.

اللهم اهدِ شباب الإسلام، اللهم اهدِ شابات الإسلام، اللهم رُدِّهم إليك ردًّا جميلًا.

اللهم ارزقنا حبَّك، وحبَّ رسولك، وحبَّ كلِّ مَنْ يُحِبُّكَ، وحبَّ كلِّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ.

اللهم حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهِ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا

مِنَ الرَّاشِدِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(1) ابن ماجه، السنن، كتاب الصدقات، باب لصاحب الحق سلطان، رقم: 2426.

أثر الغفلة في حياتنا، والاعتزاز بمقامات شخصيتنا (يناز)

الحمد لله ربِّ الْعَالَمِينَ، مُخْرِجِ أَوْلِيَاءِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَمُنْزِلِ كِتَابِهِ شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَصَلَاحًا لِّجَمِيعِ الْأُمُورِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَطِيبُ الْقُلُوبِ وَمُطَهِّرُ الْمَذْنِبِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْمَيَامِينِ الَّذِينَ تَخْلُو عَنْ سَيِّئِ الْعَادَاتِ، وَتَخْلُقُوا بِخَيْرِ الْمَعَامَلَاتِ، صَلَاةً وَتَسْلِيمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، (سورة الحشر: 18). وقال تعالى في مستهلِّ سورة الأنبياء: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ، مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾، (سورة الأنبياء: 01-03).

أَيُّهَا النَّاسُ:

إن بعضنا تأتيتهم ساعتهم وهم في نسيان وتناسي، ويأتيتهم الموت وهم في جهل وظلام، وتأتيتهم قيامتهم وهم في غفلة، مع أن ربهم غيرُ غافل عنهم: ﴿وَمَا رُبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، (سورة هود: 123).

والغفلة أيها الحاذقون هي صفة بشرية يجب الاحتراز منها واجتنابها، ويجب الانتباه من الوقوع في شراكها، لأن الله قد نهانا عن اتباع من أنسنتهم الدنيا يومَ التلاقي والحساب، فغفل عن الله تعالى والعقاب، يقول رب العزة: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ

هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾، (سورة الكهف: 28)، وحذرنا من التردّي كالأنعام بسبب الغفلة فقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ، لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا، وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا، وَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا، أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾، (سورة الأعراف: 179).

أيها المسلمون:

إن التفريط في جنب الله هو حال بعض أبناء الأمة الإسلامية في عصرنا، حيث أصبحوا لا يفكرون إلا في الدنيا وشهواتها، وأمسوا مفتونين بزخارف الحياة وملهياتها، فنسوا الله ونسوا ذكره، وهذه الحالة الخطيرة قد تنبأ بها رسول الله ﷺ قبيل الوداع الأخير فقال ناصحا لمن حوله: «فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بَسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا قَبْلَكُمْ، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ»⁽¹⁾.

أيها العقلاء المستبصرون بعواقب الأمور:

إن من أعظم أسباب الغفلة التي نحن فيها:

- 1 - الانشغال التام بالدنيا، وكثرة الأشغال الدنيوية والتوسع في المباحات على حساب الواجبات الأخروية، وهجران القرآن صباحا ومساء ليلا ونهارا.
- 2- عدم إدراك قيمة النعم التي بين أيدينا، والنعمة تحتاج إلى شكر المنعم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، (سورة إبراهيم: 7).
- 3 - ومن أسبابها أيضا إرجاء الأعمال إلى آجال غير محددة، وتأجيل التوبة دون مبرر،

¹ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، رقم: 6425.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ، حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾، (سورة الزخرف: 36-38).

أبيها المؤمنون:

إن للغفلة مظاهر شتى، وإن لها أشكالاً متنوعة في الحياة، تسيء إلى الناس وتنقص عليهم حياتهم، وهذه بعضها:

- من الغفلة عن الله مضايقة الناس في الطرقات، واختيار البداوة والقساوة بديلاً عن الوعي والتحضر، فينجر عن هذه الغفلة عدم احترام قوانين المرور، أو الصراخ في الطرقات، أو السير بسرعة مفرطة في الأزقة والطرق الضيقة.

- ومن الغفلة عن الله رمي القاذورات في غير وقتها، وإن وضعت في غير موضعها فتلك الطامة الكبرى، يقول تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، (سورة الشعراء: 227)، ومن الغفلة أن نترك ما ألفناه في ماضينا من وضع كل إنسان قمامته في وعاء "بيدون" أمام بيته، ورجاؤنا أن تخصص الهيئات الرسمية رجالاً يجمعون القمامات من أمام المنازل لنزبل بذلك المظاهر المخزية التي نشاهدها يوميا في الأحياء.

- ومن الغفلة التباهي بدخول عالم القضاء والمحاكم، والتخلي عن عالم الصلح والوساطة. واستئثار دفع الرشاوى والأموال الوسخة لفاقدي الذمة والأمانة، عوض التوجه إلى أهل الحل والعقد والاستنجاد بأعرافنا وهياكلنا التي نتباهى بها ظاهريا، ولا نجد لها وجودا في النفوس حينما تتأزم الفلوس، يقول تعالى عن حال من لا يرعوي إلا بالكذب والأيمان الفاجرة، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ، حَتَّى يُجَكِّمُوكَ فِيَمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، (سورة النساء: 65)، وعن أم سلمة ض أن رسول الله ﷺ

قَالَ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا»⁽¹⁾.

- ومن الغفلة أن يستحي أولادنا من لباس السراويل التقليدية الساترة والمعبرة عن عز حضارة أجداده وفخر إرثهم العريق، هذه السراويل المخيطة بأنامل أمهاتهم أو أخواتهم الطاهرة، فيستبدلون لباسهم المزاجي "أصراويل أعرب"، أو "أصراويل تنغرسان" بسراويل أجنبية هزيلة، ضيقة الخصر وكاشفة للعورة، وملبّية لأذواق ذوي الشذوذ الجنسي slim fit، ومن المغرمين بتخنيث الشباب.

- ومن الغفلة أن تتصكع نساؤنا في كل ناد وواد بقشايية مزركشة مطروزة، وبأحزمة خارجية لشد نحافة أجسامهن، ومن الغفلة أن تختار النسوة موديلات من المعاطف الزاهية الألوان والأشكال، ويضعن عليهن خمارا مصمما بالطريقة التركية أو اللبنانية، على شكل عارضات المفاتن في المسلسلات العربية والمبدلجة، وتتناسى أخواتنا المنسلخات وفتياتنا المفتونات دعوة رهن إلى ستر ما ظهر منهن، ويغضن الطرف عن نهي النبي ﷺ لنسائه ونساء المؤمنات من باب أولى بعدم التبرج والسفور، حين قال الله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا، وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾، (سورة الأحزاب: 32-33).

- ومن الغفلة أن يشتكي أحد الأولياء من مضايقة بنته في إحدى الحفلات المتوجهة إلى إحدى المدارس الخاصة من قبل زميلاتهما المتمدرسات معها، لمشاهدتهن لها وهي بلباس أحولي، فوصموها بالترمت والتشدد، وصرن يسخرن منها ويضحكن عليها، لا لشيء إلا لأنها خالفتهم ولبست لباس الحشمة والوقار، واختارت لباس أمتها المتحضرة.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين، رقم: 2680.

- ومن الغفلة أن نرى بناتنا في سن ما قبل البلوغ بألبسة jean، وليكات معصورة الظهر والصدر، وبسراويل ذكورية ورياضية jogging، وكلها مصممة من قبل تجار ترجيل النساء، ومن قبل الداعين إلى المساواة بين الجنسين، وفي المقابل لا نجد أمهاتهن حريصات على انتقاء أجود ما في السوق من الساتر الجميل، أو خياطة لهن الفساتين المحتشمة والأنيقة، تربية لهن على العفة والطهر منذ ريعان شبابهن.

اللهم ألهمنا أن نتخلى عن هم الدنيا والحرص عليها، ونعوذ بك أن نكون من المفلسين.

اللهم حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، واجعلنا من الراشدين.

اللهم طهر مجتمعنا رجالا ونساء وأطفالا من لذة حب ألبسة الشهرة، وباعد بينهم وبين شهوة اتباع الموضة العارية.

اللهم ارزقنا المحبة والألفة والتعاون على البر والتقوى.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق فسوّى، وأمر عباده بالتقوى، وجعل بعضهم لبعض فتنة وبلوى. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الداعي إلى تركية النفس، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، (سورة الشمس: 09-10)، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، طبيب النفوس، ومرشدها إلى محاسبتها قبل اليوم العَبَس.

أما بعد: أيها المسلمون

في زيارة مفاجئة للمفكر الإسلامي مالك بن نبي إلى مزاب فسجل انطباعته السريعة، فكتب قائلاً: "على الجزائري الذي يزور مزاب، ألا يذهب إليه بهدف التصوير وأخذ المناظر الفوتوغرافية كما يفعل السياح بحثاً عن المناظر التقليدية ذات الألوان المحلية، وإنما ينبغي الذهاب إلى هناك بضمير الباحث الذي يرغب في تمزيق الأغلفة، فإنه بعد تمزيقها يكتشف في مزاب شيئاً جديداً، هذا الجديد الذي هو ملكنا جميعاً".

شهادة يعتز بها كل من ينتمي إلى ربوعنا الطاهرة، ومسؤولية ملقاة على عاتق الأحفاد ليقتفوا أثر الأجداد في الأفكار والمسير. ومما يعين على تجسيد هذه الشهادة الصادقة أن نسعى للحفاظ على هويتنا، ونعتز بلساننا مزاييتنا الفصيح، ونوظف لغة آبائنا وأجدادنا في الحل والترحال، ذلك أن الله خلق الناس أطيافاً، وجعلهم شعوباً وقبائل فميزهم بطولهم ولونهم ولغتهم فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾، (سورة الروم: 22).

أيها العاملون المجدون:

من الجدير بالذكر أن نشي خيراً على كل الذين ابتلوا بلاء حسناً لسنوات طويلة وفي مناسبات عديدة، فحافظوا على لساننا المزايي من خلال تدوينه في أشعار حماسية ورومانسية، وبحثوا عن حروفه وتقنيات كتابته في المدونات المخطوطة وفي الأشكال المبثوثة

بين الصخور والجبال، ومن واجبنا أن نشيد بالعاملين الناشطين في الميدان حتى تكملت المساعي بيزوغ أمل الاعتراف بخصوصيات مجتمعتنا الجزائري، وإثراء عزة انتماءاته الحضارية باعتراف رسمي، وندعو الله بقبول أعمالهم وخطواتهم في رفع لواء تهمين ما أودع الله في الناس من تنوع ثقافي ومعرفي.

إخوة الإيمان:

على المسلم أن يعتز بكل انتماءاته التي هيأه الله له؛ من دون عقدة ولا تعصب، فهو إن وجد في بيئة إسلامية المنشأ، وجزائرية الموطن، ومزايية اللسان، وإباضية المذهب والمعتقد، فيعني أن الله قد حباه بهذه المقومات الأساسية لهويته، وفضله وكرمه بهذه الانتماءات مجتمعة، وسيحاسبه على ما أنعم به عليه، كيف عمل في سلوكه.. وكيف حافظ على موروثه.. وكيف تفاعل مع غيره من إخوانه في كل مكان..

وهو إن أوجده ربه تعالى في أي بيئة، فسيسأله هل له نظرة تكاملية مع الناس؟ أم له نظرة استعلائية وتجبرية؟

وسيسأله هل يحمل معتقد الاعتصام بحبل الله تعالى؟

وسيحاسبه هل يعمل لقبول الاختلاف الذي جعله في الناس؟

وسيجازيه بما فعل في منازعة الناس فيما فضله به ربهم، وسيجازيه على قهره الناس أن يكونوا نسخة منه، وصورة طبق الأصل لنظراته واجتهاداته الخاصة؟

أيها المسلمون:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، (سورة الحجرات: 13)، هذا هو مقياس التفاضل في الإسلام، فتقوى الله تعالى، والحرص على العمل الصالح النافع هما السبيل إلى نيل رفيع الرتب وعالي الدرجات، وهما الطريق إلى النجاة في الدنيا والآخرة، واعلموا أن تقوى

الله لا تتحقق بغير تجنب المعاصي والالتزام طاعة الله تعالى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ض، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَكْرَمُهُمْ أَتَقَاهُمْ»، قَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، ثُمَّ أَجَابَهُمْ «فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا»⁽¹⁾.

فلا الأنساب تنفع، ولا الانتماء يشفع بيوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾، (سورة المؤمنون: 101-103).

أيها الصالحون:

كل إنسان له بيئته وأهله، ومن حقه أن يعتز بنسبه وشرفه، ومن حقه أن يتحدث بلغته، ومن واجبه أن يقلد علماء مذهبه الذين اجتهدوا وأخلصوا في دينهم، لكن من واجبه ألا يقبل من يهين مقوماته، ومن واجبه أن يدافع عن مكتسباته، ومن واجبه أيضا أن يتعارف مع غيره، ومن واجبه أن يتبادل التحية والمحبة مع المسلمين، ومن واجبه أن يتعاون مع أهل الخير، ذلك لأن الله أمر المؤمنين أن يكونوا إخوة فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، (سورة الحجرات: 10).

فعلى المسلمين جميعا أن يعملوا متحابين في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، ونشر كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" في الآفاق، ويسعوا إلى تبليغها للعالمين، وبهذا يستطيع المسلمون أن يعيشوا في سعة ودعة، ويجسدوا أمة محمد ﷺ التي تركهم رسولهم ﷺ على المحجة البيضاء، محجة ليست فيها فضاضة ولا نزاع، ومحجة من غير حب سيطرة أهل مذهب على الآخرين، ومحجة فيها اعتراف بالآخر وتقديره، ذلك لأن أغلب الاختلافات

(1) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾، رقم: 3374.

الفقهية والعقدية تدور فيما يجوز فيه الخلاف، وأغلب الاختلافات التاريخية بين المسلمين أسبابها دنيوية خالصة، مغطاة بستر الدين والمصلحة الشرعية، وفي هذا يقول تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى، أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾، (سورة النجم: 36-41).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا وَاسِعًا، وَعَمَلًا صَالِحًا مُتَقَبَّلًا.
وَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ عَيْشَ السُّعْدَاءِ، وَمَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَالشُّكْرَ عَلَى النِّعَمَاءِ، وَالصَّبْرَ عَلَى
الْبَلَاءِ، وَالتَّصَرُّعَ عَلَى الْأَعْدَاءِ.

اللَّهُمَّ يَسِّرْ أُمُورَنَا، وَاشْرَحْ صُدُورَنَا، وَاخْتِمِ بِالْبَقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا يَا ذَا الْجَلالِ
وَالْإِكْرَامِ.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وانصر إخواننا المستضعفين في
مشارك الأرض ومغربها.
اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً يعز فيه أهل الطاعة، ويذل فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه
بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، برحمتك يا عزيز يا غفار.
عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يُعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (سورة النحل: 90)، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (سورة
العنكبوت: 45). وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

غواية الشيطان وقلب الحقائق

الحمد لله العليُّ الحكيم، ذو العزة والجلال، بيده مقاليدُ السماوات والأرض يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد، وإليه المرء والمال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُ الله ورسوله، عظيمُ السجايا، كريمُ الخصال، صلى الله وسلّم عليه تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

أوصيكم عبادَ الله ونفسي بتقوى الله تعالى، يقول عزّ من قائل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، (سورة البقرة: 281).

أيها الخيرون:

لحكمة اقتضاها الله تعالى فأمر ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام.. فاستجابوا جميعا لأمره تعالى لأنهم عباد مُكرمون ومطهّرون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. لكن شاء الله أن يخرج أحدُ الجن المخلوقين من نار، فيستكبر عن أمر الله تعالى، فتتحقق في حقه لعنةُ الله تعالى لإعراضه عن رب العزة، ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، (سورة الأعراف: 13)، فما كان لإبليس إلا أن يتودد إلى ربه سائلا أن يُمهله ديمومةً إلى يوم البعث حتى يؤدي مهمة ثقيلة وخبيثة، إنها مسؤولية قلب الحقائق باطلا، والتزييفُ على آدم وذريته، إذ قال إبليس: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، (سورة الأعراف: 14)، فأجابه الله تعالى على الفور: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾، (سورة الأعراف: 15)، فأقسم هذا المطرود من رحمة الله أن يسلك سبيل الغواية فنا ورسالة في الأرض: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾، (سورة الحجر: 39-40).

إخوة الإيمان:

إن القائمة مفتوحة فيمن يستجيب لإبليس في غوايته وضلالته وتسفيهه العقول، وإن هناك في كل لحظة وأخرى متساقطين في حباله وشبكاته، إذ بدأ اللعين بآدم نفسه، فأخذ يغويه بالأكل من شجرة التي منعه الله هو وزوجه من التقرب إليها، استثناء من كل خيرات الجنة، فقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، (سورة البقرة: 35).

فالمتأمل في فعل إبليس يجد أن غوايته تعتمد على خطة قلب الحقائق، بداية من قلب مفهوم الشجرة، وإعطائها معنى جديداً مختلفاً عن ذاك الذي استقر في ذهن آدم عليه السلام، كونها شجرةً منهاً وكفى! مبرراً أنها شجرة ملك وخلد، وأن الأكل منها لا محالة يصبح ملكاً خالداً، فنسي آدم نهي ربه سبحانه، فأكل فندم، وتاب فتاب الله تعالى عليه. وهذا التزيين الملفق، والوسوسة المبطونة بغرض دنيء، والغواية المقلبة للحقائق والثواب هو ذات النهج والوسيلة التي يسلكها الشيطان وجنوده إلى حد الساعة، وإلى حد قيامها.

أيها المتقون:

على كل أحد منا أن يسأل نفسه أسئلة متعددة منها:

- هل استطاع إبليس أن ينجح في خطته معك، وهل تمكن في أن يدخلك متاهات الشك وعدم الرضا بما قسم الله تعالى لك في الحياة؟
- وهل انقلب مفهوم الربا عندك من معاملة نهي عنها رب العزة القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (سورة آل عمران: 130)، إلى معاملة صارت تسمى عندك تحت تأثير الحضارة، "فوائد بنكية"؟
- وهل تعد الموبقات الزنا واللواط والسحاق فواحش وآثام مغضوبٌ على فاعلها؟ أم

صارت الآن بفعل الإعلام والسينما تندرج ضمن "الحريات الفردية"؟

- هل بقيت المسكّرات محرمات ورجس من عمل الشيطان؟ أم تحولت بفضل الرواج لها من قبل المفسدين في الأرض إلى "مشروبات روحية"؟

- وهل تحولت النصيحة للمؤمنين في المنابر والمجالس العامة من أعراس ومآتم ومناسبات اجتماع الناس إلى ثرثرة واجترار للماضي السحيق؟

- وهل تحولت الدعوة إلى الاحتكام إلى المؤسسات العرفية عند الخصام وعدم المفاهمة إلى لون من ألوان الرجعية وتضييع الوقت؟ وألم يقتنع الخاص والعام من خلال تصرفاتهم وأفعالهم لا أقوالهم وتصريحاتهم أن الالتجاء إلى حل المشاكل العويصة لا يكون في غير يد قاضي القضاة، ويبد من تهدر عندهم الأموال طائلة لأجل دنائير فائتة.

- وهل أضحي لبس الفتيات الملابس الضيقة، والقشاييات المزركشة الملونة من تبرج الجاهلية الأولى؟ أم أن الموضة وانفتاح الاجتهاد الديني لكل من له وقت للتسكع في المصادر والمراجع الإسلامية حوّلًا التعفف والسترة إلى مرجعية التزمت والتخلف، وجعل دائرة هذه الأحكام القرآنية خاصة بنساء النبي ﷺ دون غيرهن من المؤمنات العفيفات الطاهرات.

أيها المصلون:

إني أخشى أن تتحول صراحتي معكم إلى وقاحة، ويجعل الناس حديث الوعاظ والخطباء مجرد رأي شخصي لا يعني غير قائله، وأن يُعد كلامهم كأبي كلام ينتهي مفعوله بمجرد القيام لصلاة الركعتين، أو بمجرد القيام من مجلس الذكر.. لكن لا مناص من أن نذكّر، ونذكّر، وندعو ونواجه غواية الشيطان لي ولكم، لأنه لا حياة لنا بغير الذكر والموعظة الحسنة.

جعلني الله وإياكم من السعداء الآمنين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب

سليم، وجعلنا من عباده المخلصين.

الخطبة الثانية

الحمد لله المنعم الوهاب، الذي يسر الأقدار، ودكرنا بالنوازل عبرة لأولي الأبصار، وموعظة يهتدي بها الضالون، ويتذكر بها الغافلون.
والصلاة والسلام على رسوله التواب الأواب.

أيها الداعون إلى الحق:

إن مشكلة الإنسان المعاصر أنه دارت به شياطين كثيرة، وانفتحت أمامه قنوات متعددة، كل واحدة تدعوه إلى صفها، وتغريه بمفاهيمها المتناقضة، فهل من سبيل نستعين به لغربة الحق من الباطل؟ ونقوي به أنفسنا عند الملهمات والشدائد؟ فلعل بعض ما سأقدمه لكم يكون سلوى ومعينا على تزيين الشيطان وتضليله.

أولاً: على الإنسان أن يدرك أنه إما أنه يكون عابداً لله عبادة خالصة كما يريد رب العزة، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، (سورة الزمر: 02-03)، إما أنه يعبد الشيطان، ويتبع هواه الأمارة بالسوء، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، (سورة يس: 60).

ثانياً: يجب على الكيس أن يكون ثابتاً في مفاهيمه، ولا يركن إلى وسائل يتبعها ليل نهار، فتفسد مزاجه، وتتعب عقله، وتعيقه أن يفكر بفطرة سليمة، ويرى الحق ناصعاً أمامه.
ثالثاً: على الإنسان أن ينمي لديه الملكة النقدية المغربة للحق عن الباطل في كل ما يعرض أمامه، ولا يكون إمعة، يستكين إلى القوالب الجاهزة، والكلمة المتداولة، ويتبع من سبيله الضلال والفحش وعدم خوف رب العزة في الأفعال البسيطة فضلاً عن الأمور العظيمة.

رابعاً: يجب على الإنسان أن يتعظ بمن قبله، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، (سورة البقرة: 134)، ولا يقع في أخطاء غيره، ولا

يجعل نفسه أضحوكةً يُستخف بعقله، ويُلاعب بمشاعره، ويُوجه ذات اليمين وذات الشمال،
فالتسفيه والتضليل من سمات إبليس ومن غواية الشيطان وجنده.

خامسا: على المرء أن يكون قدوة لغيره في سلوكه؛ يعاشر إخوانه بمحبة وتعاون،
ويتجنب لهم كل إيذاء وفحش في القول والفعل، ويعمل بمقاصد نبيلة لأجل إسعاد خلق الله
تعالى، وتحقيق رفاهية ويسرٍ لهم في حياتهم.

سادسا: على كل مسلم أن يتيقن أنه مسؤول عن تصرفاته وأحكامه وأقواله وقراءاته
للأحداث، وسيسأل عنها يوم القيامة، ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾،
(سورة الإسراء: 14).

سابعا: لا تتخذ أيها الفطن الواقع المشين ذريعة للهروب إلى واقع افتراضي، فتغرق في
أحلام مواقع التخريب الاجتماعي، عفوا أقصد "مواقع التواصل الاجتماعي"، وتصاب
بنكسة القنوط وعدم التفاعل مع الواقع بكل حيثياته وإشكالاته، يقول تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا
مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾، (سورة الزمر: 53-54).

ثامنا: عليك أن تريح عقلك بين الفينة والأخرى، وتستريح من الحركية السريعة
لضوضاء الحياة، فتشرع في مراجعة ذاتك، وتقويم تصرفاتك، وتسعى أن تتأمل في ملكوت
الله تعالى، داعيا الله أن يبصرك إلى الحق، ويريك الخير، ويبعد عنك كل شر.

وأخيرا: على العبد العابد لله تعالى بخشية ووجل وخوف أن يتجنب المعاصي ما ظهر
منها وما بطن، ويستعين بالله وحده لقضاء حوائجه، ويدعوه أثناء الليل وأطراف النهار ألا
يوقعه في غواية الشيطان الذي يقلب الحقائق ويزين الباطل، يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ
الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، (سورة فصلت: 36).

اللهم اجعلنا يا ربنا ممن يتعظ بما يسمع.

واللهم يا ذا الجلال والاكرام وفقنا أن نتوب إليك ونتخلى عن المعاصي والآثام.

واللهم نسألك أن تبعد عنا الشيطان وغوايته، وندعوك أن تعزنا بطاعتك، ولا تُذلنا بمعصيتك.

اللهم احفظ ربوعنا الطاهرة من كل سوء، واجعل بلادنا آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين يا عزيز يا حكيم.

اللهم أنزل علينا غيثا هنيئا مريئا، نافعا غير ضار، عاجلا غير آجل، تحي به البلاد، وترحم به العباد، وتسقي به أراضينا، وتملؤ به آبارنا، وتطهر به قلوبنا يا ربنا يا رحيم.

قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله